



الأعمال الخاصة

عادل حموده

عشت فى قرنين

الهيئة المصرية العامة للكتاب

عشت فى قرنين

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى : أشجار (١٩٧٥)

التقنية: طباعة بالشاشة الحريرية على ورق

المقاس:٥٠×٧٠ سم

فاروق شحاتة(١٩٣٨)

فنان جرافيك متطور، عرف منذ الستينات عندما قدم معرضه عن القضية الفلسطينية، فكانت لوحاته بمثابة وثائق احتجاج ضد الظلم، ثم انتقل إلى معالجة القضايا الشمولية التى تتضمن رعب الإنسان واغترابه. وقد استلهم الأسلوب التعبيرى. ثم انتقل إلى المناظر الطبيعية والأشكال الدقيقة، وخلال بعثته إلى ألمانيا لنيل درجة الدكتوراه: رسم المناظر الأوربية فاتخذت أعماله المظهر التجريدى ذو البعد الموسيقى.

أقام الكثير من المعارض فى مصر وألمانيا وبلجيكا والنمسا، وقد اختير عضواً فى لجنة تحكيم معرض ترينالى النرويج الدولى، وبينالى المجر. وقد تولى مهمة المشرف العام بمعرض ترينالى الجرافيك العالمى الذى أقيم فى القاهرة ١٩٩٧. له مقتنيات بمتحف باريس ومتحف الفن المصرى الحديث، وفى سوريا والبلاد الأوربية.

محمود الهندى

عشت فى قرنين

عادل حمودة





مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

عشت فى قرنين
عادل حمودة

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التي أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذي فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً في حوالي «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» في «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

١



البداية.. كاميرا وبيتزا واغتيال وعقد نفسية

لابد أن القرن القادم سيأتى بزمن لا أعرفه ولا يعرفنى .. لا أشبهه ولا يشبهنى .. زمن يحكمه «الروبوت» .. و «الاستشعار عن بعد» لا اللمس والهمس عن قرب .. زمن الحب الموجع عبر الأثير البارد للإنترنت لا عبر الجسر الموصل بين القلب وعيون المحبوب .. زمن يتحمس للتصدير ويحاصر الأشواق بطبقة سميكة - يصعب كسرها - من القصدير .

لكن .. رغم ذلك لا نقدر على الفرار من سيف العصور.. وإلا ذبحنا التاريخ .. فعقارب الزمن ستدور وتدور .. ومواقفنا وعواطفنا لابد أنها أيضا ستدور وتدور .

على أن المؤكد أننا نشعر بلحظات مثيرة .. ملونة من الإثارة والروعة .. نعيش فيها بين قرنين .. ونعبر الجسر الوهمى المعلق بينهما .. بلا تأشيرة أو حدود أو جمارك

أو أسلاك شائكة أو أحلام ضائعة .. وحتى لا نكون تائهين .. ضائعين وحتى لانظل على محطة قطار القرن القادم جالسين .. غير مسافرين لا مفر من أن نقرأ ما جرى لقطار القرن العشرين الذى علينا أن ننزل منه الآن .. ونغادر محطته غير نادمين .

من المؤكد أنها متعة لا حد لها أن نعيش فى قرنين .. أن نرى شمس القرن العشرين تغرب.. وشمس القرن الجديد تشرق .. أن نشعر أن المساحة بين العالمين سواحل مفتوحة .. رحيبة. ونقول إننا مازلنا هنا وأننا كنا هناك.. لكن .. الأكثر إثارة أن نراجع ما كان ونحن نستقبل ما هو قادم .. فالبشر بلا ذاكرة هم مجرد إشاعة تفتقد الشجاعة.

لقد كان القرن العشرون يدرك منذ اللحظة الأولى أنه لا يملك ترف ترك الأشياء الموروثة على حالها .. لم يكن مسموحا له أن يواصل وضع العقل البشرى فى حقيبة الخرافة ويغلق عليها بالمفتاح .. كان عليه فك التعاويذ السحرية التى أصابت هذا العقل بالجهل والشلل . . لم يكن مسموحا له أن يواصل الاستسلام لسطوة القوة الغيبية .. كان عليه أن يضرم النار فيها ويقيم على أنقاضها إمبراطورية العلم القوية.. المبهرة.. لم يكن مسموحا له أن يستسلم للفاشية.. كان عليه أن يعترف بدولة الحرية.. كان عليه أن يجمع كل الذين يحلمون بالتغيير .. ويفتح لهم الضوء الأخضر لينفذوا انقلاباتهم النفسية والسياسية والتكنولوجية والإبداعية كما يشاءون.

لقد جاء القرن العشرون .. لا لينقب عن الذهب والماس والبلاتين وغيرها من المعادن النفيسة.. وإنما لينقب عن المعرفة الإنسانية .. لينقب عن الثروة العقلية والثروة الديمقراطية والثروة الإبداعية.. وكتب ما توصل إليه فى إقرار الثروة القومية التى كانت مثل شجرة أكل من خيرها وتبارك بزيتها المقدس.

منذ مائة عام والقرن العشرون يحفر بأظافره فى عقول البشر لتتحرر من الإقامة الجبرية فى زنزانة الأفكار الخاطئة عن الله والمرأة والفضاء والجسد والآخر والخير والعدل والحق والجنون والموت والحرب والحب والشعر والخوف واللغة والسحر والسماء .

لقد طرق القرن العشرون الباب بعنف ليعلن منذ اللحظة الأولى أنه يعرف ما يريد .. ويعرف كيف يحصل عليه .. لكن .. لا أحد على ما يبدو سمعه .. فقد كان الناس غارقين فى صخب رقصة مجنونة تسمى رقصة «الكيك» .. وهى رقصة ينحنى فيها الراقصون قليلا إلى الأمام وقد فتحوا صدورهم وكأنهم يسبحون فى الماء .. إن هذه الرقصة - التى اخترعها الأمريكيان بيرت ويليامز وجورج وولكر وأدمنها الأوروبيون - أشبه برقصة الفلاحة المصرية التى ترقصها منفردة فى الأفراح .. لكن مع موسيقى زاعقة ومشاركة ضرورية من الرجل .

إن العنف فى الرقص كان بداية التمرد الإنسانى فى القرن العشرين على كل القيود الصارمة التى سادت القرن السابق عليه .. لكن العنف فى الرقص لم يمنع العنف فى الحرب.. فقد كانت القسوة المسلحة تعبر عن نفسها فى فصل جديد من حرب «البوير» التى خاضتها بريطانيا

بشراسة في جنوب إفريقيا وقد بدأ هذا الفصل في أكتوبر عام ١٨٩٩ وواصل مشواره في القرن الجديد .. وهو ما جعل هذه الحرب توصف بحرب «القرنين».

على أنه في الوقت نفسه جاء القرن العشرون بثورة غير متوقعة في علم النفس عندما نشر سيجموند فرويد في ٥ أبريل عام ١٩٠٠ كتابه «تفسير الأحلام» .. وفي اليوم نفسه ولد النجم الأمريكي «سبنسر تريسي» الذي قلب موازين الأداء المسرحي ليجعله غير خاضع لأي قاعدة إلا مشاعر الممثل.

وفرويد هو أشهر علماء النفس حتى الآن .. وهو طبيب وسيكولوجي نمساوي ولد في عام ١٨٥٦، ومات في عام ١٩٣٦ .. وقدم في كتابه «تفسير الأحلام» رؤية جديدة لتصرفات وتفسيرات العقل الإنساني .. ما فيه من عقد وما تسيطر عليه من مخاوف .. واستكمل بهذه الرؤية ما سبق أن فرضه على مدرسة «التحليل النفسي» من نظريات لم يتجاوزها العالم .. مثل الكبت الجنسي واللاشعور والتفرقة بين العقل الواعي الذي نعرفه والعقل الباطن الذي نلقي فيه بكل عقدنا النفسية .. وبهذه النظريات لم يعد المرض النفسي من فعل الشياطين الذين يسكنون البشر وإنما هو من فعل الضغوط الاجتماعية والعائلية وربما السياسية أيضا .. ومن ثم لم يعد المريض النفسي يحرق في الميادين أو يلقى من أبراج الكنائس أو يضرب حتى الموت لإخراج الشياطين من جسده .. بل أصبح مريضا يحصل على حق العلاج وحق الاستمرار في الحياة مثله مثل المريض بالصداع والحمى والإسهال وتصلب الشرايين.. وبما فعله

فرويد تلاشت مساحة كبيرة من الظلام سيطرت على العقول ونهشتها وكانت مرتعا للخرافات والعفاريت .. بما فعله فرويد عرفنا أن سياط القهر والقمع هي التي تسبب الجفاف في نفوسنا وتحولها من جنة بريئة خضراء إلى صحراء جافة خالية من الماء .. صفراء .

وضاعف من أهمية كتاب فرويد الفضيحة الجنسية التي نالت الكاتب المسرحي أوسكار وايلد الذي كان على علاقة شاذة مع اللورد الفريد دوجلاس .. وقد تفجرت الفضيحة بعد وفاة أوسكار وايلد فقيرا معدما في ٣٠ نوفمبر ١٩٠٠ . لقد كان الشذوذ الجنسي عارا بكل المقاييس في بداية القرن .. لكن مع نهاية القرن تغيرت الصورة كثيرا .. فقد سمحت القوانين في بريطانيا بزواج الشواذ .. ووعدهم الرئيس الأمريكي الأخير في هذا القرن بدخولهم الجيش .. لكن لم يستطع أن يفي بوعده .

ونافس الاهتمام بكتاب «تفسير الأحلام» افتتاح أكبر أرض للمعارض في باريس على حوالي ٢٠٠ فدان في ١٥ أبريل ١٩٠٠ واستخدمت فيها لأول مرة المؤثرات الضوئية الكهربائية وعرضت فيها أيضا أول سيارة ركوب .. وأول شريط تسجيل اخترعه فلادمير بولزن .. وأول زجاجة «كوكاكولا» تباع في أوروبا .. مستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية .. وأول كاميرا للتصوير الفوتوغرافي جاءت من الولايات المتحدة الأمريكية ويسهل على غير المحترفين استعمالها .. قدمتها شركة «إيستمان كودك» التي يمكلها جورج إيستمان .. وسميت الكاميرا التي كانت على شكل صندوق أسود صغير «بروني» .. لكن الاختراع الصغير البسيط الذي لم يتوقف أحد عنده كان «الكليبس» أو مشبك

الورق .. لقد توصل إليه مهاجر نرويجى إلى ألمانيا اسمه جوهان وولر لا يتذكره ملايين البشر الذين يستخدمون الكليبس ويجمعون أكثر من ورقة معا دون معاناة أو ألم.

ولكن ملايين البشر يتذكرون موس الحلاقة المنسوب لصاحبه «كومب جيليت» الذى استمر مصنعه فى تجارب يجريها مساعده ويليام نيكرسون لمدة ٦ سنوات حتى توصل إلى الموس الأزرق الرقيق المصنوع من الصلب والذى حلق به الرجال لمرة واحدة فى بداية هذا القرن وبالتحديد فى عام ١٩٠١ وقد تطور ليستخدم أكثر من مرة فيما بعد.

كذلك فإن ملايين من البشر يعرفون جهاز الراديو .. ولكن ربما لا يعرفون أن المخترع الإيطالى جوجليميو ماركونى توصل فى ١٢ ديسمبر ١٩٠١ إلى جهاز إرسال يصل مداه إلى ٣٢٠٠ كيلو متر وأنه استخدمه فى توصيل رسالة من أوروبا ألى أمريكا عبر المحيط الأطلنطى .. وكانت هذه بداية مشجعة فى هذا المجال الذى راح يتطور .. ويتطور حتى وصلنا إلى ما يعرف الآن بثورة الاتصالات.

ولا يعرف ملايين البشر أن فى عام ١٩٠١ كذلك توصلت شركة أمريكية فى نيوجرسى إلى تسجيل الموسيقى على أسطوانة قطرها ٢٤ سنتيمترا (حوالى ١٠ بوصات) ولم يتجاوز التسجيل ١٦ دقيقة .. وهى معجزة بمقاييس بداية القرن .. وهى معجزة راحت تتطور وتتغير حتى وجدنا أجهزة التسجيل على الشرائط الممغنطة .. وعلى أسطوانات الليزر .. وعلى أجهزة التسجيل الرقمية بدون شرائط لمدة ١٦ دقيقة.

فى تلك الأيام أيضا ظهرت وتفجرت موهبة تشكيلية غير متوقعة غيرت خريطة الألوان والخطوط والظلال واللوحات .. بابلو بيكاسو .. كان عمره ١٩ سنة فى ٢٤ يونيو ١٩٠١ عندما أقام فى باريس - التى هاجر إليها من موطنه الأصلى برشلونة فى أسبانيا - أول معرض للوحاته .. وهو المعرض الذى غير مجرى القضاء والقدر المرسوم للفن التشكيلى منذ العصور الوسطى حين كان الرسم ترجمة فوتوغرافية للملامح البشرية .. وحين كانت موهبة الفنان تقاس بقدرته على أن يجعل اللوحة صورة طبق الأصل من الواقع .. لكن .. بيكاسو جاء ليحطم كل هذه القواعد .. فاللوحة بكل ما فيها من خطوط وألوان وعلاقات هى ترجمة لمشاعر الفنان وأحاسيسه .. وليذهب الواقع الفوتوغرافى إلى الجحيم .. لقد استخدم بيكاسو لغة استثنائية دائمة الدهشة والتوتر .. لغة تشكيلية متوحشة .. راديكالية .. توحد بينه وبين الناس .. وهى مرة مغزولة بألوان الشهوات والرغبات .. ومرة مغزولة بخيوط التطرف والجنون .. ومرة تمزج بين حالة السياسة وحالة الكآبة.

وهذه اللغة أكدت حقيقة سادت إبداع القرن العشرين وهى أنه ليس هناك لغة فنية أو أدبية عظيمة بلا حب عظيم.. فلا مجد لمبدع لا يعشق .. سواء كان هذا العشق .. عشق امرأة .. أم وطن ،.. أم فكرة .. كل إبداع ليس له جذر عشق هو إبداع من خشب .. كل لغة تعتبر العشق عورة هى لغة متصحرة .. متصخرة.

وأغلب الظن أن لغة بيكاسو الفنية الجديدة وجدت صداها فى تجميل المبانى الجديدة ومحطات القطار والمترو فى باريس .. واللافت للنظر

أن أول مهندس معمارى يستخدم موجة الفن الحديث فى تجميل المبانى أيضا أسبانى من نفس الوطن الذى جاء منه بيكاسو .. واسمه أنطونيو جودى وبما فعله هذا الرجل خرج الفن التشكيلى من وراء جدران المتاحف ليراه الناس وليستمتعوا به في الشوارع.

وبينما كانت أوروبا تفتش عن الأجمل والأكثر رقيا كانت أمريكا تبحث عن الأكبر والأعلى .. فى عام ١٩٠٢ بنيت فى نيويورك أول ناطحة سحاب وكانت تتكون من ٢٠ طابقا وفيها ٦ مصاعد كهربائية سريعة وتطل على حى برودوى حى المسارح وعلى الشارع الخامس وعلى شارع «٢٣».

وسجلت مصر فى عام ١٩٠٢ أيضا معجزة معمارية من نوع خاص هى بناء سد أسوان الذى انتهى العمل فيه فى ١٠ ديسمبر من ذلك العام.. ويقع السد فى جنوب مدينة أسوان على بعد حوالى ٩٥٠ كيلو مترا من القاهرة وعرضه ٤٠ مترا (١٣٠ قدما) وطوله كيلو متران ونفذه ١١٠٠٠ عامل على مدى ٤ سنوات .. وفيما بعد بنى سد آخر أكبر منه هو السد العالى الذى بدأ العمل فيه فى عام ١٩٥٦ فى عهد جمال عبدالناصر بعد حرب السويس التى خاضتها مصر ضد بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عقب تأميم قناة السويس.

وبينما كان بيكاسو يقوم بانقلابه الإبداعى الكبير فى عام ١٩٠١ كان بعض نجوم السينما الأمريكية الكبار فى «اللفة» لا تزيد أعمارهم على أيام .. أو أسابيع .. مثل كلارك جيبل أشهر ساحر نساء على الشاشة .. وجارى كوبر أشهر راعى بقر فى أفلام «الويسترن» ..

ومارلين ديتريش مؤسسة لعبة الإغراء والأنوثة فى السينما .. ووالت ديزنى أول من قدم أفلام الرسوم المتحركة .. وأول من صنع من عيون الأطفال إمبراطورية فنية متحركة.

ولأن الجديد يولد .. فلابد للقديم أن يرحل لقد ماتت فى ٢٢ يناير ١٩٠١ عن ٨١ سنة أشهر ملكات بريطانيا تزمتا .. الملكة فيكتوريا .. لقد رحلت والإمبراطورية البريطانية توصف بأنها «الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس» وكانت تسيطر على ٢٥٠ مليون شخص فى الهند ومصر والسودان واستراليا وكندا ونيوزيلندا ودول متعددة فى إفريقيا .. لكن أهم ما كانت توصف به الملكة فيكتوريا هو جنونها الذى لا حد له بصرامة التقاليد وعقاب كل من يفكر فى الخروج عليها .. وكانت أكثر قسوة مع النساء .. فالمرأة المحتشمة فى تصورها هى المرأة التى لا تكشف نفسها حتى أمام زوجها .. ولم يكن مسموحا للمرأة أن تكشف سوى وجهها فقط وكانت ملابس النساء واسعة ترتدى تحتها ٣ قطع داخلية على الأقل تنتهى ببنطلون ضيق يصعب التخلص منه.

وورث عرش بريطانيا بعد وفاة الملكة فيكتوريا ابنها وولى العهد الأمير إدوارد الذى توج فى كنيسة «ويستمنيستر» ملكا هو وزوجته الكنسدرا وهما من أصول دانمركية ولهما ستة أبناء.. والمعروف أن كنيسة «ويستمنيستر» هى الكنيسة الرسمية التى تقوم فيها الأسرة المالكة بجميع طقوس الزواج والوفاة حتى الآن .

ولم يكن التزمت فى ذلك الوقت مقصورا على النساء .. كان هناك تزمت من نوع آخر سياسى يعصف بالرجال .. فالنقابات العمالية مكروهة. والأحزاب اليسارية معدومة .. ومن ثم لم يكن أمام

المعارضة السياسية سوى النزول تحت الأرض وممارسة العمل السرى فى الظلام ومطاردة الحكام بالرصاص فى العلن .

فى ٤ أبريل ١٩٠٠ حاول صبى عمره ١٦ سنة متمرد على الملكية قتل أمير ويلز بالرصاص وهو فى زيارة لبروكسل .. وفى ٣٠ يوليو من نفس العام قتل الملك أمبرتو ملك إيطاليا على يد متمرد اسمه أنجلو بريسك .. وفى ١٤ سبتمبر قتل الرئيس الأمريكى ويليام ماكينلى على يد مهاجر بولندى عمره ٢٨ سنة اسمه ليون سوزولوجوذ .. إن الحرية السياسية التى يتمتع بها الناس الآن لم تأت بسهولة . لقد جاءت بعد معاناة وقسوة متبادلة بين المؤمنين بها والمعارضين لها .. وهذه سنة الحياة.. لا أحد يحصل على ما يريد دون ثمن .

ويبدو أن جنون الجريمة السياسية وتفشيها على هذا النحو جعل العالم يستقبل بفرح فى عام ١٩٠١ اكتشاف السير إدوارد هنرى مساعد كبير مفتشى البوليس فى اسكوتلنديارد أن بصمات أصابع البشر غير متشابهة.. لا بصمة مثل الأخرى.. وهو اكتشاف أسهم فى تطوير وسائل البحث الجنائى لفك أسرار وأغوار الجرائم بكل أنواعها .. وبفضل هذا الاكتشاف ولدت القصة البوليسية التى كانت الكاتبة الإنجليزية أجاثا كريستى أشهر من صنع حبكتها الدرامية .. كما كان المفتش الإنجليزى شارلوك هولموز هو أشهر شخصية مخبر بوليس اخترعت فى القرن العشرين .

وقد وجد الأدب البوليسى طريقه إلى السينما فشاهد الناس عشرات الأفلام المثيرة.. لكن فى الوقت نفسه كان الخيال العلمى قد بدأ يتحسس

طريقه إلى الشاشة الفضية .. ويسجل تاريخ القرن العشرين أن أول فيلم من هذه النوعية كان بعنوان «رحلة إلى القمر» .. وقد عرض فى باريس فى مايو ١٩٠٢ وكان صانع الفيلم هو جورج ميلز .

ولم يشأ القرن العشرون أن يدخل على العالم دون أن يقدم للأطفال ما يسعدهم .. إن الدب «تيدى» التى تنام فى أحضان الأطفال حتى الآن قد ولدت فى عام ١٩٠٢ على يد مهاجر روسى إلى الولايات المتحدة لا تذكر الموسوعات اسمه .. ولكنها تذكر أن اسم تيدى هو اسم زوجة الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت وقد كانت الصحف تنشر رسومات كارتون عنها وهى تحمل لعبة على شكل دب .

وفى ١٣ ديسمبر عام ١٩٠٣ سجل إيطالو ماركيونى فى نيوجرسى لأول مرة قراطيس الآيس كريم المصنوعة من البسكويت الهش والمعروف باسم كونو .. وقد أسعد الكونو ملايين الأطفال الذين يعرفون جيدا أن الأيس كريم هو الاكتشاف الخالد الذى لا يتغير بتغير الأيام والسنوات والقرون.

فى ١٣ ديسمبر ولكن عام ١٩٠٥ اكتشف الأمريكيون فطائر البيتزا التى أصبح الأطفال هم الأكبر إقبالاً عليها فى نهاية القرن .. لقد عبرت البيتزا المحيط الأطلنطى إلى أول مطعم أمريكى يفتتح فى شارع «سبرينج» فى نيوريوك لتقديمها .. وقد كانت البيتزا فى البداية طعام العمال الفقراء والمهاجرين من إيطاليا .. وكانت ميزتها هى أنه من السهل حملها وتناولها فى أى مكان وأول بيتزا عرفها الأمريكيون هى بيتزا «نبوليتان» وهى لا تزيد على عجينة مغطاة بالطماطم وجبن

الموتزريلا .. وفي العالم الآن حوالي مليون ونصف المليون مطعم للبيتزا وحجم استهلاكها يزيد في العام على ٣٠ مليار دولار وهو ما يزيد على ميزانية معظم دول العالم الثالث .. ويعد الأطفال هم المستهلك الأول للبيتزا .. فهم يلتهمون ٦٥٪ من كل ما ينتج منها .

لقد جاء القرن العشرون ليخترق منذ اللحظة الأولى كل المجالات الإنسانية المجهولة والمعلومة .. من بصمة الجريمة لفطيرة البيتزا .. ومن أغوار النفس البشرية إلى أسرار الاختراعات العلمية .. ومن الاهتمام براحة الناس اليومية إلى الدفاع عن حقوقهم السياسية .. ومن تنفيذ الانقلابات الفنية إلى التجديد في التصميمات المعمارية .. ومن تطوير وتحسين الحياة على الكرة الأرضية إلى الوصول إلى العوالم السماوية .. إن ذلك بدأ فور تولى القرن العشرين المسئولية .. فقد كان على ما يبدو لا يملك ترف الأنتظار لتنفيذ المهام الكثيرة والثقيلة الملقاة على عاتقة .

إن المشهد الافتتاحي لهذا القرن كان بانوراما عريضة مزدحمة .. كان مشهدا مثيرا .. مدهشا .. قادرا على أن يحرك الأفراد للتخلص من عيوب الأجداد .. وسواد الاستبداد .. ووضع الشعوب في حالة حداد .. وهذه هي معجزة المعجزات .



التانجو

الأولى فى نيويورك

كانت الموسيقى ترسم فى المكان لوحات فرعونية ، رمسيس الثانى يتلقى شعاع الشمس فى قدس الأقداس فى معبده بأبى سنبل ، إيزيس تبكى أوزوريس حتى فاض نهر النيل بدموعها التى صاغت ملامح حورس؛ موكب الملك الشاب توت عنخ آمون يخترق السماء بمراكب الشمس، والدكتور أحمد زويل يتسلم جائزة نوبل من ملك السويد كارل جوستاف الثانى.

إن هذه الصور المتداخلة عكستها نغمات «المارش المصرى» الذى ألفه الموسيقار النمساوى يوهان شتراوس الذى تسلم عليه أحمد زويل جائزته والذى أضفى على حفل تسليم جوائز نوبل الأخير فى القرن العشرين طابعاً خاصاً ، مع أن ميدالية الجائزة التى صممها المهندس السويدى يوهان لنبدنبرج فى عام ١٩٠٢ ، لا تفتقد الحس الفرعونى فعليها صورة الإلهة المصرية القديمة إيزيس وهى خارجة

من بين السحب وعلى وجهها غلالة يرفعها شخص يرمز إلى عبقرية المعرفة فى كشف الحجب والأسرار. لقد نجح أحمد زويل فى التوصل إلى كاميرا تعمل بالليزر تصور حركة تفاعل الجزئيات فى الذرات، فلاحقته جائزة نوبل التى سبق أن فاز بها مصرى آخر ، ولكن فى الأدب هو نجيب محفوظ فى عام ١٩٨٨ ، وكان عمره ٧٧ سنة، فهو من مواليد حى «الحسين» فى يوم الإثنين ١١ ديسمبر ١٩١١ .

وقد سألتنى المذيعة اللامعة سلمى الشماع فى برنامج تليفزيونى على الهواء عن الفرق بين نوبل محفوظ ونوبل زويل، فقلت : إن لأمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة يقول فيها «وأنبغ ما فى الحياة الألم» والمقصود ، أن الحزن هو الذى يصنع الإبداع الأدبى والفنى، أما الفرح فهو سطحى وعاقر ، إن أجمل وأروع الأعمال الإبداعية تخمرت فى رحم الحزن، لكن يبقى أننا أمة من سحر البيان، تنقصنا لغة العلم وقواعد التفكير السليم المنظم بعيداً عن الشعر والنثر واللعب بالكلمات ، ولهذا أنا سعيد أكثر بفوز أحمد زويل بجائزة نوبل رغم أننى أنتمى أكثر إلى نجيب محفوظ، فلعل فوز أحمد زويل بجائزة نوبل يجعل العلماء نجوماً مثل الأدباء والفنانين ولاعبى الكرة، يتبعهم الصغار الذين سيحولون بلادهم إلى وطن كبير.

لقد شاء القرن العشرون أن يمنحنا بعض الثقة فى أنفسنا قبل أن يذوب ويتلاشى ، وربما قبل أن نذوب ونتلاشى نحن أيضاً.

إن جائزة انوبل - التى تنسب لألفريد نوبل مخترع الديناميت - تروى فى حد ذاتها قصة هذا القرن، فلو كان أحمد زويل قد فاز بها فى

نهاية القرن لأنه نجح فى ملاحقة الذرات وهى تلاحق بعضها البعض وتتشاجر مع بعضها البعض فإن الجائزة منحت فى بداية القرن وبالتحديد فى عام ١٩٠٢ لعالم البكتريا الإنجليزى السير رونالد روز الذى اكتشف حركة ميكروب الملاريا فى تسخين الدم واحتراقه ، واكتشف كيفية القضاء عليه، ومع أن أصغر طالب فى كلية الطب يعرف هذا بسهولة الآن فإن هذا الاكتشاف كان معجزة بكل المقاييس فى ذلك الوقت.

وفى العام نفسه حصلت مارى كورى وزوجها بيير ومعهما العالم الفرنسى هنرى بكريل على جائزة نوبل بعد اكتشافهم للراديوم، ولكن الغريب أن ذاكرة البشرية تنسى بيير وبكريل ولا تتذكر سوى مارى كورى ، وربما كان السبب أنها أول امرأة تحصل على جائزة علمية بهذا المستوى، ربما لأن حياتها لم تكن سهلة ولا مريحة.

فى ٧ نوفمبر ١٨٦٧ ولدت مارينا سكلوديسكى التى عرفت فيما بعد بمارى كورى، ولدت فى وارسو فى أثناء الاحتلال الروسى للعاصمة البولندية، وعملت خادمة فى بيت أحد النبلاء الذى خدعها باسم الحب، ولحقت بشقيقتها فى باريس، ودخلت جامعة السوربون وأحبها العالم الفرنسى بيير كورى الذى حملت لقبه بعد أن تزوجها، وأنجبت منه ابنتين ، إيرين وقد حصلت هى الأخرى على جائزة نوبل فيما بعد، وإيف التى سجلت قصة حياة أمها فى كتاب لا يزال العالم يقرأه .

لكن مارى كورى التى كان الشقاء يطاردها منذ اليوم الأول فى حياتها لم تهنأ كثيراً بفوزها بجائزة نوبل فبعد ٤ سنوات من حصولها

على الجائزة قتل زوجها فى حادث تصادم ، على أنه لم تعش راهبة من بعده وأحبت عالما شاباً يصغرها بخمس سنوات كان صديق زوجها وهو بول لانفڤين، وكانت المشكلة أنه متزوج، ولم تتردد زوجته فى فضح العلاقة الخفية، وأصبحت مارى كورى - التى كانت حديث الأوساط العلمية والأرستقراطية - هدفاً سهل المضغ لصحف الفضائح ، وأصبحت هذه السيدة الشهيرة مخلوقا يفر مثل حيوان مطارد فى الشوارع، ورفضت الأكاديمية الفرنسية للعلوم أن تنضم إليها. وكان الرفض مهانة كبرى.

بمرور الزمن نسى العالم الفضيحة الجنسية وبقيت الموهبة والذكرى العلمية، ففى ٢١ إبريل ١٩٩٥ ، نقلت رفات مارى كورى - التى توفيت فى ٥ يوليو ١٩٣٤ - وزوجها إلى مقابر العظماء فى مبنى «البناتون» فى قلب مدينة باريس بقرار من الرئيس الفرنسى وقتها فرانسوا ميتران لتكون أول امرأة تدفن فى هذه المقابر الشهيرة التى تضم رفات فولتير وجان جاك روسو وفيكتور هوجو والسياسى الفرنسى المعروف جان جوريس ورجل المقاومة فى الحرب العالمية الثانية جان مولان ، لقد أصبحت مارى كورى تحت العبارة الدائمة فى البناتون ، «لهؤلاء الرجال العظام كل وفاء الوطن».

وفى ١٠ ديسمبر ١٩٠٦ ، حصل العالم الروسى إيفان بافلوف على جائزة نوبل فى الفسيولوجى عن نظريته المعروفة برد الفعل الشرطى العكسى، وهى نظرية بسيطة وإن لم يرصدها أحد قبله ، فكثير من تصرفات أجسادنا هى رد فعل لأشياء خارجة عنها ، فالذى تعود أن

يأكل فى بيته ، لا يشعر بالجوع مهما طال غيابه عن البيت إلا بعد أن يضع المفتاح فى الباب، والذى تعود أن يدخن مع فنجان القهوة، لا يشعر بحاجته إلى السيجارة إلا عندما يشم رائحة البن، وقد أجرى بافلوف تجاربه على الكلاب ، فالكلب لا يشعر بالجوع إلا إذا دق له الجرس ، وقد أسهمت هذه النظرية فى تفسير الكثير من الغموض فى العلاقة بين الأمراض العضوية المرتبطة بالأمراض النفسية (السيكوسماتيك) كما أنها كانت الأساس العلمى لكل طرق التخلص من عادات الطعام والإدمان.

وقدمت روسيا أيضاً عالما من نوع آخر هو قسطنطين تيزولوكفيسكى وهو الأب الروحى للصواريخ، وقد نشر فى عام ١٩٠٣ أول أبحاثه فى هذا المجال ، وقال كلمته الخالدة التى سعت البشرية إلى تحقيقها فيما بعد وهى «الناس يجب أن يسافروا إلى الفضاء».

وفى ١٠ ديسمبر ١٩٠٧ ، كانت نوبل فى الأدب من نصيب كاتب إنجليزى لأول مرة، هو ريوديارد كيبلينج، وقد ولد فى بومباى فى الهند وتعلم فى لندن ونشر قصصه وأشعاره خلال العشرين سنة التى سبقت حصوله على الجائزة.

لكن ، كانت هناك اختراعات فى بداية القرن العشرين لم يحصل أصحابها على جائزة نوبل رغم أنها كانت الاختراعات الأكثر شعبية فى العالم ، مثل اختراع «الترموس» الذى لا يفارق الغالبية العظمى من البشر فى حياتهم اليومية ، ولكن لا أحد يتذكر مخترع الترموس ، لا أحد يعرف أنه العالم الألمانى رينهولد برجر، لا أحد يعرف أنه قدم

اختراعه للأسواق في عام ١٩٠٣ ، وكان الملصق التجارى الذى يروج له يصور ملاكاً يقف على هلال ويمسك بيده عصا سحرية وتحته عبارة «الترموس الساحر».

لم يتوقف العالم عند مخترع الترموس ولكنه توقف عند صانع ومخرج أول فيلم كاوبوى أمريكى عرض فى العام نفسه ، عام ١٩٠٣ ، إن طول الفيلم لم يزد عن ١١ دقيقة ، وكان عنوانه «سرقة القطار الكبرى» أما مخرجه فهو أدوين بورنرس، وكانت المرة الأولى التى يلجأ فيها صناع الفيلم إلى الخدع السينمائية . وكانت أولى هذه الخدع عاصفة ترابية وهمية .

وفى ٢٢ مايو ١٩٠٤ ، انتبه الناس إلى أن صحيفة «إيلسترادد ميرور» الأمريكية نشرت لأول مرة فى تاريخ الصحافة صورة ملونة ، وكان تلوين الصور الفوغرافية يتم يدويا، ولكن سرعان ما عادت الصحف الأمريكية إلى نشر الصور الفوتوغرافية الأبيض والأسود وهى تسجل افتتاح مترو نيوريورك الجديد فى ٢٧ أكتوبر من نفس العام بسرعة ٤٠ كيلومتراً فى الساعة، وكان القطار الأول قد انطلق من بردوى إلى الشارع رقم ١٤٥ والمعروف أن مترو نيويورك هو المترو الثانى فى الولايات المتحدة بعد مترو بوسطن .

لكن قبل افتتاح مترو نيويورك كانت المدينة الأمريكية الشهيرة مشغولة بقضية اجتماعية من نوع خاص، قضية منع النساء من التدخين فى الأماكن العامة ، والقبض على أى امرأة تخالف هذا القانون، وقد قبض على أول امرأة بهذه التهمة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٠٤ ،

وفيما بعد اعتبرت النساء هذا القانون نوعاً من التمييز العنصرى فرحن يتظاهرن ضده وطالبن بالمساواة فى التدخين فى الأماكن العامة، وحصلن على هذا الحق بعد الحرب العالمية الثانية، وفى الستينيات من القرن أصبح التدخين موضة عارمة تشجعها الأفلام والأقلام التى ظهر نجومها فى السينما وفى صدر المقالات الصحفية وهم يدخنون بشراهة ومتعة ، ولكن فى نهاية القرن بدأت الحملات القوية ضد التدخين ، وتحمس الناس هذه المرة للمنع ، لم يعد مسموحاً بالتدخين فى الأماكن العامة والأماكن المغلقة ورحلات الطائرات وغرف الفنادق ، وتعرضت شركات السجائر الأمريكية إلى هجوم شرس من جميع أجهزة الإعلام والجمعيات الأهلية والهيئات الصحية ووجدت نفسها تدفع أكثر من ١٤٠ مليار دولار تعويضات لضحاياها، على أن ذلك لم يمنع أن القرن العشرين عرف أكثر من مليونى نوع من السجائر ، ولم يغادرنا القرن إلا و٤٥ ٪ من سكانه يدخنون .

فى عام ١٩٠٥ ، ولدت مجموعة من المشاهير تركوا بصماتهم الإبداعية على جسد البشرية ، فى ١٦ مايو ولد الممثل الأمريكى هنرى فوندا ، وفى ٢٩ مايو ولد المغنى البريطانى بوب هوب ، وفى ٢١ يونيو ولد الفيلسوف والمفكر الفرنسى جان بول سارتر ، وفى ١٨ سبتمبر ولدت الممثلة سويدية الأصل جريتا جاربو .

وفى العام نفسه أصبحت رياضة التنس رياضة تمارسها الطبقة الوسطى وعرفت البطولة المفتوحة فى ويمبلدون البريطانية ضربات مضارب النساء لأول مرة، والأهم من مضارب النساء فى ملاعب

التنس كانت أصواتهن فى الانتخابات ، لقد قررت امرأتان فى مدينة مانشيستر البريطانية هما آنى كنسى وتشيرستييل بنكهورست أن تصوتا فى الانتخابات العامة وأن تقوما بحملة سياسية من أجل منح المرأة حق التصويت ، وكانت الدعوة الأولى من نوعها ، فحق الترشيح والانتخاب كان حتى ذلك الوقت للرجال فقط.

ولكن، لا أحد يحصل على حق من حقوقه السياسية دون مقاومة ومواجهة وربما دفع حياته ثمناً لما يريد ، لقد استشهدت امرأة بريطانية اسمها إيميلى ديفيشن فى ١٤ يونيو ١٩١٣ من أجل حق المرأة فى التصويت .. ألقت بنفسها أمام حصان الملك جورج الخامس فأصابها الحصان واسمه «أنمر» بإصابات حادة قتلت على إثرها بعد ١٠ أيام ، وخرج الآلاف من المشيعين فى جنازتها وهم يشعرون بأنها ماتت بهذه الصورة الدرامية من أجل قضية عادلة.

على أن المرأة لم تحصل على حقها فى التصويت إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، ففى ٢٨ ديسمبر ١٩١٨ حصلت المرأة البريطانية على هذا الحق لأول مرة، وكانت قد سبقتها فى الحصول على هذا الحق المرأة النيوزلندية فى عام ١٨٩٣ وكانت أول امرأة تحصل على ذلك ثم تبعتها المرأة الأسترالية فى عام ١٩٠٢ ، ثم تبعتها المرأة الفنلندية فى عام ١٩٠٧ ، وكانت جملة النساء البريطانيات اللاتى حصلن على هذا الحق حوالى ثمانية ملايين ونصف المليون امرأة، ولم يكن هذا الحق سوى امتداد لحقوق أخرى مثل حق العمل وحق الطلاق دون الرجوع إلى الكنيسة ، إن الاستقلال المالى هو الشرط الأول والأساسى لحرية

المرأة ، وقد دخلت المرأة سوق العمل فى عام ١٩١٥ ، وبعد أقل من عام كان هناك حوالى نصف مليون امرأة عاملة ، ولا جدال أن خسائر الحرب العالمية الأولى من الرجال كانت السبب فى قبول المرأة فى سوق العمل، ولم تتردد المرأة من جانبها فى القيام بالأعمال الشاقة فى مصانع الصلب والسيارات، ولم تكتف بالعمل فى التدريس أو التمريض كما هو شائع .

ولم يتح للمرأة العربية أن تحصل على حقوقها السياسية الا بعد موجات التحرر الوطنى فى الخمسينيات والستينيات ، لكن ، كانت حقوق النساء بقرار من السلطة السياسية ، لم تدفع فيها المرأة ثمناً، ولم تبذل شيئاً فى سبيلها ، لذلك فقد ذهبت بقرار كما جاءت بقرار ، وضاعت بسهولة كما ولدت بسهولة ، ومن ثم عاد الظلم ليضع المرأة العربية من جديد فى بيت الطاعة ، إن هذا الظلم ليس شائعة أو خرافة أو لوحة سيريالية ، إنه ظلم مرئى ومسموع ومعروض على شاشة حياتنا اليومية، كما أنه ظلم ثابت كالجبال والأنهار والصحارى فى الوطن العربى.

والقضية ليست فى دخول المرأة البرلمان ، القضية هى بأن الرجل العربى لا يسمح للمرأة بأن تجلس معه على مائدة الطعام فى معظم الأحوال فكيف يسمح لها أن تشاركه فى الرئاسة أو الوزارة أو تقاسمه الحكم ؟

لابد أن نعترف بأن الرجل العربى هو مشكلة المشاكل، فإذا تغير هو تغيرت هى، لا يمكن أن تتحرر المرأة فى كنف رجل عبد، لا يمكنها

أن تتكلم فى ظل رجل لا يعترف بالكلمة الأنثى، وعندما تأخذ المرأة موقعها كإنسان حر ومسئول وعندما يرفع الرجل عنها يده نفسياً وجسدياً واقتصادياً فسوف ترتاح هذه المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج نهائياً من هذه الحرب الصليبية القائمة بين الذكورة والأنوثة.

وبينما كانت المرأة الإنجليزية تحاول الفوز بحق الانتخاب فى عام ١٩٠٥ ، كانت هناك نجمة شهيرة فى روسيا تحفر اسمها فى التاريخ ، هى راقصة الباليه «أناه بافلوفان» تقدم لأول مرة فى مدينة بطرسبرج باليه بحيرة البجع ، إن الروس مدينون لهذه الراقصة الرشيقة كالبجعة بكل سمعتهم فى فن الباليه التى لا يقدر أحد على تجاوزها .

وفى الولايات المتحدة ولكن فى عام ١٩١٠، بدأت فى نيويورك الخطوات الأولى لرقصة التانجو» التى عرفها الجنوب الأمريكى وتسللت منه إلى الشمال ثم عبرت المحيط إلى أوروبا ومنها إلى باقى دول العالم، وقد كان الشباب والفتيات يرقصون التانجو فى بدايتها ثم أصبحت رقصة رومانسية ناعمة من حق جميع الأعمار، ويبدو أن ذلك هو ماجعل التانجو تعيش كل هذه السنوات ، وتستمر إلى ما بعد القرن القادم.

لكن رقصة التانجو لم تنجح فى أن تغطى على حادث أمريكى تاريخى أهم هو اكتشاف الرحالة روبرت بيرى القطب الشمالى فى ٨ إبريل عام ١٩٠٩ ، بعد خمس محاولات سابقة فاشلة جرت خلال سبع سنوات كانت فيها الأبحاث على قدم وساق، وقد أبحرت سفينة روبرت بيرى من الشمال الأمريكى إلى «الجزيرة الخضراء» ثم بدأت مسيرة كبرى لمدة ٣٦ يوماً لمسافة ١٤٥ كيلو مترا قطعها بيرى ومساعده الأسود ماتاوا هانسن .

وبعد عامين ، وفى قسوة الشتاء ، وبالتحديد فى ١٤ ديسمبر ١٩١١ نجح الرحالة النرويجى روالد أمندنسون مع طاقم إنجليزى - بقيادة الكابتن روبرت فالكون سكوت - فى التوصل إلى القطب الجنوبى وتفوق على ٤ محاولات أخرى كان يتنافس أصحابها على ذلك .

إن مثل هذه الاكتشافات كانت مستحيلة فى ذلك الوقت ، ليس فقط بسبب صعوبة الطقس الجليدى ، والمخاطر التى تحيط بهذا المجهول ، ولكن أيضاً بسبب تخلف وسائل المواصلات ، إن السيارة كانت - فى العام الذى اكتشف فيه القطب الشمالى - ضعيفة ، عاجزة ، تسير بالكاد بسرعة ٣٠ كيلومتراً فى الساعة وتكاد تحطم عظام من يقودها فى الطرق الممهدة ، فى ذلك العام قدم «فورد» فى مصانعه بمدينة ديترويت الأمريكية السيارة موديل «T» التى كانت سعرها ٩٠٠ دولار وعجلاتها أشبه بعجلات «الحانطور» ولم تكن متوافرة إلا باللون الأسود، وكانت متنوعة الأعطال .

وفى الوقت نفسه لم تكن الطائرات ترتفع وتحلق فى الجو لأكثر من ٢٤٢ متراً أو ١٣٩٠ قدما، لقد كانت معجزة علمية وتكنولوجية أن يصل إلى هذا الارتفاع الطيار الأمريكى صمويل كودى فى ١٦ أكتوبر ١٩٠٨، وأن تكون رحلته التى قام بها فى بريطانيا فى ذلك اليوم علامة مهمة فى تاريخ الطيران .

والأخطر ، أن بعثات اكتشاف القطبين لم تكن مسلحة بجهاز لاسلكى طلباً للنجدة ، ولذلك فقد دفن تحت الجليد عشرات المغامرين والمكتشفين قبل أن يحققوا أهدافهم ، وخنقت أنفاسهم دون أن يسمعهم

أحـد، إن اللاسلكى كـان جـهـازاً مكلفاً، لا تـقـدر عليـه سـوى شـركـات الملاحة الكبرى ، لم يكن كما هو الآن لعبة فى يد الصغار قبل الكبار ، فيما يعرف بجهاز التوكى ووكى ، وقد نجح جهاز اللاسلكى لأول مرة فى خدمة العدالة والقبض على رجل قتل زوجته فى ٣١ يوليو ١٩١٠ .

إنها قصة طريفة تستحق أن ترو ى ، لقد قتل دكتور هاولى هارفى كريبن زوجته وغادر وطنه إنجلترا هو وابنه بالبحر هارباً إلى كندا فى ٩ يوليو ، وبعد ١١ يوما رست السفينة فى بلغاريا ، ولكن قبل أن تغادرها قرأ قبطان السفينة هنرى كندل خبر الجريمة فى الصحف ، فاستخدم جهاز اللاسلكى فى الاتصال بالشرطة البريطانية التى أرسلت فى سفينة أسرع اثنين من رجالها اللذين لحقا بالسفينة التى عليها القاتل وقبضا عليه ، وشعر الطبيب القاتل بالذهول ، وكان الذهول من نصيب كل الذين تابعوا القصة فى أربعة أنحاء العالم فى ذلك الوقت .



نار الحب..
وجهنم الحرب

كان الحب هو صديقهما المشترك.. شرب القهوة معهما.. لعب بألوان الرسم معهما .. وتدفأ فى الفراش معهما. كان طفلهما الذى يقصان عليه قبل أن ينام قصة الشاب المجنون الموهوب الفقير الذى خطف على حصان أبيض الأميرة النائمة المتمردة على تقاليد المال والبورصة وكتابة عقد الزواج على أوراق الأسهم والسندات. كانت مشبوهة الشفتين .. طائشة الجسد.. تغلى ملايين النجوم فى عينيها.. أما هو فكان مخزون النار والكبريت الذى يقدر على مواجهة رياح المحيط الغامض الشرس الذى كان فى ظهريهما.

إنها المغامرة المصورة.. المثيرة التى حققت معجزة فيلم «تيتانيك» .. أكثر الأفلام نجاحا فى القرن العشرين .. لقد جمع الفيلم بين جرأة العواطف .. وجنون الإثارة.. وعزف على لحن الخلود والوفاء فأرضى الجميع.. وتربع على

عرش السينما فى السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين.. أما القصة الحقيقية فقد وقعت فى ١٥ أبريل ١٩١٢ .

إن تيتانيك أو «النجمة البيضاء» كانت أكبر وأفخر سفينة ركاب تعبر المحيط في ذلك الوقت.. كانت تتجه إلى نيويورك.. قادمة من ثاوثهامبتون وعلى متنها ١٥٠٠ راكب عندما أرسلت ـ قبل ٢٠ دقيقة فقط من منتصف ليلة ١٥ إبريل ـ استغاثة الغرق.

كان يقودها قبطان خبير عمره ٦٢ سنة، هو الكابتن إدوارد سميث .. كان يستمتع بالقيادة فى الليلة الأخيرة .. فقد كانت السماء صافية .. والأمواج نائمة .. هادئة .. لكن فى الساعة التاسعة مساء تلقى القبطان من مساعده نبأ ارتطام السفينة بجبل جليد .. وأدرك القبطان الخبير أن السفينة ستغرق.. ستغرق.. فأرسل على الفور ٤ إشارات استغاثة.. وبدأ إنزال قوارب النجاة .. لكن قوارب النجاة لم تكن بالعدد الكافى.. فلم يخطر على بال صناع السفينة أن تلقى وتواجه هذا المصير.

غرق القبطان مع سفينته .. وضع الكولونيل جوهان أستور زوجته فى قارب نجاة وهو يقول : «وداعا ياحبيبتى .. سنلتقى قريبا» .. لكن ذلك لم يحدث.. ولقى زوج السيدة إيزادورا شتراوس نفس المصير.. وبقيت هى على قيد الحياة.. «لقد عشنا معا ٤٠ سنة، لكننا لم نحقق حلم البقاء فى الشيخوخة معا».. وكانت هذه واحدة من قصص الحب الرومانسية على ظهر تيتانيك.. ويمكن أن تكون هى التى ألهمت صناع الفيلم بما قدموه من قصة حب، لم تحدث فى الواقع .. عملا بالقاعدة الفنية الشهيرة.. أضف إلى الواقع أحلامك.

لم تكن تيتانيك أكبر الكوارث فى ذلك الوقت، وإن أصبحت أشهرها فيما بعد .. إن الزلزال الذى ضرب سان فرانسيسكو فى ١٨ إبريل ١٩٠٦ كان أكبر الزلازل التى شهدها القرن العشرون.. لقد استمر ٣ دقائق كاملة .. وتحطمت مبانى المدينة تماما، وكان عددها ٢٨ ألف مبنى .. أصبحت أطلالا تسد حجارتها المتراكمة الشوارع.. واشتعلت الحرائق لتجهز على ما تبقى دون قدرة على إطفائها .. وفقد المئات تحت الأنقاض .. وتشرد ٢٥٠ ألف شخص فى العراء بدون طعام أو ماء.. فسعوا إلى مغادرة مكان الكارثة بعد أن ضاقت بهم عربات القطارات والحقول والميادين العامة.. وبلغت الخسائر ٢٠٠ مليون دولار بأسعار ذلك الوقت.

وكشفت هذه الكارثة عن وجود أعداد كبيرة من الضحايا لا يحملون أوراقا رسمية .. فقد هاجروا إلى الولايات المتحدة ودخلوها بطرق غير شرعية .. ففى العام الذى وقع فيه الزلزال، كان عدد المهاجرين يزيد على المليون ، بينما المسجلون منهم رسميا لا يزيدون على ٥ آلاف فقط.. وهو ما جعل السلطات الأمريكية تقرر فى العام التالى.. عام ١٩٠٧ تسجيل كل المهاجرين بدون رسوم، وفى مكاتب خاصة فى جزيرة مانهاتن .. والمعروف أن الولايات المتحدة هى أمة ودولة من المهاجرين .. ومنذ عام ١٨٤٠ حتى عام التسجيل دخلها حوالى ١٦ مليون مهاجر .. أغلبهم من أيرلندا وألمانيا والدول الإسكندنافية وإيطاليا .

ويبدو أن فتح الأبواب الأمريكية على مصراعيها لم يحمس فقط الأفراد على الدخول ، وإنما حمس الأفكار أيضا .. ففى نفس العام اقتنى

متحف الفن الحديث في نيويورك أول لوحة لبيكاسو .. وضعها فى القسم غير التقليدى للوحات .

لكن .. لوحات بيكاسو لم تكن بشهرة اللوحات الكلاسيكية الشهيرة .. مثل الموناليزا التى رسمها أشهر فنانى عصر النهضة الإيطالية .. ليوناردو دافينشي .. لذلك لم يهتم العالم بإضافة لوحة لبيكاسو فى متحف الفن الحديث في نيويورك، بقدر ما اهتم وانزعج من سرقة «الموناليزا» من القاعة الملكية فى متحف اللوفر فى باريس فى ٢٢ أغسطس عام ١٩١١ .. إنها أشهر لوحة فى اللوفر، وربما فى العالم كله.. وقد رسمها دافينشي فى عام ١٥٠٣ وهو فى فلورنسا، واقتناها الملك فرانسوا الأول.

بالقطع لم ينتبه أحد فى عام سرقة الموناليزا إلى أنه نفس العام الذى ولد فيه رونالد ريجان الذى أصبح فيما بعد أول ممثل سينمائي يصل إلى البيت الأبيض ، ويصبح رئيسا للولايات المتحدة فى الثمانينيات .. وولد فى العام نفسه الكاتب الأمريكى الشهير تنسى ويليامز ، الذى كتب «عربة اسمها الرغبة» .

ولكن العالم انتبه فى ذلك العام إلى قيام الجمهورية فى الصين بعد أن سقط حكم الأباطرة الذين حكموها لمدة ٤٠٠ سنة.. وقد كان الرئيس الأول للبلاد هو قائد الثورة صن يات، الذى أزاح الإمبراطور الأخير فى أسرة مانشو الحاكمة، الذ ى كان عمره لا يزيد على العامين .. وكان قد تولى السلطة وهو فى «اللفة» منذ ٣ سنوات .. فى ١٥ نوفمبر ١٩٠٨ .

وفى ٢٨ ديسمبر من نفس العام . ضرب زلزال مدينة ميسينا الإيطالية.. قتل فيه حوالى ٨٠ ألف شخص .. وتحولت المدينة إلى كوم من التراب .. وهو ما أوجع قلب العالم وأنساه الفرحة، بتوصل المهندس النووى الألمانى هانز جيجر إلى اختراع جهازه الشهير لقياس الإشعاع النووى، الذى يعرف باسم «عداد جيجر» .. وكان ذلك فى ٧ نوفمبر ١٩٠٨ فى مدينة مانشيستر البريطانية، التى استقر فيها بعد أن هاجر من بلاده .. وفى هذا التاريخ أعلن جيجر أن جراما واحدا من مادة مشعة تنتج ٣٠ مليارا من أشعة ألفا .. وغرف الناس لأول مرة خطورة الإشعاعات النووية والذرية.

لم يمنع اهتمام العالم بالذرة باعتبارها ـ منذ ذلك الوقت ـ علم المستقبل الاهتمام بالتاريخ السحيق للإنسان على الأرض .. أو علم «الأنثربيولجى» .. إن تشارلس دارون الذى صاغ نظرية «النشوء والارتقاء» في كتابه «أصل الأنواع» توقف عند الحلقة المفقودة فى التطور بين الإنسان والقرد .. لكن فى ١٨ ديسمبر ١٩١٢ ، قال العلماء: إن الحفريات التى قاموا بها وضعتهم أمام الحلقة المفقودة عندما عثروا على بقايا ما أسموه بـ «رجل بيلتدون» .. وهى المرحلة المفقودة فى التطور ـ حسب نظرية دارون ـ بين الإنسان والغوريلا .

ويبدو أن العامة خاصة فى الولايات المتحدة ، لم يهتموا بهذا الاكتشاف .. فقد كانت حماستهم لاكتشاف أبسط .. هو افتتاح أول مطعم فى كاليفورنيا فى نفس العام ، يترك الزبائن يخدمون أنفسهم بأنفسهم (SELF-SERVICE) .

وفى العام التالى ، بدأت المطاعم الإنجليزية تقدم بطاطس الشيبسى لأول مرة بعد أن اشتهرت كطبق مستقل فى باريس .. وكان الأمريكيون قد عرفوا هذا النوع من البطاطس فى أحد مطاعم نيويورك فى عام ١٨٥٣ .. وقد لا يتوقف أحد عند هذه الحقيقة إلا إذا عرف أن العالم يأكل كل يوم ١٠ ملايين طن من بطاطس الشيبسى .

لكن .. كل ما جرى فى القرن العشرين قبل عام ١٩١٤ «فى كوم» .. وما جرى فى عام ١٩١٤ فى «كوم آخر» .. إن عام ١٩١٤ هو عام الحرب العالمية الأولى .. إن المقدمات التى جاء بها هذا العام لم تكن توحى بالمأساة الإنسانية التى كان يخبئها .. ففى إبريل منه نشر الكاتب البريطانى إدجار ريك بروجاس أولى رواياته عن شخصية «طرزان» .. وهى الشخصية التى تحولت إلى أفلام سينمائية، وأفلام رسوم متحركة ومسلسلات فى مجالات الأطفال .. وعرضت مسرحية «بيجماليون» لجورج برنارد شو فى لندن .. وفى هذا العام أيضا افتتحت قناة بنما للملاحة أمام السفن التجارية .. وتربط قناة بنما بين المحيطين الأطلنطى والهادى .

بدأت مقدمات الحرب بشق السلام فى أوروبا بجريمة اغتيال فردية راح ضحيتها ولى عهد النمسا .. وقعت الجريمة فى سراييفو .. فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ .. كان ولى العهد النمساوى الأرشيدوق فرانز فرديناند وزوجته دوقة هوهنبرج فى زيارة رسمية إلى البلقان .. وبينما يمران فى شارع ناروى فى المدينة ، أطلقت عليهما النار .. فأصيب الأرشيدوق فى رقبته .. وأصيبت زوجته فى معدتها ، وماتت فى

الحال.. أما زوجها فقد لحق بها بعد ساعات .. أما القاتل فهو شاب صغير لا يزيد عمره على ١٩ سنة ، اسمه جافرليلو برنسيب .. وعضو فى إحدى اللجان السرية الصربية .. وقد فتح بما فعل أبواب الجحيم فى أوروبا والعالم كله .

بعد شهر بالضبط من وقوع الحادث ، بدأت الحرب بين النمسا والمجر ضد صربيا .. وفى أول أغسطس دخلت ألمانيا الحرب ضد روسيا .. وفى ٣ أغسطس دخلتها ألمانيا ضد فرنسا .. وفى ٤ أغسطس دخلتها بريطانيا ضد ألمانيا .. وفى ١٢ أغسطس دخلتها بريطانيا ضد النمسا والمجر .. وفى ٢ نوفمبر دخلتها روسيا ضد تركيا.. وفى ٥ نوفمبر دخلتها بريطانيا ضد تركيا.. وفى ٢٣ مايو عام ١٩١٥ دخلت إيطاليا الحرب ضد النمسا والمجر وفى ٢٥ أغسطس من نفس العام، دخلتها إيطاليا ضد تركيا .. وفى ١٥ أكتوبر دخلتها بريطانيا ضد بلغاريا .. وفى العام الثالث للحرب وبالتحديد فى ٢٧ أغسطس ، دخلت رومانيا الحرب ضد النمسا والمجر وفى اليوم التالى دخلتها إيطاليا ضد ألمانيا. وبعد ٤٨ ساعة دخلتها تركيا ضد روسيا .. وفى ٢٧ سبتمبر دخلتها اليونان ضد بلغاريا .. وفى ٦ إبريل عام ١٩١٧ ، دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب مع بريطانيا وفرنسا وإيطاليا .. ضد النمسا و المجر وتركيا .. وكان دخولها الحرب عنصرا حاسما فى أن يكسبها الحلفاء .

وبإعلان الحرب أجبرت بريطانيا التى كانت تحتل مصر منذ عام ١٨٨٢ ـ رئيس الوزراء المصرى حسين رشدى باشا على قطع العلاقات

مع الدول المعادية لبريطانيا.. ولأن تركيا كانت معادية لبريطانيا ، فقد أعلنت وزارة الخارجية البريطانية انفصال مصر عن الدولة العثمانية ، ووضعها تحت الحماية البريطانية ، وتعيين أول مندوب سام لها هو هنرى مكماهون .

وتحت ستائر الدخان وأصوات المدافع بدأت المؤامرات الدولية على المنطقة العربية لتقسيم تركة «الرجل المريض» فى استنبول .. ففى ٩ مارس ١٩١٦ ، وقعت معاهدة بطرسبرج السرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ، لتقسيم مناطق النفوذ فى الشرق الأوسط.. وبعد أسبوع انضمت إليها إيطاليا .. لكن بعد قيام ثورة ١٩١٧ خرجت روسيا من الاتفاق .

وفى ١٦ مايو ١٩١٦ وقعت اتفاقية سايكوس بيكو .. لتقسيم تركة الإمبراطورية العثمانية بين بريطانيا «التى وقع عنها مارك سايكس» وفرنسا «التى وقع عنها جورج بيكو» وبقيت الاتفاقية سرية حتى كشفها فى ٨ نوفمبر ١٩١٧ ليون تروتسكى مفوض الشئون الخارجية فى روسيا بعد نجاح الثورة وكشف الوثائق الموجودة فى قصر القيصر .

وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، أصدر وزير الخارجية البريطانى آرثر جيمس بلفور ، الوعد الذى عرف بـ «وعد بلفور» .. الذى منح فيه اليهود وطنا قوميا فى فلسطين .. وهو الوعد الذى وصف «بأنه جاء ممن لا يملك لمن لا يستحق» .

وقد استمرت الحرب العالمية الأولى من ٢٨ يوليو ١٩١٤، إلى ١١ نوفمبر ١٩١٨. انتهت بهزيمة ألمانيا واستسلامها وانسحابها من كل

الأراضى الأوروبية التى احتلتها قبل الأول من أغسطس عام ١٩١٤ . وفقدت ألمانيا ٢٥٠٠ من المدفعية الثقيلة ، و ٢٥ ألف مدفع صغير ، و ١٧٠٠ طائرة وكل زوارقها البحرية ، و ٥٠٠٠ مدرعة ، و ١٥٠ ألف سيارة عسكرية .. لكن أخطر ما فى هذه الحرب، أن ألمانيا استخدمت لأول مرة الأسلحة الكيميائية فيها .. وأطلقت على الجبهة الغربية ما عرف بقنابل الجاز .. وكان ذلك فى ٢٣ إبريل ١٩١٥ .

أما أطرف ما أسفرت عنه الحرب فهو اختراع «السوستة» .. لقد كان الاستخدام الأول للسوستة استخداما عسكريا فى ملابس الجنود الأمريكيين ، حتى يسهل عليهم قفل وفتح ملابسهم العسكرية بسرعة .. وقد استخدمت السوستة لأول مرة فى عام ١٩١٥ .. وقد صممها مهندس نسيه الملايين من الناس الذين يستخدمون السوستة الآن فى عشرات ، بل مئات الأشياء المدنية .. هو جدعون سندباك.

وفى عام «السوستة» جرت فى العالم أكبر مجزرة فى القرن العشرين .. فى أرمينيا .. على يد الأتراك .. لقد كان «الأرمن» يموتون كل يوم بالآلاف.. يذبحهم الجنود الأتراك مع كل وجبة من وجبات الطعام اليومية .. بمعدل وصل فى بعض الأيام إلى ٢٤ ألف قتيل ، حتى وصل عدد ضحايا المذابح أكثر من مليون ونصف المليون من الأرمن .. وقد وصل من استمتاع الأتراك بالقتل ، أنهم كانوا يدفنون الأرمن فى الأرض بطولهم ، بحيث لا يظهر فوق سطح الأرض سوى رءوسهم، التى كانوا يستخدمونها ككرة يضربونها بسيوفهم وهم فوق جيادهم .. إن هذه المذابح هى السر فى العنف الذى يمارسه الأرمن

حتى الآن ضد الأتراك، انتقاما مما جرى ومما كان ، قد هاجر الأرمن بسبب هذه المذابح إلى أماكن كثيرة منها مصر التى فتحت لهم أحضانها ، فكان أن ردوا لها الجميل بتعليم أبنائها الكثير من الحرف التى جاءوا بها مثل الطباعة والخراطة والسباكة ، وكان من بين الأرمن واحد من أقدم رسامى الكاريكاتير هو صاروخان .. ومن بينهم نجوم سينما مثلى نيللى وفيروز ولبلبة.

وفى عام «السوستة» أيضا.. أصبح شارلى شابلن نجما محبوبا .. لكن الأكثر شهرة ونجومية منه، كانت مارى بيكفورد.. إنها أول نجمة سينمائية يعرفها العالم.. ويصبح اسمها وحده كفيلا بنجاح الفيلم.. وشاركها فى ذلك النجم السينمائى ويليام هارت .. هما معا اللذان أسسا لعبة أو لعنة النجوم فى السينما .. وهى اللعبة أو اللعنة ، التى لم تتخلص منها السينما حتى الآن فى هوليوود، وفى خارجها .. وقد كان وجه ويليام هارت جامدا صارما معبرا عن نجاحه فى أفلام الكاوبوى التى كان لها الصدارة الجماهيرية .. وقد قدم فى عام ١٩١٥ وحده ١٨ فيلما بمفرده .. أما مارى بيكفورد ، فقد كانت تمثل الجاذبية والجمال ، وكان عمرها ١٦ سنة عندما أصبحت «سوبر ستار» .. والمثير أنها بدأت بأجر يومى ١٠ دولارات .. ثم بعد أن حظيت بالشهرة والنجومية رفعت أجرها إلى ٢٠٠٠ دولار فى الأسبوع .

لكن فى العام التالى لعام «السوستة» .. عام ١٩١٦ .. عرف العالم زجاجة «الكوكاكولا» بشكلها المميز .. عرف الزجاجة مسحوبة العنق .. واسعة البطن .. ضيقة الخصر .. لقد جربت الكوكاكولا عشرات من

تصميمات الزجاجات منذ عرفها الناس فى عام ١٩٠٠ . لكن لم يكن النجاح حليفها .. على أن هناك سببا أهم للنجاح إلى جانب .. التصميم الجديد للزجاجة ، هو إضافة «الصودا» إلى المشروب .. وكان صاحب هذه الفكرة هو «جون بجرتون» والطريف أنه كان ينافس الكوكاكولا مشروب أخر يسمى "7X" لم ينجح هو الآخر ، إلا بعد أن تغير اسمه إلى "7UP" .

ورغم انتشار الكوكاكولا فى العالم كله خلال القرن العشرين ، إلا أن الأمريكيين اعتبروها رمزاً لثقافتهم وسياستهم وطريقتهم فى الحياة مع ساندوتش «البرجر» .. إن الغزو الأمريكى يبدأ دائما بالكوكاكولا وماكدونالدز.. وهو ما اعتبره البعض تهديدا للهوية القومية فى مواجهة العولمة الأمريكية .. وهى قضية مهمة تفرض نفسها على الباحثين والمفكرين والمثقفين الذين يشعرون بالخوف مما يسمى بالغزو الثقافى الغربى أو يشعرون بالخوف على ما يسمى بتهديد الهوية والشخصية الوطنية.

وبينما كان الأمريكيون يستمتعون بالمشروب الجديد كان الأوروبيون يستمتعون بقراءة أول كتاب عن نفرتيتى ، صدر فى ١٦ ديسمبر عام ١٩١٦ ، بعد حوالى ٤ سنوات من اكتشاف رأس نفرتيتى فى ٦ ديسمبر عام ١٩١٢ . اكتشفها عالم الآثار الألمانى لودفيج بورشاد فى تل العمارنة .. وكانت بحالة جيدة.

وفى ١٦ ديسمبر ١٩١٦ ، كذلك قتل الأمير الروسى فيلكس يوزوبوف ، الراهب الفاجر جريجورى راسبوتين .. إن راسبوتين - الذى

كان يجمع بين القوة الجسدية والقدرة النفسية ـ شخصية دخلت التاريخ من أسوأ أبوابه . لقد بدأ حياته فى أسرة فقيرة .. فى قرية صغيرة ، ونجح فى السيطرة على القيصر وأسرته ، وأقام علاقة مع زوجته .

ولد راسبوتين في عام ١٨٧٠ ، وكان عضوا فى جماعة دينية سرية تؤمن بقدرات الشيطان الخارقة .. وقد جاء إلى مدينة سان بطرسبرج فى عام ١٩٠٥ ، ونجح فى السيطرة على عقول النبلاء ، وقلوب نسائهم وعلى رأسهم تاسار نيكولاوس وزوجته ألكسندرا .. وفى عام ١٩١٥ نصب نيكولاوس نفسه قائدا على الجيوش الروسية التى تقاتل فى الحرب العالمية الأولى ، وترك زوجته فى أحضان راسبوتين .

وقد نجا راسبوتين من الموت ثلاث مرات .. لكنه فى هذه المرة فارق الحياة بعد أن أفسدها .. وأسهم دون أن يقصد فى انهيار القيصرية فى روسيا .. فبعد أشهر قليلة كانت الثورة الشيوعية تدق الأبواب ... وهذه قصة أخرى .

٤

ثورة.. وجاسوسية.. ومينى جوب

من الكلمات المأثورة للرئيس جون كيندى «إن الحرب أنثى» ، وأغلب الظن أنه لم يكن يقصد أن الكلمة مؤنثة ، فالقضية السياسية والاستراتيجية بالنسبة له لم تكن قضية لغة، وإنما كانت قضية مصالح وعلاقات تغيرها الحروب ، إن الثروة والسلطة والقوة والخريطة ، وهى كلمات مؤنثة ، لا تكون بعد الحرب مثلما كانت قبلها.

إن السياسى الذى لم يعش الحرب هو سياسى لم يعرف شيئاً ، والسياسى الذى يمارس السياسة مع النصوص وينام مع الوثائق والمخطوطات ويستخرج الواقع من بطن القواميس هو سياسى مختبرات تكوّن فى رحم الأنابيب.

واللافت للنظر أن جون كيندى الذى وصف الحرب بالأنثى ولد فى سنوات الحرب العالمية الأولى، وبالتحديد فى ٢٩ مايو ١٩١٧ ، وفى العام نفسه ولد الكاتب البريطانى

الشهير أنتونى بيرجس ، والسياسية الهندية أنديرا غاندى ابنة الزعيم الهندى جواهر لال نهرو، لقد شاعت نظرية كيندى فى الحرب أن تتحق وهو لايزال طفلاً صغيراً يصرخ طلباً للحليب.

لقد كانت اللغة التى تكلمها العالم بعد الحرب العالمية الأولى هى لغة جديدة ، فيها الإيمان بالحرية ، والدعوة للاستقلال الوطنى ودعم الثورة وحرية المرأة ، بل إن التغيير لم ينتظر توقف مدافع الحرب وقد بدأ والحرب لا تزال مشتعلة ، ساخنة ، إن أكبر تغيير سياسى جرى فى القرن العشرين هو انتصار الثورة الشيوعية فى روسيا ، لقد قلبت هذه الثورة التى قامت فى شهر أكتوبر جميع الموازين السياسية والعقائدية، والعسكرية والاقتصادية، لم يعد العالم بعدها خاضعاً لقوة نظام واحد منفرد هو النظام الرأسمالى.

وقد استمر العالم متأرجحاً ومتوازناً بين قطبين طوال حوالى ٨٥ سنة حتى قدر له أن يعود من جديد لنظام القوة الرأسمالية الوحيدة والمتجبرة بعد سقوط النظام الشيوعى وتفكيك الاتحاد السوفيتى فى التسعينيات ، لقد انتهى القرن العشرون كما بدأ ، بنوع واحد ووحيد من النظام السياسى والاقتصادى.

لكن قبل أن نقفز إلى التسعينيات علينا أن نراجع التغيرات التى قلبت العالم فى عام ١٩١٧، بعد ثورة أكتوبر البلشفية ، إن زعيم الثورة فلاديمير إيليتش لينين ولد فى عام ١٨٧٠ ، ومات فيما بعد فى عام

١٩٢٤، وهو من أبرز رجـــال القـــرن ، ومن أبرز منظرى ومطورى الماركسية التى تنسب لكارل ماركس، وكارل ماركس هو أيضاً واحد من أهم الشخـصيـات التى أثرت فى القـرن العشرين رغم أنه ولد وعـاش ومات فـى القرن السابق ، فهو من مواليد ١٨١٨ ، وقد رحل عن العالم فى ١٨٨٣ ، ولكن نظريته فى المادية الجدلية والتاريخية والتى وجدت من يطبقها فى الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية وأوروبا الشرقية وكوبا ودول أخرى جعلته أهم شخصية فى القرن العشرين حسب كثير من الاستفتاءات الغربية التى اشترك فيها مفكرون وسياسيون وفلاسفة وصحافيون.

درس لينين القانون وأصبح محامياً فى عام ١٨٩١، وعارض هو وشقيقه ألكسندر السياسة القيصرية فكان أن قضى ٣ سنوات من النفى والعقاب فى سيبيريا فى الفترة من ١٨٩٥ إلى ١٨٩٨ ، وفى خلال هذه الفترة تعمق فى دراسة الماركسية وكيفية تطبيقها كعقيدة سياسية ، وبعد أن غادر سيبيريا أسس الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى فى مؤتمر صحفى عقده فى لندن فى عام ١٩٠٣ ، ثم سافر إلى سويسرا لتكوين قواعد الحزب، ودعمها فى داخل روسيا وعندما قامت الثورة كان فى باريس.

كان مساعد لينين الأول فى الحزب والثورة هو ليون تروتسكى ، ولكن خلافاً عقائدياً وفكرياً وواقعياً اشتعل بينهما فكان أن انقسمت الأفكار الشيوعية بين اللينينية والتروتسكية ، ولأن الثورة تأكل أبناءها فقد أصبح تروتسكى خارج السلطة.

كانت الولايات المتحدة قد دخلت الحرب التى بدت أنها على وشك أن تضع أوزارها، وفى الوقت نفسه سجلت موسوعات الأرقام القياسية تربع شارلى شابلن على عرش نجومية السينما ، ففى عام ١٩١٧ ، وقع عقداً ـ لأول مرة فى تاريخ السينما ـ بمليون دولار مع شركة «فيرست ناشيونال فيلم» وفى نفس العام ولكن فى يوم ١٧ يوليو تغير لقب العائلة الملكية البريطانية من «ساكسكوبرج» إلى «ويندسور».

وفى نفس العام ولكن فى يوم ١٥ أكتوبر أعدمت أول جاسوسة فى التاريخ الحديث هى «ماتا هارى» إن المرأة ليست الأقدم فى مهنة الدعارة فقط وإنما هى الأقدم فى مهنة التجسس أيضاً، ففى الإصحاح الثانى من سفر يشوع فى التوراة أن يشوع بن نون أرسل رجلين إلى فلسطين ليكتشفا الأرض المقدسة قبل غزوها وأرشدهما إلى بيت امرأة زانية اسمها رحاب أو راحاب ، فذهبا إليها وناما فى فراشها، وكانت هى العين التى يريان بها والأذن التى يسمعان بها ، إن رحاب كانت أقدم عاهرة وجاسوسة معا فى التاريخ ، وقد سجلت التوراة قصتها ورفعتها إلى مرتبة القديسات.

لكن لو كانت رحاب الزانية هى الأقدم فإن ماتا هارى هى الأشهر ، وماتا هارى اسمها الحقيقى مرجريت جرترود ، وهى الأنثى النموذج فى تاريخ التجسس ، وهى التى أطلقت على نفسها ماتا هارى ومعناها «عين الصباح» فالرجال كانوا يرون النهار ـ فى عز الليل والظلام ـ إذا ما خلعت ثيابها.

وقد كانت تحترف الرقص المتوحش الشهوانى ، تفك ضفائرها ، تطلقها ، تجعل شعرها الغجرى المجنون «يسافر فى كل الدنيا» ، وتحرك أساورها المصنوعة من الذهب والياقوت فترتطم ببعضها البعض فتخرج نغمات من لحن خاص مميز ، يمتزج بعطرها القوى المستخرج من زيوت الشرق ، ومع الموسيقى الاستوائية الصاخبة يتلوى جسدها فتخرج عيون الرجال من محاجرها ومناجمها ، وهؤلاء الرجال إما كانوا جنرالات أو رجال مال أو زعماء ، وما أن تنتهى الرقصة حتى يسارعوا بإلقاء المجوهرات والأسرار الثمينة ـ مثل القرابين ـ تحت قدميها.

وقد ولدت ماتا هارى فى هولندا وعندما غادرتها فى عام ١٩٠٣ ، إلى باريس تركت وراءها طفلة من رجل آسيوى لا يزيد عمرها على ٣ سنوات ، اسمها باندا ماكلويد ، أو زهرة عباد الشمس.

فى باريس جندها ضابط مخابرات ألمانى ، أحبته ، منحته نفسها لكنه لم يتردد فى أن يستغل ذلك لصالح بلاده ، فبدأت تعمل لحسابه ، ودخل فراشها كبار قادة بريطانيا وفرنسا ، وخرجوا منه وقد أفرغوا ما فى جعبتهم من أسرار ، وعندما انكشف أمرها ، أعدمت رمياً بالرصاص.

لكن ابنتها الوحيدة لم تعرف ما جرى لها حتى بلغت العشرين من عمرها ، لقد ظلت باندا ماكلويد مع والدها الأندونيسى وزوجته ، كانت تجمع بين نضارة أوروبا وحيوية آسيا فاستحقت أن توصف بزهرة الشمس.

وتزوجت من موظف كبير سرعان ما مات بالحمى الاستوائية ، فكان أن انغمست فى الحياة الاجتماعية والأدبية فى المجتمع الأندونيسى ، وعندما احتل اليابانيون أندونيسيا وطردوا منها الهولنديين طلب منها ضابط فى المخابرات اليابانية (الكمبتاى) أن تتعاون معهم مستغلة جمالها وصالونها الثقافى، وحتى ترضخ هددوها بالقتل وبكشف حقيقة أمها، وكان أن استسلمت لهم، ولكنها قررت فى الوقت نفسه الانتقام منهم، ووجدت فى صديقها الكولونيل عبد الله شريكاً لها فى الانتقام من اليابانيين وكان الكولونيل الشاب عضواً في منظمة سرية لمقاومة الاحتلال اليابانى ، وقد أمدته بمعلومات حيوية عن تحركات وعمليات الجيش اليابانى فى أندونيسيا، التقطتها من الضباط اليابانيين الكبار الذين كانوا يصفونها فى الفراش بثمرة جوز الهند.

ونجحت معلومات باندا فى تجنيب الثوار العديد من الضربات الموجعة بالإضافة إلى كشف القوات اليابانية ، مواقعها وأسلحتها ، مما مهد لهبوط الجنود البريطانيين فى أندونيسيا فى عام ١٩٤٥ ، وخرج المحتل اليابانى وعاد المحتل الهولندى ، ولكن علاقة باندا بالتجسس لم تنته، فقد جندتها المخابرات الأمريكية للتجسس على ثورة ماوتسى تونج فى الصين ، وبعد تدريب مكثف استمر ٣ أشهر ظهرت فى ثوب ممرضة فى شنغهاى ، ثم ساقية فى بار، ثم موظفة فى مقر الزعيم الصينى، وراحت ترسل للأمريكيين تقارير وافية عن الحركات الشيوعية فى جنوب شرقى آسيا ، ولم يكشفها سوى الكوريين الشماليين، فطلبوا أن تعمل معهم ، لكنها رفضت قائلة «لم أعد أستطيع ، لم أعد

أقدر، وفى يوم ٢٤ مايو ١٩٥١ ، أعدمت فوق ثلوج كوريا مثل أمها رمياً بالرصاص ، وفوق الجليد سقطت زهرة الشمس.

لقد كانت ماتا هارى أقدم وأشهر جاسوسة فى القرن العشرين ، وقد كان كشفها مفاجأة مذهلة لمناهضى المساواة وحقوق النساء ، فها هى المرأة يمكن أن تركب الخطر، وتتعامل معه ، وتسهم فى تغيير مصائر الدول ، ولكن، لم تبرز المرأة فى ذلك الوقت فى التجسس فقط وإنما برزت أيضاً في جميع المجالات ، لقد نزلت المرأة بكثافة إلى سوق العمل فى عام ١٩١٨ ، عام نهاية الحرب العالمية الأولى، وفى هذا العام أيضاً عرف العالم اثنتين من قيادات العمل النسائى هما مارى ستوبيس ومارجريت سينجر ، لقد لعبتا دوراً واضحاً فى تغيير الأفكار الاجتماعية والنفسية والعاطفية والجنسية للمرأة ، لقد نشرت مارى ستوبيس كتابها الشهير «الزواج عن حب» الذى فتح مناقشة حادة وساخنة حول تعليم الجنس للنساء وممارسته بحرية مع الرجال ، وقد لاقى الكتاب إقبالاً مجنوناً وترجم إلى ١٣ لغة ، ونشرت مارجريت سينجر كتابها «حدود الأسرة» ناقشت فيه ضرورة وضع قواعد جديدة للعلاقات داخل الأسرة بحيث لا يكون للرجل فيها سلطة إلا بقدر الدور الذى يلعبه ، إن الحرب لم تغير العلاقات السياسية والاستراتيجية فقط وإنما غيرت العلاقات الاجتماعية والعائلية والجنسية كذلك.

وفى ١٥ يناير من العام التالى ، عام ١٩١٩ ، وقعت حادثة سياسية أكدت دور المرأة فى المعارضة السياسية ، لقد لقيت الثائرة الاشتراكية روزا لوكسمبورج مصرعها هى والمفكر الشيوعى كارل ليبنيشت على

يد رجال الشرطة الذين كانوا قد ألقوا القبض عليهما بتهمة اعتناق وترويج الأفكار «الهدامة».

ولعل أقوى التغيرات السياسية التى وقعت فى عام ١٩١٨ كانت فى ٨ يناير عندما أعلن الرئيس الأمريكى وودورد ويلسون مبادئه الأربعة عشر التى طالب فيها بتحقيق الاستقلال الوطنى للمستعمرات التابعة للدول الاستعمارية.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية كذلك وقع فى ١٧ أبريل ١٩١٩ عقد شركة «يونيتد أرتست» التى أصبحت فيما بعد من أشهر شركات السينما فى هوليوود، وفى ٢٥ مايو من نفس العام، وفى نفس الدولة أعلن البروفيسور روبرت جودارد عن تطورات مذهلة فى صناعة الصواريخ التى يمكن أن ينطلق بها الإنسان إلى القمر، وفى ١٤ فبراير من نفس العام ولكن فى العاصمة الفرنسية باريس صوتت ١٧ دولة على ميثاق «عصبة الأمم» وهى المنظمة الدولية التى تكونت بعد الحرب العالمية الأولى لحفظ السلام وتحقيق الرخاء.

وفى ٨ مارس من نفس العام ولكن فى مصر اشتعلت ثورة ١٩١٩، بعد أن اعتقل الإنجليز سعد زغلول ورفاقه فى وفد الحركة الوطنية المصرية إلى لندن لعرض مطالب الاستقلال ونفيهم إلى مالطا.

وقد نفى سعد زغلول ورفاقه مرة أخرى بعد الأحداث الدامية التى وقعت ٢٥ مايو عام ١٩٢٥، لقد انفجرت المظاهرات وأعمال العنف وسقط عشرات القتلى فى ذلك اليوم فى أعقاب خطاب ألقاه سعد زغلول فى شبرا انتقد فيه حكومة عدلى يكن باشا إثر خلاف بينهما على رئاسة

الوفد المصرى إلى مفاوضات استقلال مصر ، أدان سعد زغلول فى خطابه وزارة عدلى يكن وقال إنها لا تمثل الأمة «لا حقيقة ولا حكماً بل تمثل سلطة الحماية المفروضة عليكم» واعتبر رئاسة عدلى يكن لوفد المفاوضات «معناها أن جورج الخامس (ملك بريطانيا) يفاوض جورج الخامس».

سقط فى المظاهرات التى توالت يومياً ٤٣ قتيلاً و ١٢٩ جريحاً من المصريين و ١٥ قتيلاً و ٧١ جريحاً وسقطت فى المظاهرات حكومة عدلى يكن أيضاً ورفع المصريون شعار «الاحتلال مع سعد أفضل من الاستقلال مع عدلى» ، ولم تمر فترة من الزمن حتى اعتقل من جديد سعد زغلول ورفاقه إلى جزر سيشل ثم جبل طارق، ولم يهدأ المصريون إلا بعد أن عاد سعد زغلول ورفاقه إلى مصر.

إن ثورة ١٩١٩ هى الثورة الليبرالية التى جاءت بالدستور وحرية الصحافة ومهدت الطريق لإقامة الجامعة، وفى هذا المناخ ازدهرت الحياة الثقافية والفنية فى مصر ، وازدهر الاقتصاد الوطنى الحر الذى كان رائده طلعت حرب الذى كان قد أسس «بنك مصر» فى نفس عام الثورة ولكن فى يوم ٧ مايو.

وبعيداً عن الثورات والمظاهرات وجد العالم نفسه أمام كارثة من نوع آخر، لقد حصدت الأنفلونزا الأسبانية فى عام ١٩١٩ ، حوالى مليون شخص، وكانت قد قضت من قبل على حوالى ٢٠ مليون شخص، وكأن هذا الفيروس الصغير اللعين كان أخطر على البشرية من الحروب العالمية ، وبدأت المعركة التى لم تنته إلى اليوم بين الأنفلونزا - التى راحت فيما بعد تتنكر فى جنسيات أخرى - وبين العلماء والأطباء.

ولم يتح للعالم - الذى كان يعطس ويرتعش من الأنفلونزا الأسبانية - أن يتذكر أنه فى ١٧ أكتوبر من عام ١٩١٩ ، تكونت أول شركة طيران تجارية فى العالم وهى K.L.M ولم يتح للعالم أن يتذكر أنه فى العام التالى عام ١٩٢٠ ، بيع الآيس كريم الممسوك بعصا صغيرة فى نهايته لأول مرة ، وكان ذلك فى بار يملكه فى نيويورك «هارى بيرت».

ويبدو أنه كان من المتوقع أن تبدأ البارات - التى كان عددها فى نيويورك وحدها ٥٠٠٠ بار - فى بيع «الآيس كريم» بجميع أنواعه بعد القرار الذى اتخذ فى ذلك العام بتحريم وتجريم شرب وبيع الخمور فى ٣٣ ولاية أمريكية.

وفى ٢٠ يناير عام ١٩٢٠ ولد المخرج الإيطالى فريدريكو فللينى الذى أسهم فى تأسيس الواقعية السينمائية.

وفى ٣ مايو عام ١٩٢٠ ولد كارلو وجيتيلا الذى أصبح فيما بعد البابا يوحنا بولس السادس «بابا الفاتيكان».

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٢٠ ، ولدت شخصية «شارلوك هولموز» أشهر شخصية بوليسية فى النصف الأول من القرن العشرين على الأقل، وقد اخترعها الكاتب الإنجليزى آرثر كونان دويل الذى كان مصوراً صحفياً بارعاً ينشر صوره وكتاباته فى مجلة كانت شهيرة تسمى «ستراند».

وفى اليوم نفسه أعلنت الصحف الأمريكية أن الجرامفون (الذى اخترعه توماس أديسون فى ١٢ أغسطس ١٨٧٧) قد أصبح جهازاً جماهيرياً تستمع العائلات المتوسطة إليه وتستمتع به بعد أن أصبح سعره فى متناولها.

لكن، الأهم من خبر الاستماع للموسيقى عبر اسطوانات الجرامفون كان خبر الاستماع للغناء على الهواء عبر جهاز الراديو ، لقد فعلتها مغنية الأوبرا نلى ميلبا عندما غنت للناس مباشرة بمصاحبة أوركسترا النمسا السيمفونى الذى دفعت له فى هذا الحفل ١٠٠٠ جنيه استرلينى ، وكانت أشهر أغانيها فى تلك الحفل «هوم سويت هوم» أما الشركة التى أشرفت على نقل الحفل فكانت شركة «ماركونى» الإنجليزية.

وجاء عام ١٩٢٠ ، بخبر يهم النساء حتى الآن، نزول عطر «شانيل - رقم ٥» إلى الأسواق ، إن هذا العطر الذى توصل إليه المصمم كوكو شانيل والكيميائى أرنست بوكس هو أشهر العطور الفرنسية ، وقد سمى برقم «٥» لأنه أصبح متاحاً للنساء فى يوم «٥» من شهر «٥» أو شهر مايو.

لكن، الأهم من عطر شانيل كان التوصل للأنسولين لعلاج مرضى السكر ، ولا أحد من الملايين التى أنقذ الأنسولين حياتها يعرف أن الذى توصل إليه هما الدكتور فردريك بينتنج وتشارلس بيست ، وحدث ذلك فى عام ١٩٢١ .

على أن مصر كانت مهتمة بحادث من نوع آخر هو إعدام ٦ أفراد فى عصابة الأختين ريا وسكينة فى ٢١ و٢٢ ديسمبر ١٩٢٠ ، وكانت العصابة قد اشتهرت بقتل النساء وسرقة مصوغاتهن ، وقد أعدمت ريا وسكينة وأعدم زوجاهما حسب الله سعيد ومحمد عبد العال ومساعداهما عرابى حسان وعبد الرازق يوسف ، وكانت العصابة قد قتلت ١٧

امرأة، وقد تحولت هذه العصابة لأكثر من عمل فنى سينمائى ومسرحى ، درامى وكوميدى ، فقد كانت الأكثر شهرة فى تاريخ الجريمة فى مصر.

وفى ٦ ديسمبر ١٩٢١ ، أصبحت أيرلندا دولة مستقلة ولكن تحت رعاية التاج البريطانى بعد أكثر من ٥٠٠ سنة من التبعية والحروب الدموية ، لكن، المشكلة الأيرلندية لم تحل، فقد طالب الأيرلنديون بالاستقلال التام والانفصال الكامل، ولو كانت الحروب بينهم وبين البريطانيين قد توقفت فإن الأعمال التخريبية والاغتيالات والتفجيرات لم تتوقف، وظلت المشكلة ساخنة حتى اقترب القرن العشرون من نهايته، فكانت معاهدة جديدة للسلام، ورغم ذلك فإن المشكلة وجدت طريقها إلى القرن الجديد، والألفية الثالثة.

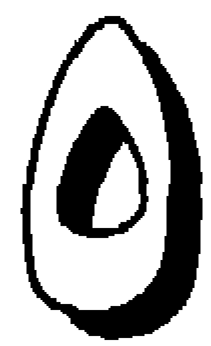
ولكن ، قبل هذا التاريخ، وبالتحديد فى ١٢ أكتوبر ١٩٢١ ، قتلت الشرطة فى مصر المتمرد الشقى أدهم الشرقاوى فى كمين أعدته له بالقرب من قرية زبيدة التابعة لإيتاى البارود ، وكان عمر أدهم لا يزيد على ٢٢ سنة ، وهو حاصل على الشهادة الإبتدائية ، دخل السجن لأول مرة فى عام ١٩١٧ ، فى قضية سرقة فحكم عليه بالأشغال الشاقة لكنه هرب من السجن أثناء ثورة ١٩١٩ ، ليشكل عصابة لقطع الطريق ، والمثير للدهشة أن المصريين حولوه إلى بطل شعبى مثله مثل روبين هود بدعوى أنه يسرق الأغنياء ليعطى الفقراء ، وهو خطأ شائع أسهم فى تدعيمه كتاب الدراما الذين خلدوا هذه الشخصية أكثر مما خلدوا العلماء والأدباء.

ويسجل عام ١٩٢٢ ، أنه فى ٥ فبراير صدر العدد الأول من مجلة «ريدر ديجيست» التى صدرت فيما بعد باللغة العربية باسم «المختار» كانت المرة الأولى التى تصدر فيها مجلة تنتقى أفضل ما فى المجلات، وكانت المرة الأولى التى تصدر فيها مجلة فى حجم الجيب ، وقد أصدرها رجل وزوجته هما دويت واليس وليلا أشيسون.

وضربت السعودية فى ذلك العام الرقم القياسى فى درجة الحرارة ، فقد وصلت درجة الحرارة فى الظل فى منطقة تسمى «العزيزية» إلى ٥٦ درجة مئوية بمقياس «سنتجرى» وهو ما يعادل ١٣٦ درجة بمقياس فهرنهيت.

وقد عبرت الموجات الحارة البحر الأحمر لتصل إلى صعيد مصر الذى كان شديد الحرارة حتى فى الشتاء ، لكن ذلك لم يمنع عالم المصريات البريطانى اللورد هوارد كارتر من اكتشاف مقبرة وكنوز توت عنخ آمون ، الملك الفرعونى الشاب (١٣١٦ - ١٣٢٢ قبل الميلاد) وكان ذلك فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٢ .

ثم عبرت الموجة الحارة البحر المتوسط إلى أوروبا لتساعد فى تقصير ملابس النساء ، لقد بدأت ساق المرأة تظهر لأول مرة ، كذلك راحت الثياب تتراجع فى مناطق الصدر والذراعين ، وبالطبع لم تكن الموجة الشرقية الحارة هى سبب الانقلاب فى هذه الموضة ، ولكن كان السبب التحرر الذى نالته المرأة بعد الحرب العالمية الأولى ، إن الموضة لا تولد فى فراغ وهى تعكس الأفكار الاجتماعية والاقتصادية والدينية السائدة، ومن ثم فإن ثياب النساء ترتفع وتنخفض حسب هذه الأفكار.



الإعدام لمن يستعمل الطربوش وبداية الفاشية.. والموت رقصا

لا يكف الإنسان عن التمرد على واقعه.. يحاول دائما الخروج على أفكار القطيع .. وغزيرة القطيع .. وقناعات القطيع .. ويسعى دائما إلى تغيير ملامح عصره واتجاهات الطرق وجغرافيا النفس البشرية ولا يتردد فى تمزيق الفرمانات التى تحمل توقيع الأجداد والتى تعطى للأموات حق التدخل فى شئون الأحياء .

إن الإنسان ينتخب التجديد دائما حتى ولو كان مدمرا له .. يصر على التغيير حتى ولو كان سيؤدى إلى كارثة .. فعلى الأطلال تقام الناطحات .. ومهما كان حجم الكارثة فإن الروعة مثل الفجر لابد أن تولد مهما طال الزمن .. إن التغيير سنة الحياة.. وإلا توقفت الحياة بفعل زيادة الكولسترول فى المجتمع ومات بالسكتة السياسية .

لقد راحت التغيرات والانقلابات السياسية الحادة تتوالى بعد الحرب العالمية الأولى .. ثورة البلاشفة فى روسيا ..

ثورة ١٩١٩ فى مصر .. سقوط الإمبراطورية العثمانية فى فراش المرض.. سعى القوى الاستعمارية الأوروبية لتقسيم ميراثها .. وفى تركيا نفسها كان لابد لنظام السلاطين أن يتبخر ويولد على أنقاضه نظام دولة حديثة .. دولة علمانية ،.. تنظر إلى الغرب بعين العشق وتنظر إلى الشرق بعين الغضب.

فى أكتوبر ١٩٢٣ أصبح مصطفى كمال أتاتورك الحاكم القوى لتركيا .. لقد ولد فى عام ١٨٨١ فى الحى التركى الفقير فى مدينة سالونيك .. والده من أصل ألبانى مثل محمد على باشا .. وأمه من أصل مقدونى.. والأب كان موظفا صغيرا فى محل لبيع الأخشاب.. والأم كانت ربة بيت أمية .

فى العام الذى ولد فيه كانت تركيا فى حاجة إلى رجل قوى .. فالإمبراطورية العثمانية كانت مجموعة شعوب متخلفة يحكمها سلطان مستبد يبيع كل شيء.. محصول الدخان فى يد فرنسا .. البنوك والطاقة فى يد بريطانيا .. الرسوم الجمركية فى موانيء البحر الأسود فى يد روسيا .. والنقل البرى فى يد الألمان الذين كانت لهم اليد الطولى فى الجيش أيضا .

بعد وفاة والده فعلت أمه المستحيل ليكمل تعليمه حتى أصبح ضابطا .. وبينما كان السلطان محمد السادس يستعد لقبول شروط التسليم بعد الحرب العالمية الأولى كان أتاتورك يعلن مع مجموعة من الضباط تمرده على السلطان .. ورفع شعار : لتسقط الإمبراطورية العثمانية

ولتحيا تركيا الفتاة .. واستقر فى مدينة «شان كايا» التى تبعد عن أنقرة بأربعة أميال.. وهناك عرف «فكرية» .. جاءت لتتطوع ممرضة فى جيشه .. أحبته.. أرادت أن تتزوجه.. لكن القائد الذى كان يجهز لثورة اجتماعية كبرى استسلم للتقاليد ورفض أن يتزوج من ممرضة بلا حسب ولا نسب .. بل إنه طلب من الحرس ألا يسمحوا لها بالدخول فانتحرت على بابه .

فى ٢٩ أبريل تكونت جمعية وطنية دعت إلى تشكيل حكومة مؤقتة ونودى بأتاتورك رئيسا لها .. لكن كان عليه تحرير بلاده قبل أن يحكمها .. كان عليه غسل عار الإهانة التى لحقت بتركيا بعد توقيع معاهدة «سيفر» التى نصت على تقسيم تركيا وكانت من أهم عوامل ثورة الجيش على السلطان الذى وقعها .. كان على أتاتورك طرد الجيوش الأجنبية فى تركيا .. وفى سبتمبر ١٩٢٣ نجح فى ذلك .. وكان أن نزل السلطان الأخير.. السلطان عبد الحميد الثانى عن العرش وهرب من استنبول سرا وسقطت الخلافة العثمانية نهائيا فى ١٧ نوفمبر ١٩٢٢ .

لم يتردد أتاتورك فى تصفية الحسابات القديمة.. فرض الرقابة على رجال الدين.. أمم البنوك.. ذبح الأكراد.. أباد الأرمن.. أجبر اليونانيين على الهرب.. ثم راح يشنق معارضيه .. وألغى العمامة والطربوش وفرض القبعة..وأمر بكتابة اللغة التركية بحروف لاتينية .. وفرض العلمانية بالدستور والجيش.. ولم يتردد فى قتل وإعدام كل من يخالف ذلك.. ولكنه على الجانب الآخر جعل تركيا دولة حديثة.

وفى العام الذى أصبح فيه أتاتورك «ثعلب» تركيا القوى ولد الممثل الأمريكى تشارلتون هيستون .. وولدت مغنية السوبرانو يونانية الأصل .. أمريكية الجنسية والشهرة ماريا كلاوس .

وفى نفس العام .. عام ١٩٢٣ بيعت أول ماكينة حلاقة بالكهرباء فى العالم .. حصل على براءة اختراعها الكولونيل الأمريكى جاكوب شيرك .. وأصبح من الممكن لأول مرة التسجيل على وجهى الشرائط لا على وجه واحد .. وبيعت أول كاميرا سينما منزلية من طراز ١٦ مم فى الولايات المتحدة من إنتاج «كودك» .. وتوصل المخترع جوهان هورد إلى أول ساعة لقياس الرياح فى سويسرا .

وتعرضت طوكيو ويوكوهاما فى اليابان لكارثة قتل ٣٠٠ ألف شخص فى الزلزال الذى وقع فى أول سبتمبر من نفس العام.

وقبل ذلك .. وفى ٣١ يوليو صدر قانون تحريم بيع الخمور لأقل من ١٨ سنة وهو القانون الذى أخذت به فيما بعد كل دول العالم بلا استثناء .. إن هذا القانون اعتبرته منظمة الحقوقيين الدوليين من أهم القوانين التى صدرت فى القرن العشرين .. فقد أنقذ حوالى ٣ ملايين شخص كانوا يموتون سنويا من الإدمان المبكر للخمور .

وفى العام نفسه قام هنرى لوسى وبيرتون هادن بتأسيس مجلة «تايم» الأمريكية التى أصبحت من أهم المجلات السياسية الأسبوعية فى العالم قبل نهاية القرن العشرين .

وتأسست منظمة البوليس الدولى لمكافحة الجريمة المعروفة باسم «الأنتربول» .. فى ١١ نوفمبر من نفس العام.

وفى اليوم ذاته قبض على هتلر فى ميونيخ.. إن أودلف هتلر المولود فى النمسا سيبرز اسمه منذ الآن حتى يصبح اسما لا يمكن نسيانه ليس فى القرن العشرين فقط وإنما حتى يوم القيامة .. لقد حارب فى الجيش الألمانى فى الحرب العالمية الأولى .. وبعد الحرب أصبح من قادة حزب العمال الألمانى الاشتراكى الذى كان من أقوى الأحزاب السياسية فى ذلك الوقت.. وقد قام الحزب بعدة إضرابات واضطرابات عنيفة أدت إلى اعتقال قادته ومنهم هتلر.. وقد ضاعف الاعتقال من شعبية هتلر الذى تأثر بالحزب الفاشى الإيطالى الذى أسسه بنيتو موسولينى .. فكان أن أسس هتلر الحزب النازى وهو حزب عنصرى يؤمن بنقاء الجنس الآرى وبأن الألمان هم الجنس الأذكى والأبقى وبأن بلادهم يجب أن تظل فوق الجميع .. ولا جدال أن هذه الشعارات قد وجدت صدى عند الألمان الذين انهزمت بلادهم فى الحرب وحمستهم على استعادة الثقة فيها وفى أنفسهم من جديد.

وكان موسولينى قد دعا ٤٠ ألفا من أعضاء حزبه.. الحزب الفاشى الإيطالى إلى مسيرة من نابولى إلى روما وهم يرتدون القمصان السوداء.. وهى المسيرة التى فتحت طريق موسولينى لرئاسة الحكومة فيما بعد .

وفيما بعد أيضا ستتحالف الفاشية الإيطالية (تحت قيادة الدوتش أو الزعيم موسولينى) والنازية الألمانية (تحت قيادة الفوهرر أو الزعيم هتلر) معا لغزو أوروبا بدعوى مواجهة خطر الشيوعية المتسلل إليها..

وسيؤدى هذا التحالف إلى كارثة الحرب العالمية الثانية التى تحالفت فيها الرأسمالية والشيوعية لمواجهة الخطر الأكبر .. الفاشية والنازية .

وفى مواجهة الفاشية انضم الحزب الشيوعى المصرى (الذى أنشىء فى عام ١٩٢٠) إلى ما يسمى «الشيوعية الدولية الثالثة» وكان ذلك فى ٨ يناير ١٩٢٣ .. كان أبرز شخصيات الحزب حسنى عرابى وأنطوان مارون وفؤاد شمالى وصفوان عبد الفتاح وفى مواجهة الفاشية تبنت مصر فى ١٨ أبريل من نفس العام دستورا جديدا وبمقتضاه أصبح التعليم الإلزامى مجانا وأصبحت الصحافة حرة ولم تعد هناك عقبات لقيام الأحزاب السياسية والتشكيلات النقابية .. إن مصر كانت فى ذلك الوقت شديدة التأثر بكل التيارات الليبرالية التى تأتى بها الرياح الأوروبية العابرة للبحر المتوسط .

إن الحرية السياسية التى تمتعت بها مصر فى ذلك الوقت هى التى أسهمت فى تطور الصحافة والفن التشكيلى والسينما والطرب.. فى ٢١ يوليو من نفس العام عرفت مصر أول فيلم تسجيلى .. وثائقى فى تاريخها .. أخرجه فيكتور روزيتو .. ويروى فى ٨٠ دقيقة قصة اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون .. ورحل فنان الشعب سيد درويش فى ١٥ سبتمبر .. لكن قبل أن تجف الدموع ظهرت موهبة أم كلثوم التى ظهرت لأول مرة على مسارح القاهرة الغنائية فى ٢٩ أكتوبر .

وأغلب الظن أن الناس فى الغرب لم يكونوا يشعرون بخطر الفاشية والنازية . إن الأمريكيين مثلا كانوا مشغولين بنوع آخر من الخطر هو خطر الرقص المجنون .. لقد افتتحت فى مدنية هيوستن فى ولاية

تكساس الأمريكية أول بطولة للرقص طويل النفس .. كان ذلك فى ١٤ أبريل عام ١٩٢٣ .. وقد نجح البعض فى الرقص لمدة ٤٠ ساعة .. ولكن كان هناك ضحايا لهذا المارثون الأول من نوعه فى القرن .. فقد قتل ٥٣ شخصا .. ماتوا رقصا .

وفى ٤ أبريل عام ١٩٢٤ ولد النجم السينمائى مارلون براندو وفى أول أكتوبر ولد الرئيس الأمريكى جيمى كارتر الذى كان أبرز إنجازاته إقناع الرئيس المصرى أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحم بيجين بتوقيع معاهدة صلح بين البلدين فى عام ١٩٧٨ .

وفى العام نفسه ولكن فى أول أبريل تكونت شركة الخطوط الجوية البريطانية .. وفى الفترة ما بين ٤ أبريل و ٢٨ سبتمبر قام الطيار الحربى الأمريكى دوجلاس ورد برحلة جوية حول العالم مستخدما طائرة من طائرات السلاح الجوى الأمريكى .. وقد أقلعت طائرته فى البداية من سياتل .. وهبطت فى النهاية فيها .. وقد شاء القدر فى نهاية القرن أن يحفظ كل سكان العالم اسم المدينة الأمريكية سياتل بعد أن عقد فيها مؤتمر عام ١٩٩٩ لمنظمة التجارة الدولية (الجات) لإزالة القيود والحواجز نهائيا بين الدول المختلفة وهو ما يسبب الضرر للبعض.. خاصة للدول الفقيرة فكان أن خرجت المظاهرات ضد المؤتمر الذى فشل فشلا واضحا .. والمثير للدهشة أن الجمعيات الأهلية .. غير الحكومية هى التى خاضت المظاهرات وحطمت غرور الشركات متعدية الجنسية .

إن القرن العشرين لم يشأ أن يرحل إلا بعد أن هدد كيان الدولة القومية وفرض سطوة الشركات متعدية الجنسية.. فهذه الشركات

أصبحت أقوى من معظم الحكومات .. وبعد أن كانت لعبة فى يد الحكومات أصبحت الحكومات لعبة فى يدها.. وفى العالم حوالى ٥٠٠ شركة من هذا الطراز .. بعضها يحقق عائدا سنويا يتجاوز الدخل القومى لقارة مثل إفريقيا بأكملها.. مأساة أن تكون شركة أقوى من قارة.

فى ١٢ يوليو ١٩٢٤ أطلق طالب فى كلية طب برلين اسمه عبد الخالق عبد اللطيف رصاصة على سعد زغلول وهو على رصيف محطة قطارات القاهرة وأصابة فى ساعده الأيمن.. وقيل كالعادة إن المتهم مختل عقليا .

وفى ١٩ نوفمبر من نفس العام تربص خمسة أشخاص بالسردار لى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام أثناء مغادرته مكتبه فى وزارة الحربية وأطلقوا عليه الرصاص فقتلوه .. وكان فى مقدمة الجناة عبد الفتاح عنايت الطالب بالحقوق وشقيقه عبد الحميد الطالب بالمعلمين .. وفيما بعد فى ٧ يونيو ١٩٢٥ حكمت محكمة جنايات مصر بإعدام سبعة منهم وبالأشغال الشاقة على واحد وبالحبس سنتين للمتهم الأخير .

وفى ٢ أكتوبر ١٩٢٥ عرفت لندن لأول مرة «الأتوبيس» الأحمر ذا الطابقين الذى أصبح من الملامح المميزة للعاصمة البريطانية . مثله مثل التاكسى.. وصندوق البريد.. وزى رجل البوليس.. وفضائح الأسرة الملكية .. وقد بقيت هذه الملامح ثابتة حتى الآن .

وعرفت أسواق برلين لأول مرة كاميرا التصوير ٣٥ مم المعروفة باسم «لايكا» .. لقد نزلت هذه الكاميرا إلى الأسواق فى أول يناير ١٩٢٥

بعد مرور حوالى ١٢ سنة على توصل المخترع الألمانى أوسكار باراناك إلى تصميمها .. وفى نفس العام وفى نفس المدينة نشر هتلر كتابه الشهير «كفاحى» .. وأقلعت أول رحلة طيران تجارية لشركة «لوفتهانزا» .

فى ٢٥ يناير من ذلك العام ولد النجم السينمائى بول نيومان .. وفى ٨ سبتمبر ولد الممثل الكوميدى بيتر سيلرز .. وفى ١٩ مايو ولد مالكوم ليتل الذى عرف فيما بعد بمالكوم أكس .. وهو الزعيم الأمريكى الأسود الذى اعتنق الإسلام وحارب التمييز العنصرى فى الولايات المتحدة ودفع حياته ثمنا لهذه الحرب .. وفى ١٣ أكتوبر ولدت مارجريت تاتشر ابنة البقال الفقير التى أصبحت فيما بعد رئيسة وزراء بريطانيا .

وقطعا لم يلتفت الإنجليز لميلاد تاتشر .. ولكنهم التفتوا للضجة التى أحدثها الكاتب الساخر برنارد شو .. لقد حصل شو على جائزة نوبل فى الأدب .. لكنه أعلن رفضه لها لأسباب سياسية .. إن شو كان من دعاة الاشتراكية الفابية وهو مذهب كان يتعامل بتحفظ مع جائزة نوبل التى وصفها شو بأنها مثل سيارة الإسعاف التى تصل بعد أن يكون المريض قد مات .. وكان شو هو أول من رفض الجائزة .

وكادت الضجة التى سببها شو تضيع بسبب ضجة من نوع آخر سببها طيار بريطانى اسمه ألن كوبهام قام برحلة حول العالم فى ٩٣ يوما .. قطع خلالها ٤٣ ألف كيلو متر .. وهبط فى نهايتها بطائرته البحرية الفضية على سطح مياه نهر التايمز أمام مبنى البرلمان .. فى أول أكتوبر ١٩٢٦ .. وقد كان هدف الرحلة فتح الطريق الجوى بين بريطانيا واستراليا أمام الرحلات التجارية .. ولكن بطريقة مبتكرة .

وكانت هناك ضجة ثالثة فى بريطانيا وقعت فى ١٢ مايو ١٩٢٦ وهى أول إضراب عمالى عام يتضمن عمال السكك الحديدية والنقل والبناء والكهرباء والمهندسين والفنانين .. وكان الهدف ـ كما هو متوقع ومعتاد ـ هو تحسين شروط وظروف العمل .. وذلك بزيادة الأجر ونقص ساعات العمل والرعاية الصحية والاجتماعية.. ولا جدال فى أن الأفكار الاشتراكية التى سادت الشرق والغرب فى ذلك الوقت ساعدت على إجبار النظام الرأسمالى على تصحيح نفسه ، ومعالجة عيوبه ، ومنها المعاملة المهنية للعمال . إن النظام الرأسمالى قد استفاد كثيرا من النظام الشيوعى .. ربما أكثر مما استفاد النظام الشيوعى من نفسه .

ومنذ الأيام الأولى لعام ١٩٢٦ لمع نجم الملك عبد العزيز بن سعود الذى أعلن نفسه فى ٨ يناير ملكا على الحجاز ونجد وتوابعها وأسس بذلك المملكة التى حملت اسمه المملكة العربية السعودية .. وبعد يومين أصبح جوزيف جوبلز أمينا للحزب النازى فى مقاطعة برلين .. وفيما بعد سيلمع اسم جوبلز بعد أن يصبح الحزب النازى فى السلطة .. وسيشتهر بالقسوة فى أساليب الإعلام الموجه التى تمسح المخ والذاكرة من الشعوب وهو ما يعرف بالإعلام الموجه .. وهى الأساليب التى انتهت من العالم الحر..لكنها بقيت فى دول العالم الثالث وأغلب الدول العربية .. وأشهر ما ينسب إلى جوبلز عبارة : «كلما سمعت كلمة ثقافة تحسست مسدسى» .

وبعد يومين أعلن يوسف وهبى رفضه لتمثيل دور النبى محمد فى فيلم تنتجه شركة ماركوس وشتيجر الألمانية وكان سيخرجه المخرج

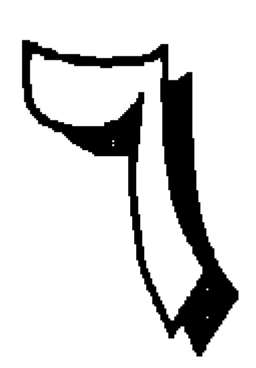
التركى وداد عرفى.. وقامت القيامة فى الصحف الألمانية والعربية وهى تناقش قضية ظهور الأنبياء فى السينما .

وفى الوقت نفسه قامت القيامة فى نيويورك بعد أن ألقت الشرطة القبض على الممثلة الأمريكية ماى ويست بتهمة إفساد الشباب بممارسة الجنس معها .. وقد كانت ماى ويست تلعب ألعابها الجنسية مع مجموعة من الشباب معا .. وتسرب الخبر إلى الصحافة التى اتهمتها بتحطيم التقاليد .. ولكن بعد القبض عليها رفضت الصحافة هذا العقاب وأجمعت على أن ما فعلته هو نوع من الحرية الشخصية لا يجوز أن تعاقب عليه بالسجن وإنما يكون العقاب بازدراء المجتمع لها وهو عقاب أشد .

وفى مصر كادت الممثلة عزيزة أمير تتعرض لما تعرضت له ماى ويست بعد أن ألمحت الصحف إلى علاقتها بالشباب .. لكن هذا التلميح سرعان ما تحول إلى إعجاب صريح بعد أن أنتجت فيلم «ليلى» فى ١٦ نوفمبر ١٩٢٧ .. إنها أول امرأة تنتج فيلما فى الشرق الأوسط والعالم العربى وآسيا وإفريقيا وأستراليا وأمريكا اللاتينية .. لعب البطولة أمامها ستيفان روستى.. وحضر العرض الأول أحمد شوقى أمير الشعراء الذى قال لها : «لقد أنجزت ما لم يقدر عليه الرجال».. وفيما بعد.. فى ٨ سبتمبر ١٩٣٣ قامت فنانة أخرى هى فاطمة رشدى بإخراج أول فيلم سينمائى تخرجه امرأة هو فيلم «الزوج» وكان من إنتاجها أيضا ولعب البطولة أمامها محمود المليجى وعزيز عيد وخكمت فهمى .. وهى الراقصة التى كانت تتجسس لحساب الألمان فى الحرب العالمية الثانية

وكانت تشارك أنور السادات فى نشاطه السياسى فى ذلك الوقت .. وفى اليوم نفسه قدم محمد عبد الوهاب أول أفلامه للسينما .. فيلم «الوردة البيضاء» .. إخراج محمد كريم.. وقد سجل الفيلم لأول مرة فى تاريخ السينما المصرية رقما قياسيا فى دور العرض .. فقد استمر فيها ٦ أسابيع .. وتقول صحيفة الأخبار وهى تستعرض أحداث القرن العشرين: إن الفيلم آثار أزمة عندما احتج الأزهر على مشهد يقبل فيه محمد عبد الوهاب البطلة سميرة خلوصي .. واحتجت إدارة الأمن العام - وكانت مسئولة عن الرقابة الفنية - على أن محمد عبد الوهاب كان يضع الطربوش - وهو الرمز الوطني للمصريين - على رأسه وهو يؤدى المشهد.

إن العالم فى تلك الفترة من القرن كان فى حالة مخاض .. فى انتظار ما هو قادم .. وما هو قادم يستحق الانتظار .



من أسطورة الأنوثة
إلى الإخوان المسلمين

هى أسطورة القرن، أو أنوثة القرن، عيناها مطر ولؤلؤ ومحار، يولد فيهما الليل من النهار، شعرها سفر مع الضوء، تحريض للعواصف ، جسدها يزرع الأزهار والأطفال، يشعل حرائق الغابات، يجعل النباتات تتسلق ناطحات السحاب.

هى مسئولة عن الطبيعة ، مسئولة عن مواصلة الحياة، عن زفاف الكائنات التى تفرح بالحب ولا تعيش إلا بالحب.

هى نورما جان بيكر ، أو مارلين مونرو ، التى جاءت فى الساعات الأولى فى عام ١٩٢٦ ، والذى وصفها بتلك الأوصاف التى لا يقدر عليها سوى الشعراء جون كيندى ، أصغر رئيس حكم الولايات المتحدة، وهو لم يبق فى السلطة سوى ألف يوم، ثم مات قتيلاً، ولا يزال الفاعل مجهولاً ، وقد أخذها معه «فى الرجلين» . كانت مارلين مونرو طفلة فقيرة، يتيمة، لقيطة ، مجهولة الأب، أمها كانت مجنونة، مدمنة للكحول ، وقد تربت فى ملجأ ، وتعرضت لاعتداء

جنسى من أحد حراس الملجأ وهى على عتبة الأنوثة ، جربت الفقر فى أسرة متواضعة الحال أخرجتها من الملجأ وتبنتها ، واللافت أنها كانت تبدو مثل الفتيان ، لا تلفت نظر الشبان إليها ، كانت أنوثتها لاتزال مغمضة ، وقد تفتحت عندما تزوجت زوجها الأول جيمس دوجلر ، وكان مجرد عامل بسيط ، لم يستطع أن يحقق طموحها فى المال والشهرة ، فرفض أن تعمل موديلاً للمجلات العارية ، ولأنها أصرت فقد طلقها .

تزوجت مارلين من بطل كرة السلة جو جويانكى ، كان لا يفهم شيئاً سوى فى الكرة ، وكان لا يهتم بشىء سوى عضلاته ولياقته البدنية ، وقد قالت له مرة : «قبلنى ياغبى» وصارت العبارة شهيرة فيما بعد ، وقد قضيا شهر العسل فى كوريا ، وهناك اشتركت فى حفل للترفيه عن الجنود الأمريكيين ورفع الهواء ذيل ثوبها فصورت عارية ، وكانت هذه الصورة سر شهرتها وسبب طلاقها .

وفى ٢٩ يونيو ١٩٥٦ ، تزوجت الكاتب المسرحى الحائز لجائزة بوليتزر ، آرثر ميللر ، كان العقل وهى الجسد ، وقد أسعده جسدها لكنها لم تلتقط إشارات عقله ، كان كل ما قالته عنه : إنه رجل رزين لا يقاوم ، أما هو فقد قال عنها : إنك عندما تكون معها تكره أن تموت قبلها .

وقد حاول أن يسحبها بعيداً عن هوليوود وبعيداً عن نزواتها ولكنه فشل ، فكان لابد أن يقع الطلاق ، لقد غلبتها طبيعتها البرية ، المزاجية ، وأقنعت نفسها بأنها لو تغيرت لن تكون نفسها ، فلو أخذنا من

الغابة النمور لن تكون غـابة ، ولو أخذنا من البحـر الأسمـاك لن يكون بحـراً ، ولو أخـذنا منها الجنون والحماقة لن تكون مـارلين مونرو، إنها تحيا حين تندفع ناحية الخطر الأقرب إلى الموت، ولو ابتعدت عن ذلك فإن الملل يغرقها ، والضجر يقضي عليها ، فكان من الفضل أن تموت بالصخب لا بالملل، بالكحول لا بالضجر .

وعـرفت جـون كـيندى فى حـفل خـيـرى وهو مـرشح للرئاسـة ، وتطورت العلاقة بينهما إلى ما هو أكثر، وقد قال آرثر ميللر،: إنها لم تشـعر بالأمـان إلا عندما عـرفت جـون كيندى ، وهو لم يعرف معنى الأنوثة إلا بعـد أن دخلت حـيـاته ، وقـد حـاولت المخـابرات المركـزية الأمريكية أن تجندها لتعرف المزيد من أسرارة، لكنها رفضت وعندما هددوها بالقتل وجد كيندى أن من الأفضل قطع علاقته بها، لكن فى النهـاية كـان الاغـتيـال بالرصـاص من نصـيـبه والاغـتـيال بالسم من نصيبهـا ، وتحولا إلى أسطورة ، وقد أسعدت الأسطورة الناس ، فالناس تفضل الأساطير ، فالخيال أجمل من الواقع ، والسحر يسبق الحقيقة .

وفى العـام الذى ولدت فـيـه مـارلين مـونرو ولدت الملكة اليـزابيث الثانية التى ظلت تحكم بريطانيا حتى نهاية القرن، ولدت فى ٢١ إبريل عـام ١٩٢٦ ، فى لندن ، فى بيت رقم ١٧ شـارع بروتن ، فى السـاعـة الثـالثة إلا الربـع صبـاحاً ، وقـد تعرضت لبعض المتاعب بعد الولادة كادت تقضى عليها .

وفى العام الذى ولدت فيه مـارلين مونرو كان أشهر نجوم السينما الأمريكية الصامتة هو توم ميكس وحصانه تونى جير، وقد قدما أشهر

أفلام رعاة البقر الصامتة، وكانا يحصلان معاً على ٤٠٠٠ دولار أسبوعياً، فقد كانت الأجور باليوم أو بالأسبوع وليست بالفيلم كما حدث فيما بعد.

وفى نفس الوقت التقى ستان لوريل وأليفر هاردى وكونا لأول مرة الثنائى الكوميدى الشهير لوريل وهاردى، وقد جاء لوريل من لانكشاير إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩١٢ ، للتدريب فى فرقة فريد كارنو المسرحية ، وقدم أول أفلامه فى عام ١٩١٧ ، بعنوان «الكلب المحظوظ» أما هاردى فكان من أبرز نجوم هذه الفرقة ، وكان يقوم بأدوار ثانوية فى السينما حتى التقى بلوريل فكان نجاحهما الكبير .

وفى نفس الوقت توصل المهندس الاسكتلندى جوهان لوجيا إلى ماكينة عرض سينمائى للمنازل توصل معها إلى جهاز لتسجيل الصوت يصاحب الصورة التى كانت صامتة .

وفى نفس الوقت عرف الأمريكيون لأول مرة الزبادى بقطع الفاكهة، صنعه لهم على هذا النحو مهاجر أسبانى اسمه إيزاك كاراسو .

لكن ، الأهم أنه فى ١٦ مايو عام ١٩٢٦ ، أجرى البروفيسور روبرت جودار أول تجربة لإطلاق صاروخ فى مزرعته فى ماسوشوتش، وقد استخدم البنزين فى دفع الصاروخ الذى ارتفع عن الأرض ٤١ قدماً وسقط بعد ٥٠ متراً .

وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٢٦ ، أصبح الأمير هيروهيتو امبراطوراً على اليابان ، ورغم أن عائلته تمتد لأكثر من ألف عام إلا أنه الأول فيها

الذى خرج فى زيارات رسمية خارج اليابان ، فقد زار أوروبا وأمريكا الشمالية ، وهو الامبراطور الأول الذ ى حصل على شهادة جامعية .

وجاء عام ١٩٢٧ ، ليوصف بأنه عام النطق للسينما الخرساء ، إن أول فيلم إخبارى ناطق قدمته شركة فوكس فى نيويورك فى ٢٧ أكتوبر، أما أول فيلم ناطق فكان فيلم «مغنى الجاز» الذى عرض فى نيويورك فى الشهر نفسه ، كانت الجملة الأولى التى نطقت بها السينما جملة فى أغنية «انتظرى ، أنت لن تحصلى على شىء بالقسوة الآن» غناها إيل جونسون فى الفيلم ، الذى لا يعتبر فيلماً مهماً فى تاريخ السينما إلا لكونه قد جعل السينما الصامتة فى خبر كان .

ولأن مصر كانت من أوائل الدول التى اهتمت بالسينما فقد تكونت فى القاهرة فى العام نفسه غرفه لصناعة السينما مهمتها الدفاع عن مصالح السينمائيين فى مواجهة الحكومة والمساهمة فى إعداد التشريعات التى تجعل السينما صناعة مزدهرة ، كذلك كان من بين أهداف المؤسسين رفع مستوى الذوق للجمهور فى مناطق انتشار الفيلم المصرى فى مصر وسوريا وفلسطين .

إن ذلك ليس غريباً على مصر التى عرفت العرض السينمائى فى ٥ نوفمبر ١٨٩٦ فى الإسكندرية ، وعرفت أول فيلم سينمائى يمثله محمد كريم فى عام ١٩١٨ ، وهو فيلم «شرف البدوى» أما أول مخرج مصرى فهو محمد بيومى الذ قدم فيلم «البشكاتب» ثم جاء أول فيلم مصرى روائى طويل وهو فيلم «ليلى» فى عام ١٩٢٧ ، وبعد نصف قرن على هذا الفيلم بلغ عدد الأفلام التى قدمتها السينما المصرية ١٧٥٠ فيلماً .

فى نفس العام ولكن فى يوم ١٣ أغسطس ولد الزعيم الشيوعى الكوبى فيدل كاسترو ، وفى نفس الشهر الذى جاء شديد الحرارة كانت موضة الشعر التى فرضتها باريس على رءوس النساء هى موضة الشعر القصير ، وقد أكدت هذه الموضة أن العالم كان يتجه إلى البساطة فى كل شىء ، فحسب ما قاله برنارد شو ، إن رأس المرأة تحدد عقد المجتمع وأفكاره وأحلامه .

وفى ١٤ يونيو من العام التالى ، عام ١٩٢٨ ، ولد شى جيفارا رفيق كفاح كاسترو ، وهو أرجنتينى الأصل ، لكنه بعد نجاح الثورة الكوبية اعتبر أن نشر الثورة ضد الاستعمار والإمبريالية هى مهمته السياسية والإنسانية ، وقد دفع حياته ثمناً لهذا الحلم الرومانسي ، فقد اغتالته المخابرات الأمريكية ، لكنه ظل نبياً من أنبياء الثورة فى القرن العشرين .

فى العام نفسه ولكن فى أول مايو اكتشف العالم الأمريكى الدكتور هربرت أيفانس ، فيتامين «أف» - F وفى ٣ يوليو بيع جهاز التليفزيون لأول مرة فى الولايات المتحدة وكان ثمنه ٧٥ دولاراً ، وفى ٣٠ سبتمبر اكتشف العالم الإيرلندى الكسندر فيلمينج فى لندن أنواعاً لا تحصى من البكتريا .

وفى ٩ يونيو من نفس العام نجحت أولى محاولات عبور المحيط الهادى - أكبر محيطات الأرض - بطائرة فوكر وقد قام بها تشارلس كينجسفورد الذى بدأ رحلته من سان فرانسيسكو فى ٣١ مايو وهبط فى

هواى وفيجى بعد أن قطع ١١٧٠ كليو متراً ، وكانت المحطة الثانية فى هونولولو ، ومنها إلى محطته الأخيرة فى بريسبان .

ووصف عام ١٩٢٨ ، بأنه عام السريالية ، وهو مذهب فنى بدأت إرهاصاته قبل سنوات لكنه لم يصبح شائعاً إلا بعد أن أصدر أندريه بريتون «منفيستو السريالية» فى ذلك العام ، فتبناه النقاد والمصورون التشكيليون ، وقد عبرت السريالية عما فى العقل الباطن للإنسان مترجمة كل ما عبر عنه فرويد عن العقد الجنسية والنفسية التى تتحكم فى البشر منذ الطفولة وتعكس نفسها فى الأحلام ، ولعل أقدم وأشهر السرياليين ماكس أرنست وخوان ميرو ، وفى ٢٠ نوفمبر عام ١٩٢٩ ، أقيم المعرض الأول للفنان سلفادرو دالى الذى أسهم من جانبه فى تحطيم المزيد من القواعد التقليدية للفن التشكيلى ، وقد كان المعرض فى باريس ، وقبلها بأيام وبالتحديد فى ٨ نوفمبر افتتح فى نيويورك متحف الفن الحديث الذى دعم هذه الاتجاهات الفنية .

ووصف عام ١٩٢٨ ، أيضاً بعام موسيقى الجاز ، لقد بدأت هذه الموسيقى فى عام ١٩٢٠ فى نيو أورليانز ، وقد استوحاها السود - الذين برعوا فيها - من جذورهم الإفريقية ، وراحت تنتشر حتى اكتسحت أوروبا ، وأصبحت موضة فى لندن وباريس فى ذلك العام ، ولا تذكر هذه الموسيقى إلا ويذكر معها لويس أرمسترونج ، أشهر من عزفها ووضع أصولها .

وقد وصف البعض موسيقى الجاز بأنها موسيقى لمقاومة السود للبيض من خلال الحفاظ على تراثهم وهويتهم ، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ، ففى عام الجاز ولد الثائر والزعيم الأسود مارتن لوثر كينج ، ولد

فى ١٥ مايو ١٩٢٩ ، وقد نجح فى القيام بأكبر حركة عصيان من أجل حصول السود على المساواة والحقوق المدنية ، وقد قتل فى سبيل ذلك .

وولدت فى نفس العام ولكن فى ١٢ نوفمبر جريس كيلى ، نجمة السينما الأمريكية التى أصبحت أميرة موناكو بعد أن تزوجت من حاكمها الأمير رينيه ، وقبل هذا التاريخ ، وبالضبط فى ١٦ مايو ١٩٢٩ ، قدمت لأول مرة جائزة الأوسكار ، وعينت لأول مرة أيضاً امرأة وزيراً فى بريطانيا ، هى مرجريت بوندفيلد وزيرة العمل فى حكومة رمزى ماكدونالدز ، وكان ذلك فى ١٠ يونيو ١٩٢٩ ، ولأول مرة كذلك نقلت الصورة التليفزيونية الملونة من نيويورك إلى واشنطن فى ٢٧ يونيو من نفس العام .

فى ١١ إبريل عام ١٩٢٩ ، توقف التاريخ فى مصر عند حادث بدأ عادياً لكنه أسهم فيما بعد فى قلب كثير من الموازين السياسية والاجتماعية والدينية ، هذا الحادث هو تكوين جماعة «الإخوان المسلمين» فى مدينة الإسماعيلية ، على يد حسن البنا ، وحسن البنا ولد فى قرية المحمودية ـ محافظة البحيرة ، فى أكتوبر ١٩٠٦ ، وبدأ تعليمه فى كتاب القرية ، وشارك وهو طالب فى مظاهرات ثورة ١٩١٩ ، وتخرج فى دار العلوم فى عام ١٩٢١ ، وقد أسس هذه الجماعة وعمره حوالى ٢٢ سنة ، ولا جدال فى أن جماعة الإخوان لعبت ولا تزال دوراً لم تلعبه جماعة سياسية أو حزبية أخرى، وفيما بعد قتل حسن البنا فى فبراير ١٩٤٩ بتدبير من البوليس السياسى ، ولا يمكن إنكار أنه

واحد من أهم الشخصيات التى أثرت فى العالمين العرب والإسلامى فى القرن العشرين .

وفى ٢٩ أغسطس من نفس العام اشتعلت ثورة البراق فى فلسطين ، وقد بدأت هذه الثورة بمواجهات بين العرب واليهود قرب حائط البراق الذى يسميه اليهود حائط المبكى فى سبتمبر ١٩٢٨ ، ولكنها تطورت خلال عام إلى صدامات مسلحة أوقعت ١٣٣ قتيلاً بين اليهود و ١١٦ قتيلاً بين العرب سقطوا برصاص القوات البريطانية ، وكان اليهود قد حاولوا وضع ستار بين الرجال والنساء عند الحائط الأمر الذى اعتبره العرب محاولة للاستيلاء عليه ، وامتدت المواجهات إلى مدن وقرى أخرى فى فلسطين فيما عرف بثورة ١٩٢٩ .

وفى نفس الوقت فاز موسولينى وحزبه الفاشى بحوالى ٩٩ ٪ من الأصوات فى الانتخابات العامة فى إيطاليا ، ووصلت الفاشية لأول مرة إلى السلطة ، وهكذا بدأ العد التنازلى للحرب العالمية الثانية .

لكن ، كانت هناك دلائل أخرى أخطر تشير إلى الحرب العالمية الثانية ، لعل أهمها الكساد العظيم الذى عانته كل النظم الرأسمالية فى نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات ، ولم يكن هناك مفر من الحرب للخروج من هذا الكساد ، إن أول مؤشرات الكساد كان ما جرى فى بورصة نيويورك فى ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩ ، لقد انهارت البورصة تماماً فيما عرف بيوم الخميس الأسود .

ويبدو أن الإنهيار الاقتصادى قد أثر على حياة الناس خاصة فى المجتمعات التى تتميز بالوفرة والرفاهية مثل الولايات المتحدة ، فكان

أن بدأت موجات من الانتحار الجماعى ، كما زادت معدلات العنف بلا سبب.

وكان أن سعت الشركات إلى الخروج من الكساد بابتكار أنواع جديدة من السلع خاصة السلع التى عليها طلب كبير مثل الأغذية ، فقد قدمت شركة كيلوج الأمريكية فى بداية العام الريز كريسبى الذى يؤكل فى الإفطار مع الحليب وهو من عائلة الكورن فليكس الذى قدمته الشركة قبل ٢٠ سنة، وكان سر شهرتها ، وقدم خباز فى ميتشجان الأمريكية خبز التوست لأول مرة فى عام ١٩٣٠ ، وفى ٦ يونيو عام ١٩٣٠ ، دخل الطعام عصراً جديداً هو عصر «الفريزر» أو التجميد بالتبريد ، فقد بيعت فى أسواق ماسوشيتس لأول مرة أكياس الخضروات الطازجة المجمدة ، وكان ذلك بعد ٦ أعوام من التجارب ، وكان أول خضار يباع على هذا النحو، البسلة أو البازلاء ، أما الذى توصل إلى هذه الطريقة فى حفظ الطعام طازجاً فهو رجل أعمال ومخترع أمريكى اسمه كلارنس بريدسى .

وفى نفس الوقت ولكن فى الهند كان للطعام معنى آخر ، سياسى ، ففى ١٢ مارس ١٩٣٠ ، تصدر الزعيم الهندى المهاتما غاندى مسيرة الملح إلى شاطىء البحر فى إطار سياسته غير المتسمة بالعنف لمواجهة الاحتلال الإنجليزى ، كان الإنجليز قد فرضوا ضريبة على الملح فكان أن أعلن غاندى عن هذه المسيرة حتى يحصل كل هندى على حاجته من الملح من البحر مباشرة ، ودون عنف وفى ظل سياسة العصيان

المدنى والمقاطعة السلبية التى تبناها والتى جاءت بنتيجة مذهلة لم يكن يتوقعها أشد الناس تفاؤلا .

وفى عام ١٩٣٠ سجلت الإحصائيات ذهاب ٢٥٠ مليون شخص إلى السينما كل أسبوع ، وهو ما جعل هذه الصناعة تنمو بسرعة مذهلة ، فى ٩ إبريل من العام نفسه قدمت أول رواية مصرية للسينما هى رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل ، وقد أنتجتها شركة رمسيس فيلماً ولعب بطولة الفيلم بهيجة حافظ وسراج منير وزكى رستم ودولت أبيض ، وفى العام نفسه تربعت على عرش سينما الإغراء مارلين ديتريش ألمانية الأصل وقدمت فيلمها رقم ١٨ وهو الملاك الأزرق الذى أخرجه جوزيف سترنبرج ويروى القصة الشهيرة لعاهرة تخضع أستاذاً جامعياً محافظاً لسلطانها بعلاقتها الخاصة به .

وفى ٢٥ إبريل من العام نفسه قادت أول امرأة طائرة بمفردها من بريطانيا إلى النمسا وهى آمى جونسون ، وفى اليوم نفسه انطلق أول قطار ركاب كهربائى فى نيوجرسى بالولايات المتحدة ، وفى اليوم نفسة ولدت مهنة المضيفة الجوية ، فقد عينت شركة طيران يونايتد الأمريكية آلين شارش لتقديم القهوة لركاب الطائرة ، وسجل هذا التاريخ أول قهوة يتناولها إنسان وهو فوق السحاب.

وفى اليوم نفسه بدأ الكلام والتفكير فى الكمبيوتر أو الحاسب الآلى فى معهد ماسوشتس للتكنولوجيا فى بوسطن ، وكان أول من فكر فيه مهندس الكهرباء فانفر بوش ، وقدمت شركة جنرال الكتريك أول غلاية ماء كهربائية تتوقف أتوماتيكياً عند درجة الغليان ، وقبضت السلطات

الأمريكية على ١٥٨ شخصاً يعملون فى ٣١ شركة سرية لإنتاج وتهريب الخمور الممنوعة بحكم القانون ، وقد نجح هؤلاء فى بيع ٢٧ مليون لتر من الخمور المحرمة أى حوالى ٧ ملايين جلون أمريكى فى جميع الولايات ، لقد زاد استهلاك الخمور بعد منعها ، فكل ممنوع مرغوب ، وكل محرم مطلوب مهما كان الثمن ، إنها سنة البشر وطبيعتهم فى كل مكان وكل زمان .



صراع الشيوعية والفاشية.. والرفاهية

نحن نقرأ التاريخ ونكتبه حتى نعرف ما كان لنفهم ما سيكون.. التاريخ ليس مجرد بقاء عند إشارات قديمة .. أو نوعا من الوقوف على الأطلال .. وإلا توقفت الرحلة .. وانتحر الطموح .. وأصبحت عيوننا فى موخرة الرأس.

نحن أوفياء للتاريخ بقدر ما نتعلم منه.. وإذا لم نتعلم منه تحول التاريخ إلى ضريح .. أو قميص مستعمل .. أو سكن فى فندق غير مريح .

إن التذكر ظاهرة عافية .. ولكن .. بشرط ألا يجرفنا الحنين للماضى حتى نندمج فيه .. ونصبح جزءا منه .. وهو مرض شائع يعانى منه أصحاب الحضارات القديمة الذين فاتهم كل قطار يوصلهم للعصر .. فهم أبناء المجد السابق والواقع المر .. أما الذين يمسكون فى أيديهم مفاتيح المستقبل فهم يتأملون الماضى ويحفظونه حتى لا يكررون أخطاءه وأخطاءهم .. إنهم المؤمنون الذين لا

يُلدغون من الجحر مرتين .. ولا يتركون التاريخ يلعب معهم نفس اللعبة مرتين .

على أن التاريخ فى بعض الأحيان يكون أقوى من أن يواجهه ويعانده أحد .. ومن ثم تكرر البشرية نفس الخطأ وبنفس الحماسة .. إن المسافة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية هى حوالى ٢٠ سنة فقط .. وهى مسافة مثل الثانية فى ساعة التاريخ .. لقد تكررت نفس الإشارات لكن لا أحد التقطها .. فكان أن دفع الناس الثمن غاليا .. حياتهم.

لقد بدأت إشارات الحرب العالمية الثانية فى بداية الثلاثينيات .. ازدهار الفاشية فى أوروبا بدعوى مواجهة الشيوعية .. لكن .. ما جرى هو أن الفاشية حاربت الرأسمالية التى لم تجد حليفا لها سوى الشيوعية .. وفى بداية الثلاثينيات أيضا تفجرت أزمة النظام الرأسمالى بالكساد الاقتصادى الكبير الذى لم يكن هناك مخرجا منه سوى مزيد من الإنفاق الحكومى الإجبارى حتى ولو على الحرب . إن تأمل هذه الفترة من عمر القرن العشرين يكشف الكثير .

فى عام ١٩٣١ ولد ثلاثة أشخاص قدر لهم أن يغيروا مجرى الحياة فيما بعد .. فى ٨ فبراير ولد جيمس دين .. نجم السينما الأمريكية الذى قلده ملايين الشباب فى أربعة أنحاء الكرة الأرضية .. قلدوا تسريحة شعره .. وثيابه الضيقة .. ومشيته المتموجة .. وهو ما قلب السينما من أداة ترفيه إلى أداة تربية .

وفى ٢ مايو ولد ميخائيل جورباتشوف آخر زعيم يتولى قيادة الاتحاد السوفيتى .. فقد وافق فى بداية التسعينيات على أن يرفع السوفيت أيديهم عن أوروبا الشرقية التى كانت من نصيبهم بعد الحرب العالمية الثانية .. ووافق على تفكيك الإمبراطورية الشيوعية التى ما إن أوشك القرن العشرون على الرحيل حتى كانت دولة ضعيفة .. مفككة .. تجرحها الحروب الأهلية .. وتخنقها عصابات المافيا .. لقد فعل جورباتشوف ببلاده ما لم تفعله كل القوى الرأسمالية مجتمعة .. ويبدو أن راقصة البالية الروسية آنا بافلوف شعرت بما سيحدث فماتت فى ٢٣ يناير .. قبل مولد جورباتشوف بأسبوعين تقريبا .

وفى ١١ مايو ولد روبرت ماردوخ رجل الأعمال الأسترالى الذى أسهم فى أن تفقد الصحافة البريطانية وقارها وشرفها عندما راح يروج لما يسمى بالصحافة الصفراء .. وقد كون إمبراطورية إعلامية ضخمة ساعدته على أن ينفذ ما يهدف إليه ويحول الميديا إلى تجارة وأن ينسيها ما ورثته من قيم وأصول .

وفى ظل ظروف الأزمة الاقتصادية التى سادت العالم فى ذلك الوقت عرف العالم لأول مرة تعبير «السوق السوداء» .. أي السوق التى تباع فيها السلعة فى الخفاء بأغلى من سعرها بسبب النقص فيها .. وفى ظل هذه الظروف ارتفعت معدلات البطالة والتضخم والجريمة .. فى ٢٥ مايو عام ١٩٣١ اغتصب ٩ شبان فى سن المراهقة فتاتين فى قطار .. وكانت المرة الأولى التى يقع فيها هذا الاغتصاب الجماعى ..

كما أنها المرة الأولى التى يجرى فيها اغتصاب الفتيات فى قطار لم يكن خاليا من الركاب .

وكما هى العادة فى ظل الأزمات ارتفعت معدلات الانتحار وإدمان المخدرات وتدخين السجائر .. وقد وجدتها شركات التبغ والدخان فرصة لتحقيق المزيد من مبيعاتها .. فأغرقت الصحف والشوارع بإعلانات كان شعارها «التدخين مفيد لك» .. وهو شعار أصبح سخيفا فى نهاية القرن .

وعكست السينما حالة الاضطراب النفسى والاجتماعى التى يعيشها الناس فقدمت السينما الألمانية أول فيلم عن شذوذ النساء فى عام ١٩٣١ كان عنوانه «فتاة فى ملابس رسمية» .. وقد هوجم الفيلم من النقاد وطلبت الكنائس منعه من العرض .

لكن عام ١٩٣١ لم يكن عاما شريرا فقط .. فقد اكتمل فى أول مايو منه بناء ناطحة السحاب الشهيرة فى نيويورك المعروفة باسم «إمباير ستيت» وهى تتكون من ١٠٢ طابق وترتفع ٣٨٠ مترا فوق الأرض واستخدم فى بنائها ٦٠ ألف طن حديد .. وفى نفس اليوم سمع العالم لأول مرة كلمة «مايكروويف» .. أو الموجات الكهربائية المغناطيسية .. وقد أمكن فيما بعد ترويض هذه الموجات فى تصنيع أفران الطهى وفى نقل الصورة التلفزيونية عبر الأثير .

قبل ذلك .. فى ٥ فبراير سجل سائق السيارة البريطانى مالكوم كامبل رقما قياسيا فى قيادة سيارته المسماة «بلو بيرد» أو الطائر الأزرق.. حوالى ٣٩٥ كيلو متراً فى الساعة .. وكان ذلك فى أهم

مدينة لإنتاج السيارات فى العالم .. ديترويت.. وقد وصف بعدها بأنه أسرع رجل على الأرض .

وبعد شهر واحد توصل ريكن بيكر إلى الجيتار الكهربائى وهو ما ضاعف من شعبية الموسيقى وقدرتها على الوصول إلى أكبر عدد من الناس فى التجمعات الكبيرة.. والمعروف أن الجيتار هو آلة موسيقية أسبانية وصلت إلى الولايات المتحدة عبر المكسيك التى كان يحتلها الأسبان .. والمعروف أيضا أنه آلة موسيقية ترضى أذواق الشرقيين والغربيين الموسيقية وهو ما جعل إدخال الكهرباء على الجيتار حدثا يتوقف عنده المؤرخون فى القرن العشرين .

لكن .. فى ذلك الوقت كانت موسيقى الجوع أعلى صوتا من موسيقى الجيتار الكهربائى .. إن الأزمة الاقتصادية استفحلت فى عام ١٩٣٢ فوصل عدد العاطلين عن العمل فى ألمانيا إلى ٦ ملايين شخص.. وفى بريطانيا إلى ثلاثة ملايين شخص .. وإلى أكثر من ١٢ مليونا فى الولايات المتحدة .. وقد تقاتل هؤلاء على طوابير إعانة البطالة .. وفتحت مطاعم عامة تقدم الخبز والحساء للفقراء .. وانتشرت الخيام التى ينام فيها ملايين بلا مأوى لم يقدروا على دفع إيجار مساكنهم .. وهجم الناس على المزارع وأكلوا ما فيها .. وتعرضوا لرصاص أصحابها الذين عجزوا عن حمايتها.. ولم يكن حالة الطبقة الوسطى بأفضل كثيرا .. فقد ضاعت الوظائف فى الشركات والبنوك بعد انهيار بورصة نيويورك التى فقد فيها المستثمرون ٧٤ بليون دولار

وأغلق بسببها ٥٠٠٠ بنك وضاعت ٨٦ ألف منشأة.. وأعلنت حالة الطوارىء القصوى فى كثير من دول العالم فى أوساط الشرطة والجيش.

وكان من الطبيعى أن تزداد الحركات والجماعات اليسارية السرية المناهضة للنظم الرأسمالية .. وقد وجدت بعض هذه الجماعات أنه لا حل لمواجهة التعسف الرأسمالى سوى العنف والاغتيالات السياسية.. وهكذا.. اغتيل فى ٥ مايو ١٩٣٢ الرئيس الفرنسى بول دومير على يد المتطرف الروسى بافل جرونوف الذى قبض عليه فى الحال.. إن العنف الفردى هو المخاض الأول للعنف الجماعى.. أو الحرب.

وفى ١٢ مايو ١٩٣٢ عثر البوليس فى نيو جرسى على جثة الطفل الثرى الأمريكى تشارلس ليندبرث فى وقت مبكر من ذلك اليوم.. وكان الطفل قد خطف منذ شهرين.. وقد وجدت الجثة على بعد ٨ كيلو مترات فقط من بيت الطفل.. وكان خاطفوه قد طلبوا فدية ٥٠ ألف دولار لإعادته لأهله.. لكنهم ما أن أخذوا الفدية حتى قتلوه وفشل ١٠٠ ألف شرطى فى الولايات المتحدة فى العثور على الطفل حيا أو على قاتله.. وقد علق المتحدث الرسمى للشرطة قائلا: أن أخلاق الجريمة فى هذه البلاد قد تغيرت بسبب الأزمة الاقتصادية.. ولم يتردد فى أن يضيف عبارة ينفرد بها الشرقيون فى الأزمات «إنها من علامات الساعة».

فى هذه الظروف المضطربة والمحبطة ولدت فى بريطانيا اليزابيث تايلور التى لمعت فيما بعد فى السينما الأمريكية.. وجسدت على الشاشة دور الملكة المصرية الشهيرة.. كليوباترا.. وهو أشهر أدوارها.. أما أشهر

أزواجها فكان النجم السينمائى ريتشارد بيرتون.. ولكن النجمة التى كانت تسيل لعاب الرجال واليزابيث لا تزال طفلة رضيعة كانت جريتا جاربو.. ففى عام ١٩٣٢ كان فيلمها «الفندق الكبير» هو الأكثر نجاحا.. والمعروف أنها سويدية الأصل وقد هاجرت إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٢٥.. والمعروف أيضا أن اليزابيث تايلور هى بريطانية الأصل.

وفى ظل هذه الظروف المتفجرة بالفقر والجوع انتجت الشيكولاتة الأمريكية «مارس» وهى أول شيكولاتة يستخدم الحليب فى صناعتها.

وكان من الطبيعى أن ينجح فى هذه الظروف الأدب الواقعى البعيد عن الرومانسية.. إن أفضل المبيعات كانت من نصيب رواية أرنست هيمنجواى «الموت بعد الظهيرة».. وكتاب ألدوس هكسلى «برافو العالم الجديد».. ورواية ستيلا جيبونس «مزرعة مريحة باردة».. ورواية دومان رونيون «رفقاء ودمى».. لقد عكس الأدب مشاعر الناس وأخرج من محاجرها الحزن واليأس.. ولم يكن من المستحيل أن يفعل غير ذلك وإلا حكم على نفسه بالكساد هو الآخر.

ولمواجهة الأزمة راح النظام الرأسمالى يبتكر وسائل جديدة لترويج السلع.. كان منها فى تلك السنة الشراء بالكوبونات المخفضة التى يحصل عليها كل من سبق له الشراء.. ومنها توزيع الهدايا مجانا على المشترين.. إن أول ما فعل ذلك كان سوبر ماركت فى الولايات المتحدة اسمه ريجلى ويجلى.

أما فى لندن فقد فوجئ قراء صحيفة «تايمس» البريطانية فى ٥ أكتوبر ١٩٣٢ بخروجها عليهم فى ذلك الصباح بوجه جديد وحروف

طباعة حديثة الشكل بعد أن تخلصت فجأة من شكلها التقليدى الذى بدأت به منذ صدورها فى عام ١٧٨٥ .. وقد صدم هذا الانقلاب فى الصحيفة البريطانية العريقة شخصية قرائها من الإنجليز المحافظين الذين لا يقبلون التغيير بسرعة أو بسهولة أو دون مقاومة . وفى نفس الوقت ولكن فى الولايات المتحدة صمم جورج جرانت ولاعة السجائر المقاومة للهواء المعروفة باسم زيبو وهى مصنوعة من رقائق الصلب .. وقد أصبحت هذه الولاعة الأكثر شهرة والأكثر انتشارا .. ولا تزال .

إن الأزمات توقظ فى المجتمعات الحيوية غريزة الابتكار .. المجتمعات الحيوية لا تجلس واضعة يدها على خدها .. نادبة حظها .. لكنها تتحرك .. تتغير .. تقاوم واقعها لكن .. الأزمة فى عام ١٩٣٣ كانت أكبر من أن يحتملها أحد .. ففى ٣٠ يناير من ذلك العام أصبح أدولف هتلر زعيما لألمانيا وعمره ٤٤ سنة .. وقد شكل حكومة ائتلافية بين الحزب الاشتراكى (أو الحزب النازى) الذى يقوده والحزب الوطنى المحافظ .. لقد كان وصول هتلر إلى السلطة بداية خراب ودمار أوروبا ودول كثيرة فى العالم بالحرب .

والغريب أن الأمريكيين شربوا فى ليلة ٥ فبراير ١٩٣٣ .. أى بعد أيام قليلة من وصول هتلر للسلطة مليون ونصف المليون برميل بيرة .. فهل كانوا فرحين به لأنه سيخلصهم من خطر الشيوعية أم أرادوا أن يفقدوا الوعى حتى لا يستيقظوا على الخراب والهاوية التى سيدفع العالم إليها ؟

ولم تكن مصادفة على ما يبدو أن تخترع السينما الأمريكية فى عام وصول هتلر للسلطة الغوريلا العملاقة «كينج كونج» وتقدمها فى فيلم يحطم الإقبال الجماهيرى على السينما ويخترق عصر الخدع المجسمة على الشاشة .. لقد كانت الموجة السائدة فى سينما بداية الثلاثينيات هى الأفلام الغنائية الموسيقية التى كان أشهر من قدمها المخرج بوسى بركلبى .. لكن كينج كونج جاءت لتغير المسار ولتحطم الموجة بموجة أشد.. وقد كان بطل الفيلم الحقيقى والخفى أيضا «واليس أوبيرن» رائد الخدع السينمائية الذى نجح فى الإيحاء بقوة الغوريلا وضخامتها رغم أنها فى الواقع لم تزد على كونها دمية لا يزيد طولها على ٤٥ سنتيمترا .

لكن .. عام ١٩٣٣ لم يكن شرا على طول الخط .. فقد اخترعت فيه البشرية ما جعل الحياة أكثر راحة ومتعة.. توصلت لأول مرة لمصباح المكتب «الأباجورة» الذى يسمح بتركيز الضوء على بقعة ما فى البيت أو المكتب دون إزعاج الآخرين .. وتوصلت لأول مرة أيضا لماكينة العجن بالكهرباء .. وقد كانت فى نظر نساء تلك الأيام معجزة صارخة.

وكان العام التالى أفضل .. فى ٩ مايو منه ولدت النجمة الإيطالية الجذابة صوفيا لورين .. وفى ٢٨ سبتمبر ولدت نجمة الإغراء الفرنسية بريجيت باردو التى تفرغت بعد اعتزالها السينما للدفاع عن حقوق الحيوان .. ولمعت فى هوليوود الطفلة المعجزة شيرلى تمبل التى فازت فى ذلك العام بجائزة الأوسكار .. وكانت أول طفلة تفوز بهذه الجائزة

.. وفيما بعد كذلك أصبحت شيرلى تمبل أول فنانة سفيرة للأمم المتحدة.. ونشرت أجاثا كريستى روايتها البوليسية «جريمة فى قطار الشرق السريع» وهى أكثر رواياتها شهرة فى العالم العربى.. وقادت هيلين ريكى رحلة طيران بين واشنطن وديترويت .. وسجلت لنفسها أنها أول امرأة تقود طائرة مدنية فى رحلة تجارية .. وكانت الرحلة تابعة لشركة «سنترال أمريكا».

وعرف العالم لأول مرة مصطلح «كول جيرل» أو فتاة التليفون .. وهى الفتاة التى تستطيع فى أوروبا وأمريكا أن تعرفها بواسطة التليفون فى مقابل أجر محدد حسب ما تطلبه منها .. وقد انتشرت الشركات التى تقدم هذه الخدمة وازدهر نشاطها حتى إنها حققت فى عام ١٩٩٨ فقط عوائد تقدر بنحو ٣٠ مليار دولار .

لكن .. معجزة عام ١٩٣٤ كانت فى رأى كل الاستفتاءات التى أجريت عن القرن العشرين هى التوصل لسندوتش «التشيز بيرجر» أو سندوتش شرائح اللحم مع شرائح الجبن .. وكان أول من قدمه مطعم يملكه فى نيويورك كارل كالن .. وقد انتشر هذا النوع من الشطائر فى العالم كله حتى أصبح هو والمياه الغازية من علامات الحضارة الأمريكية .

وافتتحت فى تكساس الأمريكية أول مغسلة أتوماتيكية عامة .. استعملها الناس مقابل نقود يضعونها فيها .. حسب الوقت المطلوب .

وتطور جهاز الراديو ليصبح أصغر حجما وأكثر قدرة على التقاط الموجات .. وتوصل المخترع الأمريكى جون لوجى لشاشة تليفزيون

ملونة تضع فى حسبانها البعد الثالث للصورة.. وتوصل المخترع والمهندس البريطانى المقيم فى نيورريوك إلى لعبة «المونوبولى» المستوحاة من تصرفات المليونيرات فى استثمار أموالهم .. وقد بيعت من هذه اللعبة فى أسبوعها الأول ٢٠ ألف نسخة .

إن العالم بدأ فى تلك الفترة من القرن العشرين يتجه نحو ما يحقق له الرفاهية والمتعة والراحة .. أو ما يسمى بالحياة العصرية .

لقد اخترع جرس الباب الكهربائى فى عام ١٩٣٥ وكان صوته فى البداية مثل «كلاكس» السيارة.. ثم أصبح صوته مثل رنين التليفون .. ثم تنوعت النغمات حتى وصلت للسيمفونيات والكلاسيكيات الموسيقية المعروفة وتوصل الأمريكيون لأول مرة إلى حفظ المشروبات فى العلب .. وكانت البداية بالبيرة .. ثم العصائر .. فالمشروبات الغازية .. والمثير للدهشة أن الناس رغم إقبالها عليها كانت تعانى صعوبة فى فتحها حتى إن الشركات كانت تشرح فى البارات والمطاعم كيفية الاستعمال .. وكان يقوم بالشرح نساء فى منتهى الرقة والجاذبية لإقناع المستهلكين أن الأمر لا يتطلب مجهودا ولا خبرة .

وافتتحت فى لوس انجلوس أول مدرسة لتعليم الطيران التجارى .. كانت تشرف عليها شركة الطيران الأمريكية ـ TWE .

وولد أشهر مغنى فى الولايات المتحدة هو ألفيس بريسلى .. وكان ذلك فى ٨ يناير عام ١٩٣٥ .. وقد وصلت شهرته إلى حد الجنون به .. وإلى حد أن البعض يتصور أنه سيعود إلى الحياة بعد أن مات .

لكن .. فى العام نفسه كان خطر الفاشية والنازية يتزايد فى أوروبا .. وفى الصين كان أنصار ماوتسى تونج يتزايدون وقد أنهوا فى ٢٠ أكتوبر مسيرتهم الكبرى التى اشترك فيها أكثر من ١٠٠ ألف شيوعى .. أما فى الشرق الأوسط فقد صدر فى ٢١ مارس مرسوما ملكيا يغير اسم فارس إلى إيران .. ولم يتوقف التغيير عند هذا الحد .. فالشاه رضا بهلوى الذى كان متأثرا بجاره فى تركيا كمال أتاتورك قد غير فى قوانين بلاده وصاغها على الطريقة الأوروبية .. وحظر زى المرأة التقليدى وألغى القانون الذى يفرض على المرأة الحجاب .. ووضع قواعد صارمة لتعدد الزوجات .. وحذف من اللغة الفارسية معظم ما فيها من كلمات عربية وتركية .

وافتتح فى موسكو أول مترو تحت الأرض فى ١٥ مايو من نفس العام .. بدأ بثلاث عشرة محطة بطول حوالى ١١,٥ كليو متر .. ويحمل يوميا حوالى ١٧٧ ألف راكب .. وقد استمر العمل فيه ٤ سنوات قبل افتتاحه .

ولم يشأ عام ١٩٣٥ أن يمر دون أن يقدم للمثقفين وعشاق القراءة معجزة ثقافية من نوع خاص .. لقد توصل ألن لان مدير دار نشر بودلى هاردى الإنجليزية إلى فكرة طبع الكتب طبعة شعبية تعرف فى العالم كله بطبعة بنجوين .. وكان الهدف هو توصيل الكتب إلى القراء بسعر زهيد .. وتحقيق أكبر انتشار جماهيرى للكتاب .. وطبعه بنجوين على ورق رخيص وغلاف غير مقوى .. وكان أول كتاب نشر فى هذه الطبعة كتاب «إبريل» لأندريه موروا .. إن هذه الطبعة من الكتب هى أول من حقق شعار القراءة للجميع .



القلب يتنازل

عن العرش لا عن العشق

موسيقى الديسكو .. هادرة متوترة .. وسراويل الجينز الزرقاء فى كل مكان .. وأطنان الشيبسى اليومية تكفى لبناء مدينة كاملة من البطاطس .. أما أمطار الكولا فلا تتوقف صيفا وشتاء .

لقد بدأ العصر الأمريكى . والذوق الأمريكى .. والضرب الأمريكى على الأعصاب .. لا أحلام ولا أشواق ولا إحساس.. صارت أنقبلة وجعا .. مثل ساندوتش بيرجر.. وصار فم المرأة لوحا من الثلج .

هكذا .. راح الأدباء والشعراء فى عام ١٩٣٦ ينعون نهاية الرومانسية ويعبرون عن أحزانهم ومخاوفهم من الغزوات الحضارية الأمريكية.. راحوا يتحسرون على أيام كان العشاق فيها يغنون طول الليل على قدم المحبوب .. ويعلنون أنهم يحبون حتى الذبح .. وحتى المحو ..

ويموتون برمش عين وضربة نهد .. ويغرقون فى قطرة ماء.

لكن .. فى هذا العصر الذى لم يعد يتذكر سوى النسيان .. حدثت معجزة عاطفية قلبت الموازين وبددت المخاوف من نهاية العواطف وسيادة العواصف .. ففى ١١ ديسمبر عام ١٩٣٦ ، أعلن الملك إدوارد الثامن ـ ملك بريطانيا ـ تنازله عن العرش من أجل المطلقة الأمريكية واليس سيمبسون التى أحبها .. أعلن أن القلب أقوى من العرش .. وأن أحكام الحب أشد من أحكام الأسرة الملكية التى رفضت أن يتزوج من هذه المرأة لأنها ليست إنجليزية .. ولأنها مطلقة .. ولأنها من عامة الناس ، ولا يجرى فى عروقها الدم الأزرق .

إن لغة الحب التى صاغ بها إدوارد الثامن حياته العامة، لم تخرج كما قال فيما بعد من القمقم السحرى أو من جراب الحاوى، ولا عثر عليها فى مخطوطة قديمة.. بل تعلمها من المرأة التى أحبها حرفا .. حرفا.. وسطرا.. سطرا.. وجملة .. جملة .. وقبلة .. قبلة.. هذه اللغة الجميلة كالطاووس تشكلت كشرنقة الحرير على أشجار تلك المرأة المتحررة من قيود قصر بكنجهام الباردة .. هذه اللغة الشعرية الاستثنائية الراديكالية هى صياغة مشتركة بينهما .. قاما بغزلها مرة بخيوط الكلمات.. ومرة بنيران الشهوات .

جاءت هذه اللغة الناعمة فى الوقت المناسب لتخفف من لغة أخرى قاسية وصارمة ومتغطرسة ومدمرة ، وصلت إلى لندن عبر روما وبرلين ... لغة الفاشية والنازية .. ففى ١٩ أكتوبر من العام نفسه قام الفاشيون الشبان بمسيرة يرتدون فيها القمصان السوداء التى تميزهم فى شوارع العاصمة البريطانية لأول مرة منذ أن وصل هتلر وموسولينى إلى السلطة فى بلديهما .. ولم تكن المسيرة الفاشية ـ التى ضمت أعضاء فى الاتحاد البريطانى للفاشية وعددهم ٧ آلاف عضو ـ سلمية بل لجأت للعنف .. وكان فى مواجهتها اليساريون واليهود.

وقد وجدت الفاشية فى بريطانيا فى ذلك الوقت ـ الذى يتسم بالكساد والبطالة ـ فرصة ذهبية لتجنيد العديد من الشباب الذين يبحثون عن عمل ، والذين اضطر بعضهم وعددهم ٢٠٠ شاب إلى أن يقوموا بمسيرة من «جارو» بالقرب من «دورهام» إلى لندن فى ٢٠ أكتوبر عام ١٩٣٦ ، لإعلان مطالبهم المتواضعة ، وهى البحث عن عمل يسد الجوع ويبقى على الحياة.

ولم يكن يقنع هؤلاء العاطلين التغير الاجتماعى الذى حدث، الذى سمح بدخول المرأة للعمل فى هيئة الإذاعة البريطانية BBC ، كانت أولى النساء فى العمل الإذاعى جاسمين بيلجا وإليزابيث كاول.. وكان ذلك فى ١٨ مايو من العام نفسه .. وبعد ذلك فى ٢ نوفمبر بدأ إرسال التليفزيون البريطانى التابع لنفس الهيئة .

وأخطر ما فى الفاشية والنازية أنهما اتجهتا لمغازلة عواطف وأحلام البسطاء .. ففى ألمانيا انتجت السيارة الشعبية «فولكس فاجن» المصممة

على شكل الخنفساء أو «البيتلز» .. وقد كان سعرها فى متناول الطبقات المتوسطة فى وقت كانت فيه السيارة متاحة فى الغالب للطبقات الثرية .. إن هتلر هو الذى طلب التفكير فى هذه السيارة بمجرد وصوله إلى السلطة فى عام ١٩٣٣ ، وبعد ٣ سنوات كانت السيارة المطلوبة فى الأسواق .. وفى إيطاليا أنتجت شركة فيات فى الوقت نفسه سيارة شعبية أخرى هى سيارة «توبلينو» .. إن أخطر الحركات السياسية المتطرفة هى القادرة على لمس أحلام الناس بعصا سحرية، خاصة فى أوقات الأزمات العصيبة .

وقد كانت هناك بروفة حرب للفاشية جرت فى أسبانيا فى ٣١ يوليو ١٩٣٦ قبل الحرب العالمية الثانية بثلاث سنوات تقريبا .. لكن الحرب الأهلية الأسبانية لم تكن ـ على الأهوال والمذابح التى جرت فيها ـ لتقنع الفاشيين بمآسى الحرب .. لقد عبر عن هذه الحرب ـ التى جرت بين أنصار الحرية ومعتنقى الشيوعية من جانب وأنصار الفاشية والديكتاتورية من جانب آخر ـ المثقف الفرنسى ووزير الثقافة الأسبق أندريه مالرو فى روايته «الأمل» .. وعبر عنها بابلو بيكاسو فى لوحته الشهيرة «الجرينكا» .. لكن تخليد الفن والأدب لمأساة هذه الحرب لم يعوض ضحاياها عن الحياة التى فقدوها .

ولم تمنع هذه الحرب القاسية التليفزيون البريطانى من أن يقدم لأول مرة على شاشته «ماركيل بوليستن» ، وهو برنامج يشرح للمشاهدين كيفية إعداد أطباق الطعام .. إن المأساة لا تحرم البشر من متع الحياة .

كان ذلك فى عام ١٩٣٧ .. وفى ٣٠ يناير من نفس العام .. ولدت الممثلة الإنجليزية فينسيا ريدجريف التى ساندت فيما بعد القضية الفلسطينية .. وفى ٨ أغسطس ولد الممثل الأمريكى داستين هوفمان الذى قلب فى عصره موازين النجم الذى لم يعد أشقر وأزرق العينين..، وإنما أصبح إنسانا عاديا تراه فى الشارع .. وفى ٢١ ديسمبر ولدت ممثلة أخرى كانت لها فيما بعد اهتمامات سياسية هى جين فوندا التى تزوجت فى سنوات القرن الأخيرة تيد تيرنر مالك محطة التليفزيون الإخبارية القوية CNN .

وفى ٢٧ مايو من العام نفسه شهد العالم تحولا هندسيا فى بناء الكبارى المعلقة بافتتاح كوبرى الطريق الذهبى فى سان فرانسيكسو بطول ١٢٨٠ مترا ، أو ٤٢٠٠ قدم .. وكان أطول كوبرى من نوعه فى العالم .

وفى ذلك العام عرف العالم لأول مرة مصطلح «بنك الدم» وهو المكان الذى يحتفظ برصيد من دماء البشر لتقديمها لمن يحتاجها إنقاذا لحياته .. وقد تطورت هذه البنوك فيما بعد بتطور الطب إلى ما يعرف ببنوك الأعضاء .

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ٣ يوليو من العام ذاته بدأت أول امرأة فى العالم رحلة بالطائرة بمفردها حول العالم لتقطع حوالى ٤٠٠٠ كيلو متر، وهى إيميليا إيرهارت .. إن المرأة فى الغرب لم تحصل على حريتها وعلى حق المساواة بالشعارات أو على طريقة شهر زاد التى

جلست تسلي شهريار - أكبر بلطجي عرفه التاريخ - كل مساء وحتى الفجر .. ألف ليلة وليلة حتى لا يقتلها .. أو حتى يتزوجها .. لا فرق .

إن المرأة فرضت إرادتها بالعمل واقتحام الصعب ومنافسة الرجل في أصعب المواقف .. ولم تفقد في الوقت نفسه اهتمامها بنفسها ولا بأنوثتها .. فليست المساواة خشونة .. وليست فقدانا لخصائص النوع .. فكان أن ابتكرت إيطاليا لأول مرة في عام ١٩٣٧ صندلا للنساء بكعب عال يرتفع عن الأرض بأكثر من ١٢ سنتميترا .. ويشترط أن تلبس المرأة معه جورب النايلون المحدد بخيط واضح بطول الساق .. وقد سمع العالم عن كلمة النايلون - أو الخيوط الصناعية - لأول مرة في ذلك العام أيضا .

وغطى الكعب الإيطالي على اكتشاف تاريخي مهم يرجع لأكثر من ٧٥ مليون سنة عبارة عن بقايا أسماك محنطة في جزيرة كومورو القريبة من جنوب إفريقيا .

وغطى الكعب الإيطالي كذلك على خبر كان يهم العرب بالدرجة الأولى ، وهو تقديم خدمة اللغة العربية من هيئة الإذاعة البريطانية في ٣١ مايو ١٩٣٧ .

لكن الكعب الإيطالي لم يغط على خبر صنع التليفون من مادة الفيبر جلاس لأول مرة في ٢٧ سبتمبر من العام نفسه .

على أن الحدث الكبير في عام ١٩٣٧ هو ما جرى في ١٤ مارس بالتحديد .. في هذا التاريخ المشئوم فرض هتلر سيطرته على النمسا وفرض عليها اتحادا بينها وبين ألمانيا .. وأصبح بذلك يحكم ٧٥ مليون

شخص.. كما أنه بما فعل تحت اسم الرايخ الثالث ،أو الإمبراطورية الثالثة، استعاد ما كان جاريا بين البلدين قبل حوالى ١٠٠ سنة.. والمذهل أن باقى الدول الأوروبية لم تعترض على هذه الخطوة التى لم يقنع بها هتلر .. فبعد أن أفطر بالنمسا قرر أن يتعشى بباقى أوروبا .. ولو كانت النمسا وافقت بالذوق .. فإن باقى أوروبا يجب أن تستسلم بالحرب .. بالدم .

وفى ليلة ١٢ نوفمبر من نفس العام بدأت الحرب العنصرية فى ألمانيا ضد اليهود .. وتعرف هذه الليلة بليلة الزجاج أو ليلة الكريستال.. فقد حطم النازيون المعادون لليهود زجاج محلاتهم وبيوتهم .. وكان هناك ضحايا منهم.

وخفف عام ١٩٣٧ من قسوة هذا الحدث باستعمال عربات حمل البضائع فى سوبرماركت فى أوكلاهوما لأول مرة فى أول يونيو .. وبعد أيام بدأ مطعم فى بيفرلى هيلز .. حيث يسكن ويعيش نجوم هوليوود فى تعبئة شرائح البطاطس المحمرة فى أكياس كانت تقدم هدية للزبائن يحملونها لأطفالهم فى البيت .. فقد كان المطعم للكبار فقط .. واخترع المهندس الأمريكى شيستر كارلسون أول ما كينة تصوير للمستندات ، وهو ما أحدث ثورة فى الأعمال المكتبية .. وتبنت اختراعه شركة أستوريا التى يعمل فيها .

وأغرب ما قدمته الهند فى ذلك العام جهازا لكشف الكحول فى الحال من خلال النفس ، وفى الدم خلال عشر ساعات تالية على تناول الكحول .. وكان البوليس فى الهند هو أول من استخدم هذا الجهاز فى العالم .

وفى العام التالى .. عام ١٩٣٩ قدمت شركة جنرال إلكتريك الأمريكية أول ثلاجة فى العالم بها فريزر .. وفى الوقت نفسه اعترفت الحكومة الأمريكية بأن الأزمة الاقتصادية التى تعانيها البلاد لم تجعل إلا ٣٪ من السكان «٦٧٠ ألف شخص» يدفعون ضريبة الدخل.

لكن الفريزر الذى جاء إلى أوروبا عبر المحيط لم يكن يكفى لتخفيف حرارة إلى مناخها السياسى .. لقد قرر هتلر أن يواصل تكوين إمبراطوريته النازية.. فقام فى ١٥ مارس بغزو تشيكوسلوفاكيا .. وفى أول سبتمبر قام بغزو بولندا .. وقبل غزو بولندا بستة أيام .. صدمت أوروبا من المعاهدة التى وقعتها ألمانيا والاتحاد السوفيتى بعدم الاعتداء.. لقد نجح هتلر بهذه المعاهدة فى تحييد موسكو .. لكن ذلك لم يستمر للنهاية.

وكان رد الفعل المتوقع ـ وإن جاء متأخرا ـ هو أن تعلن بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا .. وفى ٣ سبتمبر أعلن رئيس وزراء بريطانيا نافيل تشامبرلين فى الإذاعة أن سفير بريطانيا فى برلين أعطى مهلة حتى الساعة الحادية عشرة للحكومة الألمانية لتنسحب من بولندا ، وإذا لم تفعل فإن ذلك يعنى إعلانا للحرب.

بينما أوروبا تضع يدها على قلبها خوفا من هتلر ، كانت شركة سيارات ناش الأمريكية تنتج أول سيارة مزودة بجهاز تكييف.

لكن .. فى هوليوود شعر صناع السينما برائحة الحرب ، فقدموا الفيلم الشهير «ذهب مع الريح» الذى تدور أحداثه فى الحرب الأهلية الأمريكية فى إطار رومانسى .. أى أنه يجمع بين الحرب والحب ..

وقد حقق أعلى الإيرادات فى ذلك العام .. وهو بطولة كلارك جيبل وفيفيان لى .. ولم تمنع هذه الرومانسية هوليوود من أن تقدم نجمة إغراء جديدة هى كارمن ميراندا التى أصبحت قبعتها المحلاة بالفاكهة وثيابها المغطاة بعقود اللؤلؤ موضة جرت النساء وراءها فى الدول التى لم تكن قد تورطت فى الحرب بما فيها مصر .

وفى الولايات المتحدة أيضا ، لكن على يد مخترع روسى تحقق حلم من أحلام البشرية باختراع طائرة الهليكوبتر العمودية ، القادرة على الهبوط فى أى مكان .. ففى ١٤ سبتمبر جرب المهندس الروسى الأصل إيجور إيسكوريسكى اختراعه بنجاح فى منطقة كونيكتيكوت ، وفى الوقت نفسه احتفل بعيد ميلاده الثلاثين .. وقد جاء إيسكوريسكى مهاجرا من بلاده بعد الثورة الشيوعية فى عام ١٩١٧ .. وقد مشى على درب أول من فكر فى طائرة الهليكوبتر وهو اسمه هنريش فوكى الذى انتهى من تصميم طائرته فى ٢٦ يونيو ١٩٣٦ .. وبالقطع سيطر الجيش الأمريكى على اختراع إيسكوريسكى.

لكن حلم الطيران بالهليكوبتر الذى تحقق لم يمنع من مواصلة حلم الإنسان الذى يطير .. لقد بدأت شخصية سوبرمان فى الظهور مرسومة فى المجلات فى ذلك العام .. وقد بدأت شخصية سوبرمان شخصية كوميدية فى العام السابق، لكنها تحولت إلى شخصية مغامرة تواجه الشر والأشرار فى عام ١٩٣٩ .. وقد اخترعها الكاتب جيرى سيجال ، ورسمها الفنان جو شوستر .. وفيما بعد تحولت هذه الشخصية كالعادة إلى شخصية سينمائية شهيرة .

على أن الولايات المتحدة في واد وأوروبا في واد آخر .. كانت أوروبا في حالة حرب .. ولم تكن أى حرب .. إنها الحرب العالمية الثانية .

نحن الآن في عام ١٩٤٠ ... الألعاب الأوليمبية تنتقل بسبب الحرب إلى طوكيو .. المغنى البريطاني جون لينون يولد في مخبأ تحت الأرض .. المهندسون البريطانيون يضاعفون من قوة استقبال الراديو حتى يمكن التقاط إرساله في ملاجيء الأسمنت التي يلجأ إليها الناس في الغارات .. وفي ٩ أبريل دخلت الدانمارك والنرويج ضد ألمانيا .. وفي ١٠ مايو دخلت بلغاريا وهولندا الحرب ضد ألمانيا .. وفي ١٤ مايو دخلتها فرنسا ضد ألمانيا ، وفي ٣٠ يونيو دخلتها اليونان ضد إيطاليا .

ولم يكن من الممكن أن يكون الأدب بعيدا عن أجواء الحرب .. فقد نشر أرنست همنجواى روايته «لمن تدق الأجراس» ونشر جرهام جرين روايته «القوة والمجد» ونشر أوجين أونيل روايته «يوم طويل في رحلة عبر الليل» .

ومن حسن الحظ أن البنسلين قد استخدم في ذلك العام لأول مرة استخداما طبيا .. استخدمه في أكسفورد اثنان من العلماء هما : أرنست شين وهوارد فلورى .

وفي الوقت نفسه ولكن في الولايات المتحدة بدأ الكولونيل ساندرس طريقته في تقديم الدجاج على طريقة كنتاكي فريد تشيكين وفي الوقت نفسه.. وفي الولايات المتحدة أيضا بدأت مستشفيات الجيش الأمريكي

فى استخدام «السكرين» لمرضى السكر لأول مرة .. وفى البحرية الأمريكية بدأ استخدام الميكروسكوب الإلكترونى .

لكن .. أخطر أحداث الحرب، تلك التى جرت فى ١٤ يونيو ١٩٤٠ .. فى ذلك اليوم سقطت العاصمة الفرنسية باريس فى يد القوات النازية .. وتجرأ هتلر أكثر بعد هذا النجاح المذهل الذى حققه .. فراح فى ١٧ سبتمبر من نفس العام يدمر العاصمة البريطانية لندن بالقاذفات الثقيلة . وفى ١٠ يونيو قرر موسولينى إعلان الحرب على بريطانيا وفرنسا .. وكانت بريطانيا تتوقع هذا المصير .. فجاءت بونستون تشرشل إلى رئاسة الحكومة فى ١٠ مايو من نفس العام .. وفيما بعد سيختار تشرشل واحدا من أعظم الشخصيات التى مرت بالقرن العشرين وأثرت فيه .

وفى ٢١ أغسطس من نفس العام قتلت فى مكسيكوسيتى شخصية أخرى أثرت فى القرن العشرين هو ليون تروتسكى الرجل الثانى فى الثورة البلشفية الروسية التى وضعت الشيوعيين فى السلطة فى موسكو فى عام ١٩١٧ .. وكان تروتسكى الذى يبلغ من العمر ٦٠ سنة قد اختلف مع لينين على أسلوب الحكم ومبادىء الماركسية ، فترك روسيا وهاجر إلى المكسيك .. لكن فى ذلك اليوم هاجمه شيوعى أسبانى هو رومان مركادر وانهال على رأسه بآلة حادة نقل بعدها إلى المستشفى، حيث مات هناك.. ولم تكن هذه المرة الأولى التى يتعرض فيها تروتسكى للموت .. ففى ٢٤ مايو من نفس العام كاد يقتل برصاص

شيوعى آخر ، وكان معه حفيده وزوجته حيث سارعا بنجدته ففر المعتدى.

وفى وقت الاحتلال الألمانى لفرنسا حدث كشف فنى تاريخى مهم بالمصادفة.. كان ذلك فى يوم أول نوفمبر من عام ١٩٤٠ .. كان أربعة أطفال فى مدينة لازوكس - فى جنوب غرب فرنسا - يفتشون عن كلبهم عندما دخلوا كهفاً وجدوا على جدرانه أول الرسومات البدائية التى رسمها الإنسان فى عصور ما قبل التاريخ.. وقد رسمت هذه الرسومات قبل ١٥ ألف سنة، لكن ألوانها محتفظة بحيويتها وتوحشها.

وفى هذا العام المؤلم بالحرب، ولدت شخصية كارتونية أصبحت شهيرة وعالمية فى أفلام الرسوم المتحركة، هى شخصية الأرنب باجس بونى التى قدمتها شركة أفلام وارنر برازر، وأخرجها تكس أفرى، الذى منح باجس بونى شخصيته.. وقد تكلم هذا الأرنب الشهير بصوت شخص ظل مجهولاً هو ميل بلانك.

إن بداية الأربعينيات فى القرن العشرين كانت مرحلة مخاض لتحولات حادة وإنقلابات حادة، سيشهدها العالم فيما بعد.. تحولات وإنقلابات فى السياسة والجنس والاقتصاد، والتحرر النفسى والوطنى.. فلا شيء يحدث دون أن يمر بمرحلة الصهر والحريق.. إن النار المقدسة هى التى تعيد صياغة البشر.



انتهت الحرب
وبدأت ثورة الحب

أحيانا يأتى الضر من الأصدقاء.. أحيانا يأتى الخير من الأعداء.. كثيرا مايختلط الأمر فلا تعرف الأصدقاء من الأعداء.. إنها فلسفة الحياة وحكمتها وخبرتها التى تكشفها وتجسدها الحرب فلا صداقة دائمة.. ولا عداء مزمن.. هناك رقص على الحبال بينهما.

وقد بدأت الحرب العالمية الثانية بتحالف بين فاشية موسولينى ونازية هتلر وشيوعية ستالين.. لكن فى العام الثالث للحرب..عام ١٩٤١ انقلبت الموازين.. وتغيرت الحسابات.. وطمع هتلر فى موسكو.. فراح يقتحم أبوابها فى ٦ ديسمبر وكان أن وجد الشيوعيون فى موسكو أنفسهم فى جبهة واحدة مع أعدائهم الرأسماليين فى لندن وباريس وواشنطن.. وبعد ٤٨ ساعة راحت الطائرات اليابانية تدمر الأسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربور وكان أن قررت الولايات المتحدة دخول الحرب ومواجهة اليابان.. وهكذا لا

صداقة إلى الأبد.. ولا كراهية إلى الأبد.. إنها سنة الحياة.. وسنة الحروب.

لقد كان الأمريكيون فى الحرب على الهامش.. كانوا قد أكتفوا بدعم حلفائهم ماديا وعسكريا وسياسيا.. وقد تضاعف هذا الدعم فى اللقاء الذى جرى فى عرض المحيط فى ١١ أغسطس ١٩٤١ بين الرئيس الأمريكى روزفلت ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل.. ولكن بعدما جرى فى بيرل هاربور شعر الأمريكيون بصهد الحرب يحرق جلدهم.. فكان أن أصبحوا فى الجبهات الأمامية.

قبل بيرل هاربور كانت الحرب بالنسبة للأمريكيين أطول قبلة سينمائية ظهرت على الشاشة بين جان ويمن وريجيس تومى فى فيلم «أنت الآن فى الحرب».. وكانت الحرب بالنسبة لهم زيادة القدرة على التوصل إلى علب اللحم المحفوظ أو اللانشون الذى عرفوه لأول مرة فى عام ١٩٤١ وصدروا منه ملايين القطع.. وكان يحمل ماركة «سبام».. وفى نفس يوم بيرل هاربور قدمت الطفلة فاتن حمامة أول أفلامها مع المطرب محمدعبدالوهاب والمخرج محمد كريم.. فيلم «يوم سعيد».

وفى العام نفسه عرف العالم لأول مرة أيضا كلمة المضاد الحيوى أو «الأنتبيتك».

وقدم الممثل والمخرج الأمريكى أورسون ويلز واحدا من أهم أفلام السينما فى القرن العشرين.. فيلم «المواطن كين».. لكن الفيلم لم ينجح جماهيريا.. وهو أمر متوقع فى وقت يموت فيه الناس بالملايين..

ويحتاجون لما يبعدهم عن القضايا الجادة.. كما أن ما يرضى عنه النقاد لا يتقبله الجمهور. عادة.. فهناك أفلام للشباك.. وأفلام للتاريخ. وظهرت فى نيوجرسى أول محطة راديو تجارية.

وجاء عام ١٩٤٢.. أكثر أعوام الحرب توترا بالنسبة لنا فى مصر.. ففى ٢٣ و٢٤ أكتوبر كانت معركة العلمين التى نجحت القوات البريطانية بقيادة الجنرال برنارد مونتجومرى فيها فى وقف زحف قوات الفيلد مارشال إيروين رومل الألمانية إلى القاهرة.. كانت الهزيمة الأولى لرومل الذى عرف بثعلب الصحراء.. والذى كان يقود القوات الألمانية فى جبهة شمال إفريقيا.. وقد جعلت العلمين القاهرة العاصمة الافريقية للحرب.. فقد كانت لندن هى العاصمة الأوروبية للحرب.. وكانت دلهى العاصمة الآسيوية لها.

قبل ذلك.. فى ٢ فبراير ١٩٤٢ أثرت الحرب على النظام الملكى فى مصر.. إن هذا التاريخ هو بمثابة يوم من أيام التاريخ الأسود.. فقد حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين لتجبر الملك فاروق– الذى اعتلى العرش فى ٢٨ أبريل عام ١٩٣٦ ـ على تكليف الزعيم الوفدى مصطفى النحاس بتشكيل الحكومة وإلا فإنهم سيقيلونه.. وقد رضخ الملك لمطلبهم.. وجاء الوفد للسلطة على أسنة الرماح.

وفى ١٧ يناير عام ١٩٤٢ ولد كاسيوس كلاى أشهر ملاكمى القرن العشرين الذى أشهر إسلامه فيما بعد فى عام ١٩٦٤ وغير اسمه إلى محمد على.. وكان قد بدأ مشواره فى نيويورك عام ١٩٥٨ ومن وقتها حتى اعتزل، لعب ٦١ مباراة محترفين فاز فى ٥٦ منها بينها ٣٧

بالضربة القاضية لذلك وصف بالأعظم.. وفى ٢٤ أبريل ولدت المغنية والممثلة اليهودية الأمريكية بربارة سترايسند.. وفى ٢٤ أكتوبر نشر أول ملصق يرد على الدعـاية السـوداء التى كـان يديرها الوزير النازى جـوبلز.. كـان الملصق عـبارة عن صـورة جـوبلز وهو يضع عـدسـة المونوكل على عينه اليمنى وفى داخلها رسم سلويت لإنسان معلق فى مشنقة.. وكتب تحت الصورة «هذا هو العدو».. وفى ٢ ديسمبر توصل العالم أمريكى الجنسية إيطالى الأصل فى جامعة شيكاغو إنريكو فرمى إلى كيفية التحكم فى الإشعاع النووى.

وعرف العالم لأول مرة إستعمال البلاستيك.. وقد كان استعماله فى البداية فى صناعة علب الطعام.. ثم تطور بعد ذلك ليدخل فى جميع الصناعات بلا استثناء.. حتى إن البعض يعتبره إختراع القرن العشرين.

وعرف العالم لأول مرة طعام «الكورن فليكس».

ونشر ألبير كامى روايته «الغريب».

وبدأ مشاة البحرية الأمريكية عصر الـ «تى شيرت».

وجاء عام ١٩٤٣ بحادث سياسى كان نقطة تحول فى السياسة المصرية.. فى ٣١ مايو اعترفت مصر لأول مرة بالنظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى بعد أكثر من ربع قرن على قيامه.. وفى ٢٤ نوفمبر افتتح السوفيت أول سفارة لهم فى القاهرة بعد ٣ أيام فقط من تأسيس نقابة السينمائيين فى مصر.. ولا جدال أن دخول روسيا الحرب إلى

جانب الحلفاء كان سبب تغير الموقف المصرى.. خاصة أن روزفلت وستالين وتشرشل عقدوا فى طهران فى ٢٨ نوفمبر أول مؤتمر يضم الحلفاء الثلاثة منذ بداية الحرب.. وقرروا فيه فتح جبهة نورماندى التى غيرت فيما بعد مجرى الحرب.. وخططوا لتقسيم ألمانيا.. وضمنوا استقلال إيران.

وفى ذلك العام أيضا تفاقمت أزمات المواد الغذائية الأساسية. فبدأ لأول مرة توزيعها بنظام الكوبونات.. كان المصريون يحصلون على السكر والزيت والكيروسين بالكوبونات حسب أفراد الأسرة. أما فى بريطانيا فقد كانت الكوبونات هى الوسيلة الوحيدة المشروعة للحصول على القهوة والشاى والزيت والبيض والخبز.. وكانت الوسيلة غير المشروعة هى السوق السوداء التى كان المتاجرون فيها يحاكمون أمام محاكمات عسكرية فى جميع دول العالم بحكم قوانين الطوارئ التى تفرض فى الحروب.. لقد كانت الأزمات حادة جدا لدرجة أن صحيفة التايمس كتبت فى أحد عناوينها الرئيسية «إن عيون الإيرلنديين تلمع بعد تناول كوب من القهوة».. والمعروف أن الإيرلنديين هم أكثر شعوب الأرض إدمانا وحبا وتقديرا للقهوة.

ورغم أن النساء فى الولايات المتحدة كن بعيدا عن الموت فى الحرب فإن الإحصائيات أثبتت أن سرطان الثدى هو القاتل رقم واحد لهن.

وفى الولايات المتحدة أيضا ولكن فى ثاوث ديكوتا حدثت فى يوم ٢٢ يناير عام ١٩٤٣ ظاهرة مناخية شديدة الغرابة.. فقد ارتفعت درجة

الحرارة خلال ساعة ونصف الساعة فقط من ٤ درجات تحت الصفر إلى ١٢ درجة مئوية.

وفى ذلك العام عرف العالم لأول مرة كلمة «فاكس» أو جهاز إرسال الوثائق عبر جهاز التليفون.

وبدأ الكلام عن الكمبيوتر.. لقد طورت الحرب هذا الاختراع المذهل .. فقد كان أول استخداماته فى بريطانيا فك الشفرة الألمانية الملتقطة عبر أجهزة الراديو خلال ٣٠ دقيقة.. ولم يكن الكمبيوتر بالحجم الصغير الذى نعرفه الآن بل كان يشغل مساحة تصل إلى ١٥٠٠ متر.. ويبدو فى حجم سنترال التليفون العمومى فى الأحياء.. كان فريق فك الشفرة بالكمبيوتر يخضع لهيئة البريد الملكية ويرأسه تومى فلورز.. ويضم مهندس الشركة المصنعة آلن تورينج.. ورائد الكمبيوتر ماكس نيومان..

وجاء عام ١٩٤٤ .. لقد وصلت الحرب إلى ذروة القسوة.. ولم يعد الناس قادرين على الاحتمال.. فبدأت النوادى الاجتماعية تفتح أبوابها للتخفيف عن الجنسين.. واشتهر فى لندن نادى قوس قزح الذى كان فرصة للتعارف السريع فى وقت كان الموت فيه أسرع.. وبدأت حفلات الترفيه على الجنود تعرف طريقها لجبهات القتال.. إن أشهر من فكر فى هذه الحفلات عازف موسيقى الجاز الأمريكى جلين ميللر الذى حمل فرقته وأدواته فى طائرة عسكرية وطار إلى لندن ومنها إلى باريس وكان يعلن فى بداية حفلاته إذا كان علينا أن نموت فليكن ذلك على صوت الموسيقى لا صوت القنابل.

في ١٤ يوليو من العام نفسه لقيت المطربة أسمهان مصرعها حين سقطت سيارتها في النيل قبل أن تنتهي من تصوير فيلمها «غرام وانتقام» الذي كتبه وأخرجه ومثله أمامها يوسف وهبي.. وقد لقي الفيلم نجاحا مذهلا بمقاييس تلك الأيام وبقي ١٧ أسبوعا في دور العرض.

قبل ذلك.. وفي ١٠ أبريل توصل روبرت وودورد ووليم فان إيجرز إلى دواء مضاد لمرض الملاريا.

وفي اليوم نفسه عرف الناس لأول مرة القلم «الفلوماستر» ذا البلية الدوارة.. توصل إليه في بيونس إيرس لازلوا بيرو.. وبيرو كان هو أيضا اسم الماركة التي عرف بها العالم هذا القلم.

لكن.. أهم ما جرى في ١٩٤٤ كان تحرير باريس من الاحتلال النازي في ٢٥ أغسطس.. وتحررت روما مرة أخرى في ٤ يونيو بعد أن نجح الحلفاء في الإطاحة بموسوليني وفاشيته ووقعت الحكومة الجديدة هدنة مع الحلفاء.

وخرجت ريتا هيوارث على الشاشة بلباس البحر الساخن لتبدأ موجة التحرر الأخلاقي التي تعقب الحروب عادة.. فقد بدا أن الحرب على وشك أن تضع أوزارها.. وقد كانت ريتا هيوارث أول نجمة توقع عقدا لفيلم بمليون دولار.. وكان الطرف الآخر شركة فوكس للقرن العشرين.

وقدم والت ديزني أول أفلامه التي تمزج بين البشر والرسوم المتحركة.

وعرض الرسام الإيرلندي فرنسيس بيكون أولى لوحاته السريالية التي تصور البشر مثل حيوانات منقرضة. لقد عبر بيكون بريشته عن

البشاعة التى سكنت الإنسان بعد الحرب.. وجعلته مثل قطعة الصلصال غير المهذبة.

وانتهت الحرب العالمية الأخيرة فى القرن العشرين فى عام ١٩٤٥.

فى ١٣ فبراير بدأت الغارات الجوية الأمريكية على مدينة درسدن الألمانية.. وفى ١٠ مارس تعرضت طوكيو للغارات الجوية الأمريكية فى العملية التى عرفت بإعصار النار.. وفى ٢٨ أبريل أعدم موسولينى وصديقته وعلقا فى إحدى ساحات ميلانو وبعد يومين فى ٣٠ أبريل انتحر هتلر وصديقته.. وفى ٨ مايو استسلمت ألمانيا وانتهت الحرب فى أوروبا.. لكنها لم تنته فى اليابان.

فى الساعة الثامنة والربع من يوم ٦ أغسطس ألقيت القنبلة الذرية على هيروشيما التى تقع على بعد ٨٠٠ كيلو متر من طوكيو.. لقد بدأت تجارب القنبلة الذرية الأمريكية تصبح حقيقة ملموسة فى عام ١٩٤٢ تحت الاسم الكودى «خطة مانهاتن».. وفى سبتمبر ١٩٤٤ تقرر استخدام القنبلة ضد اليابان لكن سبق ذلك تجريبها فى ١٦ يوليو ١٩٤٥ فى صحراء الأموجوردو فى نيومكسيكو ونجحت التجربة.. وفى ٢٥ يوليو صدر الأمر العسكرى بإلقاء القنبلة على اليابان واختير يوم ٦ أغسطس للتنفيذ.

كانت المرة الأولى التى يعرف فيها العالم قسوة الانفجار النووى.. فقد وصلت درجة الحرارة خلال ٣ ثوان إلى ٤٠٠٠ درجة مئوية.. الحديد ينصهر عند درجة ١٥٣٦ مئوية.. وبدائرة قطرها ٦٠٠ متر..

واحترقت الأشجار والحجارة وأسقف المنازل الفخارية.. وبدائرة قطرها ٣ كيلومترات احترقت الملابس والأسطح الخشبية.

ألقيت قنبلة أخرى على نجازاكى فى ٩ أغسطس.. أن قنبلة هيروشيما كانت من اليورانيوم وسميت بالرجل النحيل أما قنبلة نجازاكى فهى من البلوتونيوم وسميت بالرجل البدين.. أما الطائرة التى حملتهما فهى من طراز بى - ٢٩.

واستسلمت اليابان فى ١٥ أغسطس وسمع اليابانيون إمبراطورهم المقدس لأول مرة عبر الراديو وهو يعلن الاستسلام.. وبكى اليابانيون الذين فعلوا المستحيل حتى لا يستسلموا.. إن تلاميذ المدارس مثلا جمعوا مليون طن من الحبوب للتغلب على أزمة الغذاء التى سببتها الحرب فى بلادهم.

وهكذا.. انتهت الحرب بمأساة ما بعدها مأساة.. انتهت الحرب التى شارك فيها ٩٢ مليون جندى.. وقتل فيها ٣٥ مليونا منهم.. و٤٥ مليونا من أقاربهم المدنيين.. وكان نصيب الاتحاد السوفيتى وحده ١٨ مليون إنسان.

فى ٢٤ فبراير من العام نفسه اغتيل رئيس الحكومة المصرية أحمد ماهر باشا بعد أن كشف فى جلسة سرية فى البرلمان عن رغبته فى إعلان الحرب على ألمانيا واليابان ليضمن مقعدا لمصر فى مؤتمر السلام الذى عقد فى ابريل ١٩٤٥ وأعلن فيه تأسيس الأمم المتحدة على أنقاض عصبة الأمم.. وفى ٢٢ مارس ولدت الجامعة العربية بعد أن

وقع ٧ من الحكام العرب (مصر وسوريا والعراق والأردن والسعودية واليمن) ميثاق التأسيس فى القاهرة.

وبعيدا عن الحرب لم تسجل الموسوعات التاريخية شيئا سوى اختراع الماكينات التى تعمل بالعملة.. لكن.. فى العام التالى.. عام ١٩٤٦.. أول أعوام ما بعد الحرب تدفقت الأفكار والاختراعات والموضات والصرخات.. لقد سعى العالم بكل قوته ليستمتع بكل شيء بعد أن ذاق الموت والجوع والتشرد.. ولكن قبل ذلك كان مشروع مارشال الأمريكى لإعادة تعمير أوروبا.. وكانت محاكمات مجرمى الحرب من النازيين فى نورمبرج .. وكان تصدير الحلم الأمريكى إلى العالم كله.. حلم امتلاك سيارة ووظيفة مستقرة وأسرة سعيدة ورعاية صحية مناسبة ومعاش للتقاعد يسمح لصاحبه بالسياحة حول العالم وهو فى شيخوخته.

فى ١٢ مايو ولدت ممثلة الاستعراض الأمريكية ليزا مانيللى.. وفى ١٩ أغسطس ولد بيل كلينتون آخر رئيس أمريكى فى القرن العشرين.

فى عام ١٩٤٥ أيضا نشر المفكر والمؤرخ برتراند راسل كتابه «تاريخ الفلسفة فى الغرب».. وافتتح مطار هيثرو فى لندن.. ونطقت الإذاعة البريطانية الموجهة باللغة الروسية.. وبدأ مهرجان كان السينمائى.. وعرف العالم لأول مرة مسحوق الغسيل.. وكانت البداية بمسحوق غسيل تايد الذى اخترع لتسهيل نظافة ثياب الجنود فى الحرب.. ثم تحول للمستهلك المدنى.

وقدم إنريكو بيجو صاحب شركة بيجو للسيارات فى فرنسا الفيسبا لتكون وسيلة مواصلات سهلة.. وقد بيع منها فى فرنسا حوالى المليون

فى العام الأول لإنتاجها فى فرنسا بعد ١٠ سنوات من إنتاجها فى إيطاليا التى اخترعتها بحيث يكون التحكم فى قيادتها بواسطة اليد فقط.

واستقر أول عقل إلكترونى بمفهومه الحديث فى ١٤ فبراير فى فيلادلفيا.. بواسطة علماء جامعة بنسلفانيا.. وعلى رأسهم بريسبير إيكرت وجون ماوشلى.. وكان يزن ٣٠ طنا.. على مساحة ١٥٠ مترا مربعا.. أو على مساحة طابق كامل.. وكان يقدر على القيام بحوالى ١٨٠٠٠ عملية حسابية.

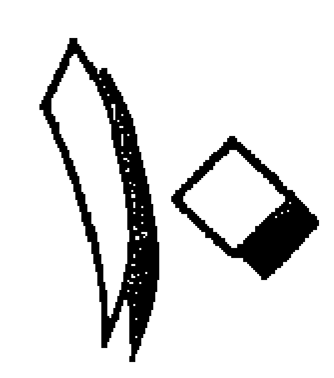
وأحدث الدكتور بنجامين سبوك ثورة بنشر أشهر كتاب فى العناية بالطفل وأمه.. وقد قلب فيه موازين هذه الرعاية ووضع اتجاهاتها الحديثة وهو ما جعل الكتاب يترجم إلى ٣٨ لغة وبيع منه ٤٠ مليون نسخة.

وبدأت ثورة التحرر الجنسى.. وكالعادة كانت السينما هى الرائدة فى تفجير هذه الثورة.. لقد بدأت فى تلك السنة ما عرف بالقنبلة الجنسية الساخنة والمثيرة.. دشنها بيرت لانكستر وآفا جاردنر فى فيلم «السيدة القاتلة».. ونافسهما فى ذلك همفرى بوجرت ولورن باسل فى فيلم «النوم الطويل».. ودخل الحلبة رد تيلور وريتا هيوارث بفيلم «جيلدا».. إن الجنس فرض نفسه على الشاشة تعويضا ولو بالوهم عن معاناة الحرب.. ولأن ٣٠ مليون ألمانى عادوا إلى مشاهدة السينما بعد الحرب.

وفى ١١ يوليو وصفت الصحف الفرنسية الصيف بأنه ملتهب.. وقالت «إن النساء خرجن من ثيابهن» فقد ظهرت موضة «البكينى».. أو لباس البحر ذى القطعتين.. وقد تبارت بيوت الأزياء فى تخفيض حجم

كل قطعة إلى أقل ما يمكن.. وقبل أن ينتهى الصيف.. كانت بعض الشواطئ فى جنوب فرنسا قد تخلصت نهائيا من قطعة الصدر.. وفى الصيف التالى كانت موضة شواطئ العراة.. ويسجل العالم للفرنسى لويس ريديس أنه أول من صمم البكينى .. ويسجل لميشلين برناردينى أنها أول من عرضته.. أما اسم بكينى فهو فى الحقيقة اسم شاطئ فى جنوب الباسيفيك.

ولم تأخذ الثورة الجنسية شكل البكينى فقط.. وإنما جعلت الجنس كالماء والهواء لا يعاقب أحد عليه مادام برضاء الطرفين.. وتغيرت القوانين التى تعترف بالأطفال غير الشرعيين.. وأصبحت الحكومات مسئولة عنهم.. وبعد أن فرضت المرأة نفسها على سوق العمل بنفس الأجر الذى يحصل عليه الرجل انتشرت ظاهرة المرأة التى تعيش بمفردها.. وفصلت الثورة الجنسية بين الحب والزواج.. والرغبة والاستقرار.



بداية العصر الذهبى لأصحاب القداسة.. الجواسيس

كـان العـالم بعـد الحـرب العـالميـة الثـانيـة يعـجن النار بالذهب لتتشكل حياة جديدة.. مريحة.. تعوضه عن كل ما عـاناه من قـسـوة.. ووحـشـة.. وضـع العـالـم حـرف الـسين بجانب حرف اللام.. وحرف الألف بجانب حرف الميم لكى يؤكد وجود السلام.. وبقدر ما كانت الحرب طويلة بقدر ما كانت الدنيا بعدها جريئة. فى عام ١٩٤٧ ولد رجلان أثارا فيما بعد جدلا وصخبا.. فى ١٩ يونيو ولد الكاتب الهندى المهاجر إلى بريطانيا سلمان رشدى.. مؤلف رواية «آيات شيطانية» التى كادت تكون حياته ثمنا لها بعد أن أباح رجال الدين فى إيران دمه فور نشرها.. وفى ٩ يوليو ولد أوجى سمبسون لاعب الكرة الأمريكى الذى اتهم بقتل زوجته ورغم ذلك حكمت المحكمة ببراءته.. واختلف الناس.. هل هو مذنب أم برئ.. ولم يحل اللغز.. ولن يحل..

وفى العام نفسه وبالتحديد فى ٢٠ نوفمبر تزوجت الأميرة إليزابيث.. ملكة بريطانيا فيما بعد.. من الأمير مونتباتن دوق أدنبرة.. بعد قصة حب بدأت فى عام ١٩٣٧ .. وقد قضيا شهر العسل فى همبشير.. وبعد حوالى العام فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٨ ولد ابنهما الأمير تشارلز.

لكن.. الحدث الأهم الذى ارتبط ببريطانيا كان استقلال الهند عنها فى ١٥ أغسطس من نفس العام.. بعد ٣٥٠ سنة من الاحتلال.. وبهذا الاستقلال فقدت بريطانيا درة تاجها الاستعمارى.. وأصبح المهاتما غاندى.. ملحمة وأسطورة.. ولكن الحرب سرعان ما اشتعلت بين الهند وباكستان على إقليم كشمير وقتل أكثر من ٢٠ ألف شخص حتى إعلان وقف القتال فى أول يناير ١٩٤٩ .

كانت الهند بداية فى مشوار حركات التحرر الوطنى.. فقد استقلت بورما عن بريطانيا فى ٤ يناير عام ١٩٤٨ .. واستقلت سيراليون عن الدومنيكان فى ١٠ فبراير من نفس العام.. واستقلت كمبوديا عن فرنسا فى ١٦ ديسمبر. وكان هناك حدث آخر فى بريطانيا.. لكنه أسعد الصغار.. لقد توصل بيتر أدولف إلى لعبة كرة القدم الخشبية التى يمكن لعبها فى المنازل.. وتوصلت بريطانيا كذلك إلى أول بطارية تعمل بالذرة وأسهمت جامعة إكسفورد فى أبحاثها.

على الجانب الآخر اخترع أمريكى مقيم فى بوسطن أول كاميرا بولاريد (أبيض وأسود) التى تظهر الصورة خلال ٦٠ ثانية بدون

تحميض.. كان ذلك فى ٢١ فبراير.. والمذهل أن مخترعها أدوين لاند لم يدرس فى الجامعة. واختراع ويليام شوكلى وجون باردين جهاز الترنزيستور.. وعرف العالم لأول مرة العدسات اللاصقة المصنوعة من البلاستيك الشفاف الرقيق.

وبدأت فى عام ١٩٤٧ «الحرب الباردة» التى توصف بأنها «ليست ككل الحروب».. أو توصف بأنها الحرب بدون معارك. كانت هذه الحرب بين الدول الشيوعية والدول الرأسمالية.. إن الحلفاء فى الحرب الساخنة أصبحوا أعداء فى الحرب الباردة.. فى ١٧ فبراير توجهت إذاعة «صوت أمريكا» بالروسية إلى الاتحاد السوفيتى.. وفى ١٣ مارس أعلن الرئيس الأمريكى هارى ترومان مبدأ ترومان بعد غزو السوفيت لليونان وتركيا.. وكان يدعو إلى حصار الشيوعية ومنع دول أخرى من التحول إليها.. وفى ٢٠ أكتوبر بدأت لجنة التحقيق فى الأنشطة الشيوعية فى شركات السينما.. هذه الأحداث كانت بداية أعراض الحرب الباردة التى راحت تزداد سخونة بمرور الأيام والسنوات..

وكان مثيرا للتناقض أن تغلق الولايات المتحدة أبواب التحرر السياسى بمواجهة اليسار ومطاردته فى كل مكان.. وفى نفس الوقت تفتح أبواب التحرر الاجتماعى كاملة.. لقد انتخبت امرأة لأول مرة فى الكونجرس.. إن أول سيناتور امرأة هى مرجريت شيس سميث.. وكان ذلك فى ٢ نوفمبر ١٩٤٨.. وبعد أسابيع.. وفى ٣ ديسمبر حصلت أول امرأة أمريكية هى مارى أنجس هالارن على رتبة كولونيل.. ويبدو أن تحرر المرأة قد أثر على علاقتها بالرجل.. لقد صدر تقرير يعرف

بتقرير كيترى يؤكد أن ٥٦٪ من الرجال على غير وفاق مع النصف الآخر فى الحب وفى الحياة.

ولم يفلح اختراع الزجاج الكهربائى الذى دخل السيارة لأول مرة فى عام ١٩٤٨ فى علاج هذه المشكلة.. ولم يفلح اختراع جهاز «جوك بوكس» فى التخفيف من هذه المشكلة.. إن هذا الجهاز الذى أصبح فى الملاهى الليلية أتاح لكل من يريد أن يسمع أغنية أو موسيقى معينة أن يضع فيه قطعة من النقود المعدنية فتخرج إليه فى الحال.. وقد باعت الشركة المنتجة له (شركة ويورليتزر) منه ١١٠٠ قطعة فى عامه الأول.. لكن الاختراع الذى جئت به النساء وضاعف من شعورهن بالاستقلال كان الخلاط الذى قدمته شركة كينوود البريطانية لأول مرة فى ذلك العام.

لكن.. أسوأ ما جاء به عام ١٩٤٨ هو إعلان دولة إسرائيل فى منتصف ليلة ١٤ مايو.. لقد تغير تاريخ الشرق الأوسط منذ تلك الليلة السوداء التى لم يظهر فيها القمر.. لقد جاء إعلان الدولة بعد قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود فى عام ١٩٤٧ وقد رفض العرب قرار التقسيم وقرار إعلان الدولة ودخلت البلاد العربية فى حرب ضد اليهود.. تلك الحرب التى عرفت بحرب فلسطين.. وكانت أولى المواجهات الساخنة بين الطرفين..

وتغيرت آسيا وتغير معها العالم كله بعد أن وصل الشيوعيون إلى السلطة فى الصين.. فى أول أكتوبر عام ١٩٤٩ .. لقد أصبح ماوتسى تونج زعيما للبلاد بعد حروب طويلة خاضها ضد الحزب الوطنى..

وأعلنت جمهورية الصين الشعبية فى ٢١ سبتمبر من العام نفسه.. وفى ١٥ فبراير من العام التالى وقعت الصين معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى.. لكن العلاقات سرعان ما توترت بين الرفاق الشيوعيين بسبب خلافات الحدود واختلافات النظرية الشيوعية.. وقد بقيت الصين الشعبية خارج الأمم المتحدة حتى ٢٥ أكتوبر ١٩٧١.. حين طردت المنظمة الدولية تايوان ووضعت الصين الشعبية فى المقعد الدائم فى مجلس الأمن.

وتغيرت آسيا وتغير معها العالم كله بعد أن صوت ١٧٣ مليون هندى فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٩ على الدستور الجديد للبلاد الذى يلغى التمييز بجميع أشكاله.. على أن يبدأ سريانه فى أول يناير التالى..

لقد تلاحقت التغيرات السياسية فى ذلك العام.. فى ٢٤ فبراير وقعت مصر وإسرائيل اتفاقية الهدنة ولحقت بها الأردن فى ١١ مايو.. وفى ٤ أبريل تأسس حلف الناتو.. وفى ١٨ أبريل أعلنت الجمهورية الإيرلندية.. وفى ٥ مايو أعلنت جمهورية ألمانيا الاتحادية «ألمانيا الغربية».. وفى ٢١ سبتمبر أجرى السوفييت أولى تجاربهم النووية.. وفى ١٢ أكتوبر أعلنت جمهورية ألمانيا الديمقراطية «ألمانيا الشرقية».. وفى ١٣ ديسمبر نقلت إسرائيل عاصمتها من تل أبيب إلى القدس..

لكن.. عام ١٩٤٩ تميز أيضا بإنقلاب من نوع خاص.. لقد توصلت مصانع أديداس الألمانية للملابس الرياضية إلى أول حذاء تدريب رياضى فى العالم.. وقد قام بتصميمه أدولف ديسلر.. وفيما بعد أصبح هذا النوع من الأحذية شائعا حتى خارج الملاعب..

على أن العام التالي جاء بأكثر من كارثة.. في ٦ يونيو مات الروائي البريطاني جورج أورويل الذى أشتهر برواية «مزرعة الحيوانات» التى نقد فيها بضراوة النظام الشيوعي.. وفي ٢ نوفمبر مات جورج برنارد شو.. وقبل ذلك في أول أكتوبر تدخلت مشاة البحرية الأمريكية في الحرب الكورية التي كانت قد بدأت في ٢٥ يونيو.. حين أعلن زعيم كوريا الشمالية كيم إيل سونج أن بلاده تعرضت لاعتداء مسلح من كوريا الجنوبية فقام بغزوها بدعم من الصين والاتحاد السوفييتي ولم تعد الحالة إلى ما كانت عليه إلا بعد أن وقعت الهدنة في يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٣.. وكان ضحايا هذه الحرب أكثر من مليون شخص. وقبل أن تتوقف الحرب الكورية توقفت في الصين تجارة النساء.. كان ذلك في ٣ مايو ١٩٥٠.. لقد كانت المرأة الصينية قبل هذا التاريخ تباع وتشترى.. وتعرض في فاترينات الدعارة التى لم تعد مهنة في الصين بعد هذا التاريخ.

ولم يهتم الأمريكيون بهذا الحدث الاجتماعي.. فقد كانوا مشغولين بالمنافسة في سوق المياه الغازية التي كان نصيب الكوكاكولا منها ٦٩٪ بينما لم تحظ البيبسي كولا إلا بحوالي ١٥٪ فقط. وكانوا مشغولين باقتناء السيارات.. إن ٢٥ مليون شخص كانوا يملكون سيارات في الولايات المتحدة في بداية الخمسينيات.. ولم يزد العدد على ٤,٥ مليون شخص في بريطانيا وثلاثة ملايين في بريطانيا.

وكانوا مشغولين بنجاح أول عملية لزراعة الكلى لمريضة عمرها ٤٤ سنة اسمها روث أولد توكر.

وكانوا مشغولين بالتغيرات الجديدة فى سوق السياحة.. لقد بدأت شركتان للسياحة، هما بليتز وريتز، السياحة الجماعية التى يدفع فيها الشخص الواحد مبلغا يتضمن ثمن تذكرة الطائرة أو الباخرة والإقامة والطعام والبرامج الترفيهية.. وجملة ما يدفعه أقل من تكلفة كل شئ على حدة.. وكانت أولى الرحلات في هذا النظام الجديد إلى مايوركا.. وتكونت أيضا النوادي السياحية مثل نادى البحر المتوسط.. إن العالم ابتداء من ذلك التاريخ سيتحدث عن حق الترفيه وحق السفر وحق المتعة بعد أن حصل على حق العمل وحق الحصول على معاش التقاعد..

وجاء عام ١٩٥١ ليعيد إلى رئاسة الحكومة البريطانية أعظم من تولاها فى القرن العشرين.. ففى ٢٠ أكتوبر جاء ونستون تشرشل إلى السلطة من جديد.. كان قد تولاها أول مرة ٢٣ مايو ١٩٤٠.. فى أحلك الظروف.. ظروف الحرب العالمية الثانية.. وقد قال ساعتها: إنه لا يملك ما يقدمه للبريطانيين سوى الدماء والدموع.. لكنه فى الحقيقة قدم لهم النصر على النازية.. وقد تخرج تشرشل ضابطا فى كلية سانت هيرست.. وكان والده اللورد راندولف تشرشل لا يتوقع له هذا المستقبل.. فقد كان يقول عنه وهو صغير إنه يفتقد الذكاء والمعرفة والقدرة على الإنجاز.. وقد نال تشرشل جائزة نوبل عن كتابه «تاريخ الحرب العالمية الثانية» فى عام ١٩٥٣.. كما أنه كتب أفضل سيرة ذاتية لسياسى فى القرن العشرين.

ولمعت فى عام ١٩٥١ أيضا إيفا بيرون... فقد أصبحت نائبة لزوجها خوان بيرون فى حكم الأرجنتين.. وكان زوجها قد تولى

السلطة فى انتخابات عام ١٩٤٥ .. وكان قد عرفها فى عام ١٩٣٤ عندما كان وزيرا للدفاع وكانت هى قادمة من قريتها الفقيرة إلى العاصمة بوينس أيرس لا تملك ثوبا واحدا.. وقد فشلت كمغنية.. لكنها نجحت كسياسية.. وفى النهاية لم يقدر لها أن تعيش طويلا.. فقد ماتت بسرطان الدم وعمرها ٣٣ سنة..

وفى ١٢ أبريل عام ١٩٥١ بدأت المهمة الأولى لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة فى كوريا. وقد عين الرئيس الأمريكى ترومان الجنرال ماك آرثر لقيادة القوات الدولية.. والجنرال ماك آرثر كان قائد القوات الأمريكية فى المحيط الهادىء أثناء الحرب العالمية الثانية.

وبعد ٧ أيام بدأت فى لندن أولى المسابقات لاختيار ملكة جمال العالم.. وفازت السويد باللقب.. فأولى ملكات العالم رسميا.. سويدية.

وفى نفس العام.. ولكن فى يوم ٤ مايو بدأ مهرجان لندن السينمائى.. افتتحه الملك جورج السادس والملكة إليزابيث فى حفل ثقافى شارك فيه الشعب والحكومة.. وتكلف ٨ ملايين جنيه استرلينى.. وقد كان مهرجان لندن آخر حدث يشهده الملك جورج السادس فقد فاضت روحه فى ٥ فبراير ١٩٥٢ .. وفى ٢ يونيو ١٩٥٣ ورثت العرش ابنته إليزابيث الثانية التى بقيت على العرش إلى ما بعد نهاية القرن العشرين... كان عمرها فى ذلك الوقت ٢٦ سنة.. وقد رأست منظمة الكومنولث التى تضم ٦٥٠ مليون شخص فى دول المستعمرات البريطانية القديمة.. وجاء حوالى ٣٠ ألف شخص ليشهدوا موكب الملكة يوم التتويج فى كنيسة ويستمنيستر.

لكن.. لم تمر أسابيع على افتتاح المهرجان حتى صدم الإنجليز بفضيحة من نوع جديد.. فى ٢٥ مايو قبضت المخابرات البريطانية «إم–١٥» على اثنين من العملاء المزدوجين هما جى بيرجس ودونالد دورت ماكلين وهما على وشك الهروب إلى باريس.. كانا يعملان لحساب السوفيت الذين أستغلوا شذوذهما الجنسى وسيطرا عليهما.. إن هذه القضية ستتكرر بعد ذلك كثيرا بين الشرق والغرب.. فالجاسوسية كانت أبرز أدوات الحرب الباردة.. وابتداء من هذه القضية ستنشط وتزدهر أجهزة المخابرات فى العالم.. وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.. المكتب الفرنسى الثانى.. الكى جى بى السوفيتى.. الموساد الإسرائيلى.. السفاك الإيرانى.. لقد بدأ العصر الذهبى للجواسيس فى بداية القرن العشرين.. وسيظل الجواسيس «أصحاب قداسة» حتى تنتهى الحرب الباردة.. ففى نهاية هذه الحرب تحولوا إلى «كير سيرفيس»..

فى عام ١٩٥٢ عادت أخبار الاختراعات المريحة من جديد.. وكان التاريخ دائما يبدأ برقم «٢١».. ففى ٢١ فبراير صنعت شركة آى بى إم كمبيوتر للبيع.. و٢١ سبتمبر بدأت تكنولوجيا الشاشة العريضة أو السينما سكوب.. وفى ٢١ أكتوبر بيعت أول زجاجة مياه غازية «دايت» أو ذات سعرات حرارية منخفضة.. وفى ٢١ نوفمبر عبأ الأمريكيون حليب القهوة فى عبوات صغيرة وكانت البداية فى أوهايو.. وفى ٢١ ديسمبر استخدم حزام الأمان فى السيارة لأول مرة..

وفى ٢١ يونيو عرفت الأسواق الأمريكية التليفزيون الملون.. ولم يكن ذلك حدثا فنيا أو تكنولوجيا فقط وإنما كان أيضا حدثا سياسيا.. فقد بدأ الاستخدام السياسى للتليفزيون وهو ما ضاعف من خطورة هذا الجهاز.. وكان أول سياسى يستخدمه هو السناتور ريتشارد نيكسون الذى أصبح رئيسا للولايات المتحدة فيما بعد.. لكنه خرج بالفضيحة الشهيرة التى عرفت بفضيحة ووترجيت.. وفيما بعد.. فى ١٣ ابريل عام ١٩٥٣ ظهر أول دليل لبرامج التليفزيون فى نيويورك.

وفى ٢١ يونيو أيضا ولكن عام ١٩٥٣ عرف الأمريكيون طبق «فيش فينجر» لأول مرة.. وهو نوع من السمك معد بطريقة قلى يدخل فيها الدقيق الخشن.. قدمته مطاعم جورتنس فيش ستيك..

لكن أهم ما جاء به عام ١٩٥٢ بالنسبة لنا كان ثورة ٢٣ يوليو.. كان قائد الثورة الذى ظهر فى الواجهة اللواء محمد نجيب الذى أصبح فيما بعد أول رئيس جمهورية فى مصر.. أما القائد الحقيقى والقوى فكان جمال عبدالناصر الذى كون تنظيم الضباط الأحرار داخل الجيش بعد ما جرى للجيش المصرى فى حرب فلسطين.. وقد تنازل الملك فاروق عن العرش وخرج إلى منفاه فى إيطاليا فى ٢٦ يوليو من نفس العام.. وبعد سنوات من الصراع على السلطة أصبح جمال عبدالناصر رئيسا وظل كذلك إلى أن توفاه الله فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

قبل ذلك بدأت الدعاية اليهودية تفرض نفسها على جميع مجالات الحياة.. فى ١٥ يونيو نشرت فى أمستردام يوميات فتاة يهودية فى معسكرات النازى هى آنى فرانك.. كانت آنى عمرها ١٣ سنة فى عام

١٩٤٢ عندما وجدت نفسها فى أحد هذه المعسكرات وراحت تسجل كل ما جرى لها ولأهلها.

ويبدو أن هوليوود أرادت أن تبلغ الناس هذه الجرعة المكثفة من الدعاية اليهودية السوداء فاندفعت فى تقديم الأفلام الموسيقية الاستعراضية.. ولمع نجم جون كيلى فى فيلم «غناء تحت المطر» الذى كان بداية الإنتاج الضخم فى السينما.. فقد تكلف حوالى ٦ ملايين دولار.. وهى تكلفة مرتفعة بجميع المقاييس.

فى ليلة ٥ مارس ١٩٥٣ مات جوزيف ستالين عن ٧٣ سنة وخرجت جريدة البرافدا الرسمية مغطاة باللون الأسود.. ووقف السوفيت طابورا يمتد إلى نحو ١٠ كيلو مترات ليلقوا عليه النظرة الأخيرة فى مثواه فى مبنى الاتحاد التجارى بعد أن حنطوا جثمانه.. مثله مثل سلفه لينين.. وقد وصف ستالين بالديكتاتور.. وبالسفاح. وبمنفذ سياسة الحديد والنار.. مثله مثل لينين أيضا.. لكن بعد سقوط الاتحاد السوفييتى جرت محاكمة لستالين وتحطمت تماثيله هو ولينين.. وعادت مدينة لينينجراد «المستوحى اسمها من لينين» إلى اسمها القديم سان بطرسبرج.

على الجانب الآخر.. تزوج جون كيندى السناتور عن ولاية ماسوشيتس من المصورة الصحفية فى جريدة واشنطن تايم. جاكلين لى بوفير.. التى عرفت منذ ١٢ سبتمبر ١٩٥٣ بجاكلين كيندى..

لكن الأهم من هذا الخبر ـ الذى لم يكن صاحباه قد نالا الشهرة التى يستحقانها بعد ـ كان خبر اكتشاف سر الحياة.. لقد توصل عالمان فى

الأحياء في جامعة كامبريدج الإنجليزية في ٢٥ إبريل ١٩٥٣ إلى تحليل الجينات الوراثية وكشف خباياها وخبايا الحياة.. العالمان هما فرانسيس كريك وجيمس واطسون.. وقد نشرا اكتشافهما في مجلة «الطبيعة».. وقالا: إن الجينات الوراثية مثل البصمات تختلف من شخص إلى آخر.. ويمكن تغيير خصائصها.. ويمكن كشفها بتحليل مادة دى. إن. دى وهى المادة التى أدانت الرئيس الأمريكى بيل كلينتون عندما حللوا سائله المنوى الذى وجدوه على الفستان الأزرق لصديقته الصغيرة مونيكا في الفضيحة الشهيرة التى كانت آخر فضائح القرن العشرين وأكثرها دويا.

لكن.. سر الخلية الحية لم يشغل الناس كما شغلهم سر الأنوثة الحية لمارلين مونرو التى ظهرت في أول ديسمبر ١٩٥٣ على غلاف العدد الأول من مجلة «بلاى بوى» أقدم وأشهر مجلة بورنو عارية في العالم.

وفي العام نفسه بدأت تجارب التلقيح الصناعى.. فقد نجحت جامعة أيوا الأمريكية في حفظ بويضة المرأة لإعادة استعمالها مرة أخرى.. وكشف الأطباء لأول مرة عن العلاقة بين أمراض القلب وتناول الدهون في الطعام.. وبدأت منذ ذلك الوقت ثورة الرجيم في العالم.. ولم يعد الرجال يفضلون المرأة السمينة.. وتغيرت مقاييس الجمال لصالح المرأة النحيفة التى لم تكن تجد من يقبل عليها من قبل.



١١

ثورة حبوب منع الحمل

هل اللون الأخضر مات.. أم أن أعيننا هى التى لم تعد تبصر؟ هل انتهت الرحمة من العالم.. أم أن أعيننا أصبحت حفرا بلا معنى؟.. ما الذى جعل أيدينا حارقة على هذا النحو.. تحرق اللحم والقلب إذا ما تصافحنا؟.. مر الربيع على نوافذنا.. ومضى ليعلن أننا متنا.. كنا نشعر بحق الحياة.. فليرحم الله ما كنا.. لقد تحولنا إلى حطب مشتعل.. فلنعترف بأننا تغيرنا.. توحشنا.. ومن كل المشاعر تجردنا. هذه الكلمات والمعانى لم يقلها شاعر أو فنان أو حتى سمسار عقارات.. وإنما قالها جاسوس متهم هو وزوجته بخيانة وطنهما.. هما جوليوس روزنبرج وزوجته راشيل اللذان أعدما بالكرسى الكهربائى فى مدينة نيويورك فى ١٩ يونيو ١٩٥٣.. وكانت تهمتهما هى تسليم أسرار القنبلة الذرية الأمريكية إلى الاتحاد السوفيتى.. كان ذلك فى ٣٠ مارس ١٩٥١.. وقد قالا بعد القبض عليهما: إنهما لم

يتقاضيا سنتا واحدا مقابل هذا العمل. وإن ما دفعهما إليه هو الرغبة فى أن يتوصل السوفيت إلى القنبلة الذرية فيحدث توازن الرعب النووى بين الشرق والغرب فلا يجرؤ أحد على استخدامها خوفا من الرد عليه من الطرف الآخر.. وهو ما حدث بالفعل فيما بعد.. وقالا: إن الحرب الكورية وهى حرب تقليدية وليست نووية فقدت الولايات المتحدة فيها أكثر من ٥٠ ألف شخص بلا فائدة.. وتساءلا عن عدد الضحايا لو قامت حرب نووية.

لكن.. من جانب آخر كان واضحا أن الزوجين جوليوس وراشيل هما جاسوسان من النوع العقائدى.. فهما يؤمنان بالعقيدة الشيوعية.. وقد قدما أسرار القنبلة الأمريكية من باب الوفاء لذلك.

وسواء أكان الدافع إنسانيا أم عقائديا فإن هذه القضية حيرت الناس الذين تابعوها.. فنحن أمام جاسوسين غير تقليديين لأول مرة.. جاسوسان لم يقبضا ثمنا لما قدماه من أسرار.. جاسوسان يتسمان بالشفافية والرومانسية.. فهل هما على حق أم هما على باطل؟.. وقد ظل السؤال قائما إلى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وبعد إعدامهما بعشرات السنين.. وقد رد اعتبار الزوجة فى منتصف التسعينيات.. ولايزال هناك من يسعى إلى رد اعتبار الزوج.. إنها إحدى القضايا الإنسانية المعقدة التى ألقى بها القرن العشرون إلينا.. وقد قدر لنا أن نحملها معنا إلى القرن الجديد..

على أن هذه القضية - رغم الضجة التى أثارتها ـ لم تمنع الناس من الاهتمام بحادث جغرافى من نوع خاص وقع فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم ٢٩ مايو ١٩٥٣ .. لقد اكتشف الإنسان أعلى قمة فى العالم وصعد إليها.. قمة جبل إفرست التى ترتفع عن سطح البحر بنحو ٨٨٥٣ مترا أو ٢٩٠٧٨ قدما.. اكتشفها الرحالة النيوزيلندى إدموند هيلارى ومرشده ودليله المغولى تيترينج نورجى.. وقد رفعا على هذه القمة علم الأمم المتحدة.. وكانت درجة الحرارة ١٥ درجة مئوية تحت الصفر.

ولم تمنع هذه القضية الناس من الاهتمام بنوع جديد من الجرائم بدأت تعانيه بريطانيا.. إن جون ريجنالد كريستى فتح الباب أمام علم النفس الجنائى ليدرس شذوذ السلوك البشرى فى القتل.. فقد قتل كريستى زوجته وقتل معها ٥ نساء أخريات وحرقهن بالكيروسين.. وراح يدخن علبة سجائر كاملة وهن يحترقن.. وفى ٣٠ أغسطس ١٩٥٤ وقعت فى نيوزيلاندا جريمة أخرى صدمت الناس واعتبروها من علامات الساعة.. فقد قتلت تلميذتان فى المدرسة أم إحداهما ووضعتاها فى مستودع قمامة.. الفتاة الأولى هى جوليت هولمى وعمرها ١٥ سنة والفتاة الأخرى بولين باركر وعمرها ١٦ سنة.. وجرت جريمة القتل بأعصاب باردة.. وباستمتاع أدهش حتى علماء النفس.. وقد بدأت بعد هذه الجرائم الدراسات والأبحاث التى تحاول تفسير العلاقة بين الجريمة والتغيرات فى العلاقات والاختراعات.

لكن.. رغم كل هذا الموت وكل هذا الشذوذ فإن الحياة تستمر.. لقد أجريت فى عام ١٩٥٣ أول عملية للقلب المفتوح.. أجراها الطبيب

الأمريكى جون جيبون.. واخترع منظم ضربات القلب.. وأول بطارية تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية.

وفى العام التالى.. عام ١٩٥٤ توصل العلماء الأمريكيون - بعد ٢٢ سنة من التجارب - إلى أقراص منع الحمل التى لم تستخدم إلا فى عام ١٩٥٦.. وقد أحدثت هذه الحبوب ثورة جنسية.. فقد انفصل لأول مرة الجنس عن الحمل.. وهو ما ضاعف من حجم العلاقات غير الشرعية.. والأمراض النفسية والعصبية.. لكن فى الوقت نفسه أسهمت هذه الأقراص فى الحد من الانفجار السكانى وتخفيض عدد البشر دون حاجة إلى حروب أو مجاعات أو أوبئة.

وفى عام ١٩٥٤ أيضا حدثت ثورة طبية من نوع آخر.. لقد أجرت هيئة المصل واللقاح الأمريكية فى نيويورك اختبارات ناجحة على المصل المضاد لمرض شلل الأطفال.. وقد توصل إلى المصل الدكتور جوناس إدوارد سالك.. الذى أجرى أبحاثه لسنوات عديدة فى جامعة بيستبرج.. وقد كان هناك نوع آخر من هذا المصل جرب فى عام ١٩٣٥ ولكنه كان قاتلا بنسبة ٦٠٪ على الأقل.. وقد اعتمد الرئيس فرانكلين روزفلت - وكان من ضحايا الشلل - سبعة ملايين ونصف المليون دولار لمواصلة الأبحاث لإنقاذ حوالى مليونى طفل يصابون بالشلل ومضاعفاته فى ٤٤ دولة.

وفى ذلك العام وصل عدد التليفونات فى العالم إلى ٩٤ مليون تليفون.. منها ٥٢ مليونا فى الولايات المتحدة. وحدها.

لكن.. الولايات المتحدة التى كانت تزدهر فى معظم مجالات الحياة وجدت نفسها مخنوقة بهيستيريا المكارثية.. إن المكارثية تنسب لجوزيف مكارثى.. عضو الكونجرس الذى راح يفتش فى عقول الأمريكيين عن الأفكار اليسارية وراح يطارد كل من يعتنق هذه الأفكار فى كل مكان للتخلص منه.. إن المكارثة كانت نوعا جديدا من الفاشية الفكرية أدت إلى تعطيل المبدعين فى السينما والأدب والفن التشكيلى.. وقد هرب الكثير منهم إلى أوروبا.. ووقف بعضهم أمام الكونجرس لاستجوابه ومنهم كان آرثر ميللر زوج مارلين مونرو التى كانت فى قمة شهرتها وقوتها ونفوذها وتأثيرها على الناس.

غير أن المواطن العادى. لم ينشغل بالمكارثية بقدر انشغاله بجهاز قهوة الكابتشينو التى انتشرت فى المطاعم والبارات.. أو بقدر انشغاله بأجهزة الشواء الكهربائية التى بدأت فى الانتشار فى ذلك الوقت.. وجعلت الشواء ممكنا فى الأماكن المغلقة.

وعرف الغرب لأول مرة كلمة ديسكوتيك.. ومعناها المكان الذى يرقص فيه الشباب على أنغام موسيقى مسجلة.. وكان أول ديسكوتيك فى نيويورك.

وبدأت الكوميديا التليفزيونية الأمريكية تغزو العالم بأول مسلسلاتها الشهيرة «أنا أحب لوسى».

وبعيدا عن الغرب.. تلاحقت الأحداث السياسية فى دول العالم الثالث.. فى ٨ مايو ١٩٥٤ انسحبت فرنسا من الهند الصينية بعد معركة ديان بيان فوالتى انهت الحرب الأهلية هناك.. وفى ٢٢ يوليو

اعترفت فرنسا باستقلال كمبوديا ولاوس وفيتنام.. وفى ١٩ أكتوبر وقعت مصر مع بريطانيا اتفاقية الجلاء بعد احتلال دام ٧٠ سنة.

وواصل عام ١٩٥٥ اهتمامه السياسى بالعالم الثالث.. فقد عقد فى ذلك العام مؤتمر باندونج للدول الآسيوية والإفريقية.. وقد لمع فيه نجم جمال عبدالناصر من مصر وشواين لاى من الصين الشعبية وجواهر لال نهرو من الهند ـ واستضافت المؤتمر أندونيسيا التى كان يرأسها نجم آخر من نجوم حركات التحرر هو أحمد سوكارنو الذى تولى الرئاسة فى عام ١٩٤٥ وظل بها حتى عام ١٩٦٨ حين تدخلت المخابرات الأمريكية لخلعه ووضعت بدلا منه أحد رجالها هو الجنرال سوهارتو الذى جاء إلى السلطة غارقا فى بحر من الدم بعد مقتل حوالى مليون شخص كانوا ينتمون إلى الشيوعية.. وفيما بعد.. بعد حوالى ٣٠ سنة سقط سوهارتو وتنازل عن السلطة وسط غضب شعبى كان عارما.

وفى ٢٨ نوفمبر قتل فى قبرص حاكم الجزيرة البريطانى جون هاردينج.. قتلته منظمة أوكا التى تدعو إلى ضم قبرص إلى اليونان.. لقد تعقدت منذ ذلك الوقت المشكلة القبرصية.. ففيما بعد غزتها تركيا واحتلت جزءا من أرضها.. ولم يتوقف الصراع بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك.. ورحل القرن العشرون دون حل لهذه المشكلة.

لكن.. اهتمامات عام ١٩٥٥ فى الغرب كانت مختلفة تماما.. لقد بدأ عصر الفضاء بتصنيع لعبة الإنسان الآلى للأطفال وبيعها فى ٢٣ فبراير.. وفى ١٧ يوليو افتتحت ديزنى لاند فى كاليفورنيا.. أشهر مدينة ألعاب فى العالم.. أسسها والت ديزنى.. وأنفق عليها حوالى ١٧ مليون دولار.

ونشر الأديب الروسى فلاديمير نابكوف روايته «لوليتا».. أول رواية تروى طبيعة العلاقة بين رجل فى الخريف ومراهقة فى بداية الأنوثة.. ونشر صمويل بيكت «فى انتظار جودو» ليبدأ بها اتجاها جديدا فى الأدب والمسرح.. هو الذى عرف فيما بعد باللامعقول.. ونشرت الطبعة الأولى من موسوعة «جينس» للأرقام القياسية..

وأصبح الجينز موضة.. اكتسحت ملابس الشباب.. ثم ملابس الكبار.. إن قماش الجينز كان يستخدم فى القرن الماضى فى صناعة قلاع المراكب.. وفى عام ١٨٥٠ استخدمه عمال مناجم الذهب فى كاليفورنيا ليتحمل ظروف عملهم الشاق.. واستخدمه فيما بعد رعاة البقر والفلاحون.. ومع موجات التحرر الاجتماعى والسياسى وصل الجينز إلى الشباب.. فلم تتردد بيوت الأزياء فى ابتكار العديد من الموضات منه.. فكان أن أصبح الجينز أهم نوع قماش فى العالم.. ولا يزال.

وفى ٣١ أكتوبر ١٩٥٥ انتهت بالفشل قصة الحب الرومانسية التى عاشتها الأميرة مرجريت والكابتن بيتر تاونسند التى حالت التقاليد الملكية فى بريطانيا دون زواجهما.. وقد عاشت الصحافة البريطانية على هذه القصة شهورا طويلة.. لكنها كانت فى صف الحب.. وضد التقاليد..

وجاء عام ١٩٥٦ ليواصل الاهتمام السياسى الذى بدأ من قبل بدول العالم الثالث.. لقد غزت بريطانيا وفرنسا منطقة القناة فى ٦ نوفمبر بعد أن غزت إسرائيل سيناء.. وكانت حرب السويس التى خرج منها جمال

عبدالناصر زعيما عالميا.. وأنهت تماما قوة ونفوذ القوى الاستعمارية الأوروبية القديمة.

ولعبت الدبلوماسية الأمريكية والروسية دورا كبيرا فى أزمة السويس.. وسهل ذلك أنه فى ٢٥ سبتمبر أصبحت الاتصالات الدولية الأتوماتيكية متاحة عبر المحيط الأطلنطى بين الولايات المتحدة وباقى دول العالم وبتكلفة أرخص.

وقبل الغزو الأنجلو فرنسى لمصر بيوم واحد غزت القوات السوفييتية المجر وسيطرت على عاصمتها بودابست بالدبابات وسحقت كل القوى الديمقراطية المعارضة.. والمذهل أن الذى أمر بهذا الغزو هو نيكيتا خروتشوف الذى تولى السلطة فى الاتحاد السوفييتى والذى كان قد هاجم لأول مرة ديكتاتورية سلفه ستالين فى ١٠ مارس خلال انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى.. ولكن خروتشوف كان فى نفس الوقت هو أول من فتح آفاق التعاون بين بلاده ودول العالم الثالث المعادية للغرب.. وعلى رأسها كانت مصر.

على أن أحداث العالم لم تمنعه من أن يغنى إن الموسيقى هى رفيق الإنسان فى كل الأحوال.. وقد انفجرت فى ذلك الوقت موهبة وشهرة ألفيس بريسلى الذى جن به الشباب.. والذى أسهمت موسيقاه فى ابتكار وانتشار رقصات جديدة على رأسها الروك أند رول وهى الرقصة التى أخترعها الشاب البريطانى تيد تريندى أو تيد بوى أو تيد الصغير كما اشتهر.. وقد حصل ألفيس بريسلى فيما بعد على أول أسطوانة ذهبية ولم يدخر بنسا من الملايين التى كسبها.

ومات في حمام بيته وحيدا في ١٦ أغسطس ١٩٧٧ .. وفي الوقت الذى انفجرت فيه شهرته غنت مغنية الجاز الشهيرة بيلى هوليدى واحدة من أشهر أغانى القرن «السيدة تغنى البلوز» .. وفيها تقول: «إذا رأيتنى أضحك .. فلا تندهش .. فأنا أضحك حتى أمنع نفسى من الحزن والبكاء».

ولم يكن من الممكن أن يغير الشباب العالم بالموسيقى والرقص ولا يغيره بالإبداع الروائى .. لقد نشر جاك كروس فى عام ١٩٥٧ روايته «على الطريق» التى قلبت موازين الرواية الأمريكية .. كان عمره وقتها لا يزيد على ٣٥ سنة .. والرواية تدور حول شابين يقومان برحلة يقطعان فيها الولايات المتحدة .. وبسبب الأخطاء التى وقعا فيها والتى وصلت إلى ما بعد ارتكاب الجرائم تطاردهما أجهزة الإعلام التى لا تصنع الأبطال إلا إذا كانوا أشرارا.

ولم تمنع الأحداث الدامية العالم من أن يفكر فى مستقبله العلمى .. فى ٣ نوفمبر ١٩٥٧ أرسل الاتحاد السوفيتى أول مخلوق حى إلى الفضاء .. الكلبة لايكا فى مركبة الفضاء سبوتنيك - ٢ .. وفى ٤ أكتوبر أطلق محطة فضاء كاملة تحمل نفس الاسم .. سبوتنيك .. وفى الوقت نفسه نجح الأمريكيون فى تصنيع أول سفينة تعمل بالطاقة النووية فى بنسلفانيا وتكونت فى فيينا منظمة الطاقة الذرية .. وفى الوقت ذاته نجح فيه البريطانيون فى تصنيع أول «دش» لالتقاط برامج الراديو والتيلفزيون بالقرب من مانشستر .. وكان قطر الطبق ٧٥ مترا أو ٢٥٠ قدما .. لكن ما لفت النظر لبريطانيا فى ٤ سبتمبر من نفس العام هو أن القانون أصبح لأول مرة يسمح بتسجيل الزواج بين الرجال الشواذ.

ولم يسمع لفرنسا صوت فى الاختراعات العلمية.. لكنها فاجأت العالم بقنبلة جنسية.. حُسية.. هى بريجيت باردو التى كان عمرها ١٨ سنة فى تلك السنة التى عرفها فيها العالم.. وكان قد قدمها للسينما كممثلة إغراء زوجها المخرج الفرنسي روجيه فاديم الذى تصور أنها يمكن أن تهز عرش النموذج المثالى للأنوثة مارلين مونرو.. وفيما بعد اعتزلت بريجيت باردو وتفرغت للدفاع عن حقوق الحيوان.. ولكنها لم تتذكر حقوق الإنسان.. فقد تحمست للحزب اليمنى الفرنسى الذى يدعو إلى طرد وتشريد الأجانب..

وفى ٣٠ يناير ١٩٥٨ قدمت فرنسا لأول مرة عرض أزياء لواحد ممن أصبحوا فيما بعد من ملامحها القومية هو إيف سان لوران.

ولكن الولايات المتحدة قدمت فى نفس التاريخ الائتمان أمريكان اكسبريس.. وأسست فى ٢٩ يوليو من نفس العام وكالة ناسا للفضاء.. وفى نفس التاريخ بيعت - بعد عام من التصميم والتجارب - لعبة المكعبات البلاستيكية.. لوجو.. وعرف الناس سماعات الهاى فاى فى أجهزة الراديو والتسجيل.. وعرف الناس أول جهاز تسجيل فيديو بالألوان.

وعرف الناس ناطحات السحاب المصنوعة من الحوائط الزجاجية لأول مرة.. فقد انتهى العمل فى ناطحة سحاب على هذا النحو الحديث من التصميم تطل على باراك أفينو فى نيويورك وترتفع إلى ١٥٧ مترا وصممها مهندس معمارى من أصل ألمانى هو ميس فاند روه وقد أقام فى شيكاغو منذ عام ١٩٣٧ .

على أن الجنون كله فى ذلك العام كان لعبة أو رقصة الهولا هوب.. طوق يضعه الراقص حول خصره ويتركه يدور بسرعة دون أن يسقط منه.. والفكرة مأخوذة من الأطفال الاستراليين.. وقد اقتبسها منهم آرثر ملين وريتشارد كينر.. وقامت بتصنيعها شركة ريفال التى باعت منه فى أسابيع ٢٥ مليونا..

فى العام نفسه ولكن بالقرب منا قامت الجمهورية العربية المتحدة التى تكونت من دولتى مصر وسوريا.. وقام اتحاد كونفيدرالى بين الأردن والعراق.. لكنه لم يستمر بعد سقوط الملكية فى العراق ووصول عبدالكريم قاسم إلى السلطة.. وفى الجزائر وصلت الثورة ـ التى بدأت فى أول نوفمبر ١٩٥٤ ضد الفرنسيين ـ إلى مداها.. وهو ما أجبر الجنرال شارل ديجول على العودة إلى السلطة فى فرنسا لمواجهة هذه المشكلة التى لم تحل إلا باستقلال الجزائر فيما بعد.

وفى العالم التالى وقعت ثورة شيوعية ظلت صامدة إلى ما بعد نهاية القرن.. فى الثانى من يناير عام ١٩٥٩ وصل فيدل كاسترو إلى السلطة فى كوبا بعد نجاح ثورته وسقوط نظام عميل واشنطن الديكتاتور باتيستا الذى كان قد وصل إلى الحكم فى انقلاب عسكرى قام به ضباط صغار فى عام ١٩٣٣.. ومنذ وصوله إلى الحكم راح باتيستا ينهب خيرات البلاد ويقتل معارضيه وهو ما حفز الشباب اليسارى ومنهم كاسترو على مقاومته والنضال ضده حتى أسقطه فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٥٨ وتولى السلطة بعد يومين.. ولم تتردد الولايات المتحدة فى السعى إلى إزاحة كاسترو منذ توليه السلطة وحتى الآن.. ولكنها فشلت..

وقد كانت كوبا دائما منطقة ملتهبة من مناطق الحرب الباردة كما سنعرف فيما بعد في عام ١٩٦٢ عندما كادت تتسبب فى حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.. وقد كانت كوبا على جدول أعمال أول لقاء يتم في موسكو بين طرفي الحرب الباردة الزعيم السوفيتي نيكيتا خروتشوف ونائب الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون وكان ذلك في ٢٩ يوليو عام ١٩٥٩.

وعلى الجانب الآخر.. غير السياسى.. بدأت السيارات الميني تفرض نفسها.. وقد سميت بيبى كار أو السيارة الطفل.. في بريطانيا كانت السيارة موريس بموتور سعته ٤٨٤ سى سى وسرعتها القصوى ١١٢ كيلو مترا في الساعة.. وقد صممها إليك ليزوجنس.. وفى ألمانيا كانت سيارة أصغر من بى أم دبليو بموتور لا تزيد سعته على ٢٤٥ سى. سى.

وولدت العروسة باربى بطول ٣٠ سنتيمترا وكان سعرها ٣ دولارات.. وباربى هى أشهر عروسة عاشت في القرن العشرين.. وقد كان اسمها قبل ذلك ليلى.. ولكنها لم تنتشر في أحضان الفتيات الصغيرات إلا بالاسم الجديد.

وفى ٢٩ مايو من نفس العام جاء إلى فلوريدا من المحيط الأطلنطى على بعد ٤٨٠ كيلو مترا قردان عرف الأول بألبا وعرف الثانى ببيكر.. كان الهدف من إحضارهما هو إجراء كل التجارب والاختبارات عليهما لمعرفة تأثير السفر إلى الفضاء على الإنسان.. إن ألبا وبيكر هما اللذان فتحا بوابة الفضاء بثقة أمام الأمريكيين.

١٢

أشهر فضيحة وأجرأ اغتيال وأطول قبلة

بدأت ستينيات القرن العشرين بضربات موجعة فى قلب المبدعين.. فى ٤ يناير ١٩٦٠ كان ألبير كامى عائدا إلى باريس بعد قضاء عطلة فى الريف الفرنسى.. وكان معه ناشر كتبه ميشيل جاليمار وزوجته وابنته.. وفجأة انحرفت السيارة التى كانوا يستقلونها واصطدمت بشجرة.. وفى الحال لقى ألبير كامى مصرعه.. ورغم أن التحقيقات أثبتت أن جاليمار لم يتحكم فى السيارة إلا أن الرأى العام سيطر عليه الشك فى أن الحادث مدبر.. وكان سر التشكك هو موقف كامى المعارض لموقف فرنسا فى الجزائر التى ولد على أرضها.. ولسنوات طويلة أوقفت شركة فيجا فاسيل طراز السيارة التى كان يستقلها كامى.

وفى ٣٠ مايو توفى الكاتب الروسى المعارض بوريس باسترناك مؤلف الرواية الشهيرة «دكتور زيفاجو» التى تحولت إلى فيلم سينمائى لعب بطولته عمر الشريف الذى

كان قد خرج إلى السينما العالمية عندما لعب دورا فى فيلم «لورنس العرب».

وفى ١٦ نوفمبر مات معبود النساء النجم كلارك جيبل صاحب أشهر قبلة على الشاشة فى فيلم «ذهب مع الريح» مع فيفان لى.. والمعروف أن أول قبلة سينمائية كانت فى فيلم يحمل نفس الأسم «القبلة» بين جون رايس وماى أيرويش.. والمعروف أيضا أن مهرجان كان السينمائى اتخذ من القبلة التى جمعت بين كارى جرانت وأنجريد برجمان فى فيلم «حب من نار» شعارا فى عام ١٩٩٣.

فى ١٨ أبريل مات نجم الروك أندرول الأمريكى إيدى كوكهارن.. وخرج ملايين المراهقين فى جنازته.

ولم تأت بداية الستينيات بموت هذه الحزمة من المشاهير فقط وإنما جاءت بمذبحة عنصرية فى شربفيل فى جنوب إفريقيا.. فقد قتل البوليس الأبيض ٦٩ رجلا أسود بالرصاص.. فى مظاهرة عنيفةاشترك فيها ٢٠٠ ألف شخص لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة.

وامتدت سحابة بداية الستينيات السوداء من العنف إلى التجسس.. لقد طورت وكالة المخابرات المركزية (الأمريكية) وشركة لوكهيد طائرة التجسس الشهيرة «يو- تو» التى تحلق على ارتفاع عال يصل إلى ٦٨ ألف قدم وهى مزودة بمعدات تصوير وأجهزة التقاط إلكترونية.. وكانت هذه الطائرة ـ التى تسمى السيدة السوداء ـ تعود بثروة من المعلومات الوفيرة عن الاتحاد السوفيتى التى تحلق فوقه.. وفى أول

مايو ١٩٦٠ كان يقودها الطيار فرنسيس باورز (٣٠ سنة) عندما نجح السوفيت في إجبارها على النزول على أرضهم..ووجدوا على متنها خناجر وسنارة صيد وقاربا مطاطيا وخرائط طوبوغرافية ومواد كيماوية قابلة للاشتعال وأسهما نارية للإشارة ومواد غذائية ونقودا ذهبية وساعات لتوزيعها كرشاوى و٧٥٠٠ روبل.. وبعد سقوط الطائرة شعرت الولايات المتحدة بالفضيحة ولم يتردد خروتشوف فى أن يعلن «إنها تلعب بالنار».. وكانت العبارة صحيحة.

وحتى تدارى الولايات المتحدة فشلها فى تكنولوجيا التجسس أعلنت مبكرا عن فريق رجال الفضاء السبعة الذين جهزتهم وكالة ناسا للسفر إلى العوالم الأخرى.. وهم والتر شيرا.. ودونالد سلايتون.. وجون جلين.. وسكوت كاربنتر. وآلن شبرد.. وفيرجل جيرسون.. وجوردن كوبر..

ولم تأت بداية الستينيات بأفضل من استقلال بعض دول العالم الثالث.. فى ٢٧ أبريل عام ١٩٦٠ استقلت توجو عن فرنسا.. وفى ٣٠ يونيو استقلت الكونغو عن بلجيكا.. وفى ١٦ أغسطس استقلت قبرص عن بريطانيا.. وفى أول أكتوبر استقلت النيجر عن بريطانيا.

ويبدو أن العالم أراد أن يواجه كل ما جاءت به هذه الفترة من اضطراب وقلق فكان أن بدأت ـ لأول مرة فى تاريخ ثياب النساء- الملابس التى بلا أكمام.. أو الملابس العارية التى راحت مساحتها تنكمش من جميع الجهات يوما بعد آخر.

وفى بريطانيا توصل آر.جريجس إلى حذاء (أو بوت) جديد للعمال والجنود.. نعله مصنوع من مادة صناعية تسمى «الكرب».. وقد قيل إن من يستعمله لا يمشي وإنما يطير.

وفى بريطانيا أيضا.. ولكن فى أول يوليو عام ١٩٦١ ولدت ديانا فرانسيس سبنسر أو الأميرة ديانا التى تزوجت ولى عهد بريطانيا الأمير تشارلز فى عام ١٩٨١ وأنجبت منه الأميرين وليم وهارى.. وقد تسببت فى عدة فضائح للأسرة الملكية البريطانية حتى بعد طلاقها رسميا.. وفى عام ١٩٩٧ لقيت مصرعها فى حادث سيارة هى وصديقها عماد الفايد.. وأدى نبأ مصرعها إلى أكبر ضجة إعلامية فى القرن.. كما كانت جنازتها إحدى أشهر جنازات القرن.. وقد وصفت فى النهاية بأنها أميرة القلوب لا العروش..

قبل هذا التاريخ ولكن فى نفس العام توصلت الولايات المتحدة إلى أقراص جديدة لمنع الحمل تتلافى كل الآثار الجانبية المصاحبة لتناول هذا النوع من الأقراص.. الأقراص الجديدة هى جينوفلاور التى أصبحت الأشهر فى العالم.. وهى تسمح للمرأة أن تتناولها ٢١ يوما فقط فى الشهر.. وقد ضاعفت هذه الأقراص من خطورة ثورة الانفجار الجنسى التى كانت لا تزال تجتاح العالم بدون زواج.

وعرضت شركة الطيران الأمريكية تى دبليو إيه أول فيلم سينمائى فى الجو.. فى رحلتها المتجهة من نيويورك إلى لوس أنجلوس.. وكان الفيلم هو «تملك الحب».

وعادت بعد ٢٠ سنة رقصة التويست مرة أخرى.. وهى رقصة سريعة مجنونة كانت قد اختفت فى الأربعينيات بعد أن سيطر خطر الحرب على الجميع.

وأمتد الخوف والموت من الحياة إلى شاشة السينما.. ففى تلك الفترة برع المخرج البريطانى الأصل ألفريد هيتشكوك فى تقديم أفلام الغموض والإثارة.. وكان أشهر أفلامه «سيكو» أو «نفوس معقدة».. وفيما بعد قدم «الطيور»..وقد قدم هيتشكوك ١٠٠ فيلم وهو ما جعله واحدا من أهم مخرجى القرن العشرين.. لكن أفلام الرعب والإثارة التى تميز بها جعلته أسطورة السينما فى هذا القرن.

وبدأت مؤامرات جهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) تؤرق العالم.. ففى ١٥ ديسمبر ١٩٦١ حكمت محكمة عسكرية فى القدس على القائد النازى أودلف إيخمان بالموت.. كان إيخمان رئيس عمليات التخطيط فى ألمانيا النازية.. وقد اتهمه اليهود بأنه كان مسئولا عما جرى لهم فى معسكرات النازى.. وقد فر إيخمان إلى الأرجنتين وعاش هناك متنكرا.. لكن الموساد نجحت فى الوصول إليه وحملته إلى إسرائيل لتبدأ محاكمته فى أبريل فى نفس العام الذى انتهى بإعدامه وإلقاء جثته فى البحر لتأكلها الأسماك.

وبدأت مؤامرات وكالة المخابرات المركزية فى كوبا.. لقد دفعت الوكالة بأكثر من ١٥٠٠ كوبى منشق على كاسترو لغزو البلاد تمهيدا لإثارة القلاقل والاضطرابات وإسقاط النظام الشيوعى هناك.. وكشفت العملية التى جرت فى أبريل ١٩٦١ .. فراحت الولايات المتحدة تسخن

الأجواء فى خليج الخنازير ونشرت صواريخها النووية.. ومن جانبه راح الاتحاد السوفيتى ينشر صواريخه النووية على الجانب الكوبى.. وكادت الأزمة تؤدى إلى حرب عالمية نووية.. لولا تراجع الرئيس الأمريكى جون كيندى فيما بعد.. بعد أن اكتشف الورطة التى وضعه فيها جهاز مخابراته.

وقد خرجت الدولتان الأعظم متعادلتين فى هذه الأزمة.. لكن الاتحاد السوفيتى تفوق على الولايات المتحدة بعد أيام.. ففى ٥ مايو من نفس العام سبق السوفيت فى إرسال أول رجل إلى الفضاء كان هو يورى جاجارين.. وقد لحق به فيما بعد ضابط البحرية الأمريكية آلن شبرد ليصبح ثانى رجل يرسلونه فى كبسولة إلى الفضاء.

وجاء عام ١٩٦٢ وهو يجنح ناحية الأخبار الطيبة.. إن الأزمة الكوبية ظلت على حالها.. ومارلين مونرو انتحرت أو قتلت. لكن الجزائر نالت استقلالها فى أول يوليو.. وأول قمر صناعى تجارى أطلق فى ١٠ يوليو فى الفضاء لخدمة شركة التليفون والتلغراف الأمريكية لنقل الرسائل والصور التليفزيونية.. وأصبح حساء الطماطم يباع فى علب محفوظة.

ولمع نجم الممثل الأيرلندى شين كونرى فى أدوار جيمس بوند (أو العميل ٠٠٧) وهى شخصية خلقها كاتب الروايات البوليسية وروايات التجسس يان فيلمنج وبدأها بقصة دكتور نو التى كانت أيضا أول أفلام شين كونرى أو جيمس بوند.

وانفجرت شهرة فرقة البيتلز.. أشهر فرقة موسيقية فى القرن العشرين.. إن البيتلز لم تغير فقط فى الموسيقى ولكنها غيرت أيضا فى تسريحة الشعروموديلات الملابس وتصرفات المراهقين وأساليب معيشتهم . وقد منحت ملكة إنجلترا البيتلز أعلى الأوسمة.. وهى المرة الأولى التى تفعل فيها ذلك..

ولكن.. الأخبار الطيبة لم تستمر طويلا فى عام ١٩٦٣ .. وسادت الأخبار الشريرة.. أن أبرز الأخبار الطيبة تتلخص فى صعود أول امرأة سوفيتية للفضاء هى فالنتينا تريشكوفا. وتوصلت شركات الأدوية إلى أقراص الفاليوم المهدئة للأعصاب.. وخروج التحذير بخطورة التدخين من منظمة القلب الأمريكية.. وفى ٢٩ أغسطس قاد زعيم السود الأمريكيين القس مارتن لوثر كينج مظاهرة سلمية أمام البيت الأبيض فى واشنطن اشترك فيها أكثر من نصف مليون أمريكى أسود.. جاءت المظاهرة السلمية بعد أن قال الرئيس كيندى قوله المأثور «إذا كان السود يريدون أن يأتوا إلى واشنطن للتعبير عن متاعبهم فدعوهم يأتوا».. وقال مارتن لوثر كينج فى هذا الحشد الكبير: «إن حلمى أن يعيش أطفالى الأربعة فى أمة لا تحكم عليهم بلونهم وإنما تحكم عليهم على أساس أخلاقهم.. وفيما بعد.. فى عام ١٩٦٨ قتل مارتن لوثر كينج فى أحد فنادق مدينة ممفيس بولاية تينسى قبل أن يشهد تنفيذ الوثيقة التى فاوض السلطات الأمريكية عليها وتلغى معظم قوانين التفرقة العنصرية.. وفيما بعد أيضا كان مارتن لوثر هو الأسود الأمريكى الوحيد الذى خلدت ذكراه بعيد وطنى.

وكان هناك خبر يستحق التوقف هو صدور قانون أمريكي يفرض المساواة في الأجر وفي فرص العمل بين الرجال والنساء لأول مرة.

أما الأخبار الشريرة في عام ١٩٦٣ فكانت بلا حدود.. وبلا ضوابط.. وكان كل منها نقطة تحول لا يمكن الاستهانة بها.

في ٣ أغسطس انفجرت فضيحة جون بروفيمو وكريستين كيلر.. وبروفيمو هو وزير الدفاع في حكومة هارولد مكميلان البريطانية.. وهو مجنون نساء.. خاصة العاهرات.. أما كريستين كيلر فهي راقصة ستريتيز في ملهى ليلي اسمه موريه.. وقد اكتشفها دكتور ستفين وارد.. وهو طبيب شاذ معظم مرضاه من كبار القوم.. وقد استغل رجل المخابرات السوفيتي ومساعد الملحق البحري في لندن يوجين إيفانوف شذوذ وارد ومن خلاله تعرف إيفانوف على كريستين كيلر وسيطر عليها سيطرة كاملة بالجنس وكان عمرها لا يزيد على ٣٠ سنة.. وهكذا جندت المخابرات السوفيتية شاذا وعاهرة.

تعرفت كريستين كيلر على بروفيمو في ٨ مايو ١٩٦١ وعلى الفراش الذي جمعهما عرفت منه كل أسرار وزارة الدفاع البريطانية.. وعلى الفراش الذي كان يجمعها بإيفانوف كانت تكشف كل ما عرفته.. وفي أوائل ١٩٦٣ تعرضت كريستين كيلر لأزمة مالية فراحت للصحافة تعرض عليها بيع قصتها الغرامية مع بروفيمو.. وكان أن قبضت ٢٣ ألف جنيه استرليني.. واضطرت الحكومة للتحقيق.. ولم يجد بروفيمو مفرا في النهاية من الاستقالة... لكن الفضيحة ظلت واحدة من أشهر فضائح القرن العشرين.. إن لم تكن أشهرها..

وفى ٢٢ نوفمبر قتل أصغر رئيس أمريكى.. جون كينيدى.. كان فى سيارة مكشوفة فى مدينة دالاس هو وزوجته جاكلين كينيدى قبيل مرور السنة الثالثة على حكمه عندما أطلق عليه الرصاص.. كانت دالاس المحطة الأخيرة فى جولته الانتخابية التى سبقت ترشيحه لانتخابات الرئاسة فى عام ١٩٦٤.. وقد سقط كيندى على صدر زوجته غارقا فى دمائه.. ولكنها تماسكت وقادت السيارة بمسافة ٥ كيلو مترات حتى مستشفى باركلاند ميموريال.. وحاول الجراحون إنقاذ حياة كينيدى ولكنه مات فى الساعة الواحدة صباحا بالتوقيت المحلى.. وبعد ٩٩ دقيقة فقط أقسم نائب الرئيس ليندون جونسون اليمين الدستورية ليصبح الرئيس الأمريكى رقم ٣٦.

وفى نفس اليوم قبض على رجل عمره ٢٤ سنة هو لى أزوالد واتهم بارتكاب الجريمة ولكن بعد ٤٨ ساعة فقط قتل أزولد برصاصات أطلقها عليه جاك ليون روبنشتين المعروف باسم جاك روبى.. وهو ما جعل حادث مقتل كيندى لغزا فشل الجميع فى حله.. وإن أشارت بعض القرائن إلى أن المخابرات الأمريكية وراء الحادث بعد إحراجها فى أزمة خليج الخنازير الكوبية.. وبعد ٤٨ ساعة أيضا دفن كينيدى الذى ظل فى ذاكرة الأمريكيين حتى نهاية القرن العشرين.

قبل ذلك.. فى ١٠ يونيو شهدت العاصمة الفيتنامية سايجون مشهدا هرعت كاميرات الدنيا لتصويره.. الرهبان البوذيون يحرقون أنفسهم فى عرض الطريق احتجاجا على تصرفات حكومة فيتنام الشمالية.. وكان هذا المشهد المثير هو المشهد الافتتاحى فى حرب فيتنام.. تلك

الحرب التى دفعت فيها الولايات المتحدة ثمنا غاليا من كرامتها وسمعتها ودماء شبابها.. وقد بدأت الحرب وسط توتر بين الشمال والجنوب فى فيتنام وهو التوتر الذى جعل ثلاث سفن شمالية تقوم بضرب مدمرة أمريكية فى خليج تونكين فيما بعد.. فى الثانى من أغسطس ١٩٦٤ .. ورد الأمريكيون بعد يومين بضرب أهداف على الساحل الشمالى.. وتصاعدت الحرب التى لم تنته إلا فى ٢٧ يناير ١٩٧٣ بعد توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين الأمريكيين والفيتناميين فى العاصمة الفرنسية.. باريس..

إن حرب فيتنام كانت أبرز أحداث عام ١٩٦٤ .. ولم يضارعها في الأهمية سوى الحكم على الزعيم الإفريقى نيلسون مانديلا بالسجن مدى الحياة فى ١١ يونيو.. وهو ما فجر قضية الحكم العنصرى الأبيض فى جنوب إفريقيا.. وهو ما أفقد خبر حصول أول ممثل أمريكى أسود هو سيدنى بواتيه على الأوسكار لأول مرة الكثير من الاهتمام (فيما بعد قام سيدنى بواتيه بتمثيل دور مانديلا فى الفيلم الدرامى الذى صور عن حياته في عام ١٩٩٥) .. لكن بعض العزاء شعر به الأفارقة عندما استقلت كينيا فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٤ وانتخبت أول رئيس لها هو جومو كينياتا.

وبعد التحذير الذى كرره أطباء القلب عن علاقة التدخين بالذبحة الصدرية سارعت شركة التبغ الأمريكية فى ١٥ يونيو ١٩٦٤ إلى إنتاج سيجارة «كارلتون» منخفضة النيكوتين والقطران.. وفى الوقت نفسه تقريبا أنتجت شركة فيرباندس مولكرى السويسرية أول نوع حليب لا

يفسد سريعا.. إن أهم ما فى النظام الرأسمالى هو تطوير منتجاته حتى يظل الطلب عليها مستمرا.

وتوقفت موسوعات القرن العشرين فى عام ١٩٦٤ عند السد العالى وقالت موسوعة جينس عنه إنه فى ١٤ مايو من نفس العام احتجزت مياه النيل خلفه.. وقالت إن أحدث تكنولوجيا فى القرن العشرين استخدمت فى بنائه.. وإنه كان بمثابة شهر العسل بين السوفيت والمصريين.. أما مبدع السد العالى فهو الرئيس جمال عبدالناصر.. وقد قامت مصر بتهجير سكان النوبة التى أغرقتها بحيرة السد إلى الصعيد.. وهى بحيرة صناعية تمتد إلى نحو ٤٨٠ كيلو مترا.. وفى الوقت نفسه تدخلت اليونسكو لإنقاذ معابد أبى سنبل ورمسيس الثانى ونقلها بعيدا عن مياه السد.. وقد سمح السد العالى بزيادة رقعة الأراضى الزراعية.. وتوليد المزيد من الطاقة الكهربائية الرخيصة.

ورصدت نفس الموسوعة ظهور النجم كلينت ستودد.. وظهور الباتيناج فى السينما الهندية.. لكن القبلات كانت حتى ذلك الوقت من المحرمات فيها.. وفى ذلك الوقت أيضا أصبح محمد على كلاى بطلالأول مرة.

ولكن الظاهرة التى شدت انتباه الأجيال الجديدة كانت ظاهرة تقليد المرأة للرجل وذوبان بعض الفروق الشكلية بينهما.. لقد كانت مارى كوانت أول امرأة فى العالم تقص شعرها مثل الرجال وتبدأ عصر تسريحة الجرسون أو الصبى ثم تجرأت وارتدت ثياباً مثل ثياب الرجال وبدأت بتقليد القميص والبنطلون.. إن تحرير المرأة ومساواتها بالرجل

تجاوزا الجوهر إلى الشكل.. وحتى لا تتهم مارى كوانت بالشذوذ أعلنت أنها تصر على أن تكون ملابسها الداخلية شديدة الإثارة.. فهذه الملابس هى فقط من حق من تحب.. أما الملابس الخارجية فلا يجوز أن تكون مثيرة لأنها تفقد المرأة الاستقلال الذى تدعو إليه.. وتجعل الرجل ينظر إليها كأنثى لا كانسان متساوية به.

إن حرية المرأة ليست مجرد شعار.. ولكنها ثورة دفعت إلى ظهور الثياب البسيطة.. والمكياج الخفيف.. والاختراعات المنزلية التى تسهل الحياة العائلية.. وأساليب حفظ الطعام وتيسيرها.. ووسائل منع الحمل.. وبناء دور الحضانة.. وسيادة النظريات الجديدة فى التربية.. وفى الوقت نفسه غيرت طبيعة علاقة المرأة بالرجل.. وهذه قصة أخرى.

١٣

ظهور العذراء
وظهور الشورت الساخن

هل جربت مـرة أن تنام فى فـراش نامت فيـه مـارلين مونرو؟

الصحفى الفرنسى ميشيل كادور جرب ذلك أكثر من مرة. فـقد لف على كل فنادق العـالم التى نزلت فيـها مـارلين مونرو.

وأصر على أن ينام فى فراشها ويستعمل حمامها، ويضع ثيابه فى خزانتها، وفى النهاية قدم كتابا مثيرا من نوع غير مألوف هو «فى فراش الغالية» وقد أثار الكتاب خيال الرجال وغيرة النساء، فباع عند صدوره فى عام ١٩٧٥، أكثر من ١٠ ملايين نسخة، وقد وصفت جريدة الموند الكاتب بأنه باع للناس الترام، لكن الكاتب رد: إن القانون لا يحمى المغفلين.

أنا لم أنم فى فراش نامت فيه مارلين مونرو ولا حتى مـارى منيب، ولكن وجدت نفسى فى الحجرة التى نزل فيها

ونستون تشرشل فى فندق «باريس» فى مدينة «مونت كارلو» إنها الغرفة رقم (٣٠١) وقد حرص موظف الاستقبال أن ينبهنى إلى ذلك وهو فخور بالخدمة التاريخية التى قدمها لى، وقد شعرت بالإثارة وأنا فى طريقى إلى الغرفة، ثم زادت الإثارة وأنا أفتح بابها، ثم وأنا أتأمل أثاثها، لكن سرعان ما أدرت جهاز التليفزيون المتصل بالأقمار الصناعية فشعرت بأننى عدت إلى العصر الذى أعيش فيه.

تذكرت هذه الواقعة وأنا أقلب كتاب القرن العشرين، ففى صفحة ٢٩ يناير عام ١٩٦٥، توفى تشرشل، الذى قاد بريطانيا للنصر فى الحرب العالمية الثانية، وقد كانت جنازته جنازة عسكرية، ولف جثمانه على عربة مدفع، وتقدم حملة الأوسمة والنياشين حتى الصلاة عليه فى كنيسة «ويستمنيستر» ولكن لا أحد حمل فى الجنازة أهم ماكان يميز صاحبها، وأكثر ما اشتهر به: السيجار، وأغلب الظن أن السبب لم يكن ذلك القانون الذى صدر لأول مرة فى يوم الجنازة والذى ينص على أن تضع شركات التبغ تحذيرات صحية على علب السجائر وإلا كان الغلق من نصيبها.

وشاءت المصادفة التاريخية أن تتحرر جزيرة رودس من الاستعمار البريطانى بعد شهور من وفاة وزير المستعمرات الأسبق، تشرشل، وقد وقع وثيقة التحرر رئيس الوزراء (العمالى) إيان سميث، والمعروف إن رودس هى الجزيرة التى شهدت مباحثات واتفاقيات الهدنة بين العرب واليهود بعد حرب عام ١٩٤٨، لكن أخبار الحرب فى ذلك الوقت كانت

تشغل الدنيا أكثر من أخبار السلام، وقد قامت فى أول فبراير عام ١٩٦٥ ، أول مظاهرات الاحتجاج على الحرب الأمريكية فى فيتنام، وكانت فى جامعة ميتشجان الأمريكية، وفى الوقت نفسه استغلت الجماعات السوداء من هذه الحرب فى المطالبة بالمساواة بينهم وبين البيض والقضاء على التمييز اللونى والعنصرى، وظهرت إحصائيات تقول إن هناك ١٢ أسود بين كل ١٠٠ أمريكى بينما هناك ٢٣ جنديا أسود بين كل ١٠٠ جندى أمريكى يحاربون فى فيتنام، والمؤكد أن حرب فيتنام كانت هى أهم أسباب المساواة بين البيض والسود فى الولايات المتحدة، لقد جاءت المساواة بالدم والعنف والتضحية، فالشعوب لا تأخذ ما تريد وهى ممدودة على وسائد الحرير، أو حتى على مصاطب الطين.

وبينما كان فريق «البيتلز» يحقق نجاحا مذهلا بين الشباب فى أربعة أنحاء العالم كانت موضة المينى جوب تفرض نفسها على الفتيات، لقد راحت الجوب تنكمش وتنكمش حتى وصلت إلى منطقة الخطر، واختيرت العارضة الإنجليزية ليزلى هورنى التى لا يزيد عمرها على ١٧ سنة كأشهر عارضة أزياء فى العالم بعد أن عرضت ٥٠٠ موديل للمينى جوب، وامتدت موضة العرى إلى السينما، فظهرت راكيل ولش فى صورتها الشهيرة فى فيلم «مليون سنة قبل الميلاد» وهى عارية إلا من قطعة قماش فى حجم ورقة «البوستة» تغطى صدرها، وقطعة أخرى فى نفس الحجم لباقى الجسم.

والمثير للدهشة أنه فى ذلك الوقت أيضا زادت التيارات الدينية والمحافظة فى الغرب، وبدأ الناس فى روما ويوركشير ومارسيليا

وسيدني ونيويورك يتحدثون عن معجزات ظهور السيدة العذراء، وقد بارك البابا في الفاتيكان هذه الظاهرة التي راحت تجد لها أنصارا في العالم كله حتى وصلت إلى مصر في عام ١٩٦٨، حينما راح الناس يتحدثون عن ظهور العذراء في كنيسة الزيتون، والغريب أن الدولة وأجهزة الأمن والتنظيم السياسي وهو الاتحاد الاشتراكي العربي كانوا يشرفون على هذه المعجزة.

أما في الشرق الشيوعي فقد انشغل الناس بما سمي بالثورة الثقافية في الصين الشعبية، لقد فجر هذه الثورة الزعيم الصيني ماوتسي تونج في ١٥ أغسطس ١٩٦٥، أمام ١٠٠ ألف طالب في الجامعة والمدارس الثانوية، كان الهدف هو إعادة تأهيل الأجيال الجديدة على أسس النضال التي وضعتها الأجيال السابقة حتى تجدد الثورة دماءها وتحافظ على رسالتها وتألقها، وأغلب الظن أن هذه الفكرة هي التي أخذ بها جمال عبدالناصر في مصر عند تأسيس منظمة الشباب الاشتراكي في ذلك الوقت تقريبا.

ولكن، منظمة الشباب في مصر سرعان ما أصبحت عبئا على النظام السياسي بعد مظاهرات الطلبة في فبراير ونوفمبر عام ١٩٦٨، لقد تفجرت هذه المظاهرات بعد صدور أحكام هزيلة على القادة العسكريين المتسببين في هزيمة يونيو ١٩٦٧، كانت هذه المظاهرة هي أول مظاهرات معارضة منذ ثورة يوليو ١٩٥٢، وقد امتدت من جامعة القاهرة إلى باقي الجامعات المصرية، كما أنها خرجت إلى الشارع فتعرضت للعنف والقسوة والقنابل المسيلة للدموع في قمعها،

وهو ما خلق شرخا بين النظام والأجيال الشابة الجديدة. لكن، الشرخ الأكبر الذى سيطر على كل العقول والقلوب والضمائر كان الهزيمة نفسها، إنها فى تصورى أسوأ حادث عربى ومصرى فى القرن العشرين بعد إعلان دولة العدو الصهيونى فى فلسطين، لقد حققت إسرائيل إجتياحاً عسكريا فى ساعات قليلة، واحتلت سيناء والجولان والضفة الغربية وضمت القدس بأكملها، وكان أن تنحى جمال عبدالناصر تاركا السلطة لزكريا محيى الدين فى ٨ يونيو، بعد ٧٢ ساعة من الهزيمة كان خلالها الطريق إلى القاهرة مفتوحا أمام إسرائيل ولا يقف سوى ٦٢ دبابة سوفييتية عتيقة بالقرب من السويس. وقد خرجت المظاهرات تطالب جمال عبدالناصر بعدم التنحى والرجوع فى قراره، وقد كان وبدأ مشوار تحرير الأرض، تحت شعارات سادت فى تلك الفترة الحرجة والصعبة فى تاريخ مصر، مثل «لاصوت يعلو فوق صوت المعركة» و«ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة».

ويبدو أن عام ١٩٦٧، كان عام تلقى الضربات الموجعة للثورات فى العالم، ففى يوم ٣١ أكتوبر من ذلك العام قتلت المخابرات المركزية (الأمريكية) الثائر أرنستو جيفارا ووجدت جثته فى أحراش بوليفيا، جيفارا كان رفيق الزعيم الكوبى فيدل كاسترو، وقد رفض أن يستمر فى السلطة بعد نجاح الثورة فى كوبا وأصر على أن يناصر الثوار فى كل مكان، وهو ما استفز المخابرات الأمريكية فرصدت ١٠ ملايين دولار وفرغت ١٠٠ رجل من أخطر رجالها للبحث عنه والتخلص منه، وقد كان. وقد غطت أخبار الحرب فى الشرق الأوسط والثورة فى أمريكا اللاتينية على

معظم أحداث عام ١٩٦٥، فلم يتوقف العالم عند خبر ظهور أول ساعة يابانية تعمل بالكوارتز هى «سايكو» وقد تسبب ظهور هذا النوع الرخيص والأنيق من الساعات فى كساد صناعة الساعات فى وطنها الأصلى سويسرا، وربما لا يعرف معظم الناس أن مكتشف الكوارتز هو وارين ألفين ماريزون، لكن الشركات اليابانية هى أول من استخدمته فى صناعة الساعات، وكانت الضربة المؤلمة لسويسرا هى أن ساعات الكوارتز اليابانية أرخص وأدق وربما أجمل مما تنتجه سويسرا، وطن قياس الزمن والشيكولاتة.

ولم يتوقف العالم عند خبر افتتاح أول مطعم للنباتيين فى لندن، وقد بدأ المطعم بمائة زبون فى الشهر، وبعد ١٠ سنوات كان عدد زبائنه ٦٠ مليونا، يتذوقون طعامه فى ١٢٥ فرعا له فى بريطانيا، وفى خلال هذه الفترة انتشرت هذه الموضة فى الطعام، وأصبح ١٥٪ من سكان العالم نباتيين، وقد تضاعفت النسبة فى نهاية القرن، وفى نهاية القرن أيضا كان ٤٥٪ من سكان العالم يؤمنون بالطعام «الدايت» أو الريجيم.

ولم يتوقف العالم عند ظهور أول كاميرا سهلة الاستعمال من «كودك» لا يزيد حجمها على كف اليد، وفيها فلاش داخلى وعدسة زووم، وقد طرحت فى الأسواق بسعر لا يزيد على ١٠ دولارات فقط، وهو ما نقل التصوير من مهنة محترفين إلى لعبة هواة.

ولم يلتفت العالم لخبر صناعة أكبر سفينة ركاب وهى «كوين إليزابيث» أو الملكة إليزابيث، لقد بدأت تجاربها فى فبراير ١٩٦٨، بعبور قناة السويس والوصول إلى قناة بنما.

ولكن العالم عاد لاهتماماته فى عام ١٩٦٨، بحادثين غيرا الكثير من المفاهيم والعلاقات فيما بعد، فى أول مايو من ذلك العام قامت ثورة الشباب فى فرنسا وتضامنوا مع ١٠ ملايين عامل كانوا يطالبون بمزيد من الحقوق والمكاسب فى أكبر إضراب شهدته فرنسا، وقد انتشرت عدوى ثورة الشباب من فرنسا إلى إيطاليا وبريطانيا وهولندا، ثم عبرت المحيط إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن المجتمع الرأسمالى الاستهلاكى المتفجر ذكاء لم يتردد فى استغلال الظاهرة فراح يحولها من ثورة سياسية إلى ثورة فى الموسيقى والثياب والحب والجينز، وبدأت شعارات الحب لا الحرب، والجنس لا الكنيسة، وانتشرت المخدرات التى أبيحت رسميا فى ذلك العام فى هولندا فى حدود الاستعمال لا الاتجار، وبدأت شعارات الخروج عن قواعد وقوانين المجتمع الصارمة، وراح الشبان والبنات يعيشون بعيدا عن الحياة فى المدن، وانتشرت الموجات الهيبية، وسيطر فيلسوف جديد للشباب هو هربرت ماركيوز الذى أكد أن الثورة لن تتحقق إلا بالطلبة وربات البيوت والزنوج، أى لن تتحقق إلا بمن لا يعمل فى المجتمع الرأسمالى، وهو ما ثبت فشله فيما بعد، وإن كانت ثورات الشباب كانت أحد الأسباب المباشرة لخروج الولايات المتحدة من مستنقع الحرب فى فيتنام، وفى ذلك الوقت أعلن البيت الأبيض أن فى فيتنام ٥٠٠ ألف جندى يكلفون الخزانة الأمريكية ٣٠ مليون دولار يوميا، وحوالى ٣٠٠ منهم يموتون كل أسبوع، وحوالى ١٣٠٠ منهم يصابون بجراح.

أما الحادث الثانى الذى توقف عنده العالم فكان الاحتلال السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا ودخول دبابات حلف وارسو إلى براغ، لقد قمعت القسوة

السوفيتية الدول التى تسيطر عليها عقائديا وعسكريا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وظلت هذه الدول تحت القمع والقسوة حتى سقوط الإمبراطورية السوفيتية فى التسعينيات، وكانت العلامة الأولى هى هدم سور برلين الذى يقسم العاصمة الألمانية الشهيرة.

وجاء عام ١٩٦٩، ليتوقف عند خبر تولى جولدا مائير رئاسة الحكومة فى إسرائيل فى ١٧ مارس من ذلك العام، وبعد أيام وفى ٢٧ مارس تزوج نجم فرقة البيتلز جون لينون من الفنانة والكاتبة اليابانية يوكو، وكان أشهر زواج جرى فى القرن العشرين بين رجل أوروبى وامرأة أسيوية، وقد التقط المصورون الصحفيون لهما صور شهر العسل وهما فى فراشهما فى فندق هيلتون امستردام، عاصمة هولندا، وبعد أكثر من شهر وفى ٢٨ مايو توفى الرئيس الأمريكى الشهير دويت أيزنهاور.

لكن أهم أحداث عام ١٩٦٩، على الإطلاق كان هبوط الإنسان على سطح القمر كان ذلك فى ٢٠ يوليو، وشاهد الناس على شاشة التليفزيون رائد الفضاء الأمريكى نيل أرمسترونج وهو يضع بصمة قدمه على سطح القمر، بينما كانت سفينة الفضاء أبوللو ١١ قريبة منه فى المشهد التاريخى.

قبل ذلك فى ٢ مايو ١٩٦٩ طارت من باريس إلى نيويورك أول طائرة كونكورد تقطع المسافة فى نصف الوقت الذى تقطعه الطائرات العادية، والغريب أن الكونكورد لم تشهد الإقبال الذى كان متوقعا عليها، وبقيت الطائرات العادية فى المقدمة.

وسعد العلماء وأنصار المستقبل بالأحداث العلمية، بينما كانت سعادة المحافظين والمتزمتين أكثر بتراجع موضة الميني جوب وعودة الطويل أو الماكسي، لكن سعادة هؤلاء لم تستمر طويلا، فقد جرى أكبر مهرجان للموسيقى والمخدرات في نيويورك وهو الذي عرف بوود ستوك، شهده ٤٠٠ ألف شاب وفتاة واستمر ٣ أيام بداية من ٢٠ أغسطس عام ١٩٦٩، وفي هذه الأيام القصيرة استهلك أكثر من طن مخدرات وخمور، ودفع المشاركون فيه حوالي ١٥ ألف دولار في موانع وعوازل الحمل، ورغم ذلك ولد بعد المهرجان ١٤٥ طفلا غير شرعي وعزفت ١٩٠ فرقة ٦٢٠ أغنية.

وأخطر من مهرجان وود ستوك الذي دعم الظاهرة الهيبية التي اجتاحت مانسون في تحريض أتباعه على القتل والسرقة وكانت البداية قتل رجل وزوجته في سوبر ماركت، ثم توالت الجرائم، وقد قبض على مانسون في الوقت الذي كان مهرجان وود ستوك في ذروته.

ولم ينقذ سمعة الشباب في العالم في ذلك الوقت سوى شباب المقاومة الفلسطينية الذين بدأوا عملياتهم الفدائية في أوروبا وسيطروا عليها في بداية السبعينيات وهو ما أزعج إسرائيل ومخابراتها كثيرا، كانت العملية الأولى هي تفجير طائرة في الأردن في ١٢ سبتمبر عام ١٩٧٠، بعد إخراج ٦٠٠ راكب منها وكانت الطائرة من طراز بوينج (٧٠٧) متجهة إلى نيويورك، وتابعة لإحدى الشركات الأمريكية، وقد أدت هذه العملية إلى اشتباكات مسلحة بين الفلسطينين التابعين لمنظمة التحرير والجيش الأردني ووصلت للذروة فيما عرف بأحداث أيلول

أوسبتمبر الأسود، مما أدى إلى دعوة مصر لمؤتمر قمة فى نفس الشهر، وعند نهاية المؤتمر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، أصيب جمال عبدالناصر بأزمة قلبية مع هبوط حاد فى السكر، وفاضت روحه إلى السماء.

وسجل عام ١٩٧٠ فنيا، نجاح فيلم «قصة حب» الذى دخل تاريخ السينما من أوسع الأبواب الرومانسية، والفيلم عن قصة أريك سيجال، وبطولة ريان أونيل وأنى ماكرو، وحقق أكبر إيرادات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وفى لندن عرضت مسرحية «أوه كالكوتا» وهى أول مسرحية استعراضية غنائية يظهر فيها الممثلون عرايا على المسرح، وهو غالبا السبب فى أنها هى الأخرى حققت أعلى إيرادات فى المسرح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد واصلت المسرحية نجاحها من لندن إلى برودواى فى نيويورك.

وفى عام ١٩٧٠ أيضا ولكن فى يوم ١٥ أكتوبر توصل العالم اليابانى دكتور يشيروا ناكامتس إلى «الفلوبى ديسك» الذى يستخدم لتسجيل الملفات عليه عبرجهاز الكمبيوتر وهى ثورة إدارية بجميع المقاييس، حين أمكن تخزين ملايين الصفحات والملفات وحفظها فى مساحة لا تذكر على «الفلوبى ديسك» وكانت شركة أى بى أم هى أول من انتجته، وكان الواحد يباع فى ذلك الوقت بحوالى ١٠٠ دولار، وقد وصل سعره فى نهاية القرن العشرين إلى أقل من نصف دولار.

فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٠، كذلك تولى الرئيس أنور السادات السلطة فى مصر رسميا، لكنه لم يشعر بالاستقرار فى الحكم إلا بعد أن أطاح بكل رجال جمال عبد الناصر فيما عرف بانقلاب ١٥ مايو ١٩٧١، لكنه

تعرض لمظاهرات غاضبة فى الجامعات لدفعه للحرب التى تراجع عنها بسبب ما وصفه بعام الضباب أو بسبب الحرب التى اشتعلت فى ١٦ ديسمبر بين الهند وبنجلاديش فى آسيا.

ويبدو أن المحافظين والمتزمتين لم يهنأوا طويلاً بموضة الماكسى المحتشمة، صحيح أن موضة الميني جوب قد أختفت ولم تعد إلا فى السنوات الأخيرة فى القرن العشرين، لكن صحيح أيضا أن موضة الهوت شورت أو الشورت الساخن قد فرضت نفسها، لقد قصر الشورت، وطال الحذاء أو البوت.

على أن أخطر ما جرى فى عام ١٩٧٢، كان اللقاء المفاجأة بين الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون والزعيم الصينى ماوتسى تونج، وكان ذلك فى بكين فى ٢٨ فبراير، إن الشرق والغرب تصافحا وبدأ مشوار الوفاق الدولى، وقد كان مهندس هذه السياسة وزير خارجية شهير سيلعب دوراً مهمًا فى السياسة الخارجية الأمريكية هو هنرى كسينجر الذى اختير كأفضل وأخطر وزير خارجية فى القرن العشرين، خاصة بعد الدور الذى لعبه بين العرب والإسرائيلين فيما بعد.

ولكن، نيكسون كان فى أزمة ووترجيت التى كان من الصعب على ألف زيارة للصين أن تنقذه منها، لقد أمر بوضع أجهزة تسجيل فى مقر الحزب المنافس، فى مبنى ووترجيت فى العاصمة الأمريكية واشنطن، وقد كشف الفضيحة صحفيان فى الواشنطن بوست هما بوبو وود ورد، وكارل برنيشتين، ونشرا التفاصيل فى كتاب «كل رجال الرئيس» الذى تحول إلى فيلم سينمائى، وانتهت الفضيحة بتقديم

نيكسون استقالته وترك السلطة لخليفته ونائبه هنرى فورد، وولدت فى أعقاب الفضيحة ما عرف بقوة الصحافة

ولم تغط أخبار استقالة نيكسون على حادث اقتحام الفلسطينيين لمقر الفرق الإسرائيلية فى دورة ميونخ للألعاب الأوليمبية. ونفذت العملية منظمة «أيلول الأسود» وبدأت أوروبا تحسب حساب الفدائيين الفلسطينيين، وقبل أن ينتهى عام ١٩٧٢، بكل ما فيه من عنف وفضائح سياسية لمع اسم مارلون براندو فى فيلم «الأب الروحى» عن كواليس عالم المافيا والجريمة المنظمة، وقد كان أداء مارلون براندو فى الفيلم نقطة تحول فى أسلوب الأداء التمثيلى فى هوليوود، وقد خرج من عباءته كل النجوم فيما بعد مثل داستين هوفمان، وبول نيومان وأحمد زكى ونور الشريف، لقد أصبح التمثيل تعبيرا مباشرا عن الإنسان العادى، والإنسان العادى هو الذى تبدأ عنده الحياة وتنتهى.

١٤

الهبوط على كوكب إسرائيل

صامت مصر ٢٩١٠ أيام.. هى عمر الاحتلال الإسرائيلى فى سيناء منذ ٥ يونيو ١٩٦٧.. ثم أفطرت على صوت ٢٠٠ طائرة و٢٠٠٠ مدفع فى يوم العاشر من رمضان ١٣٩٣ هجرية.. أو السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ميلادية.. أو يوم كيبور أو يوم الغفران ٥٧٢٣ عبرية.. فى ذلك اليوم تعرفت مصر على وجهها فى مرايا قناة السويس.. وحفرت اسمها بحروف من نور ونار فى كتاب «الشهادة».. وحفظت بالعرق والدم أبجدية العبور والاقتحام.. وقفز جنودها إلى الضفة الأخرى للكبرياء.. ولمعت عيونهم ببريق لا مثيل له فى الأحجار الكريمة الثمينة.

فى الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر ذلك اليوم توقف قلب الأمة العربية من الفرحة والذهول.. وشعر العالم بأن الحياة تدب فى الجثة العربية التى تصورها هامدة.. ولعل هذه الحرب هى أهم حدث عاشه الناس من

المحيط إلى الخليج فى القرن العشرين.. وأعقبه على الفور استخدام البترول كسلاح سياسى فى الصراع العربى – الإسرائيلى.. وشعرت أوروبا وهى على أبواب الشتاء بالبرد والصقيع يجمد أطرافها.. وقفزت أسعار النفط إلى أعلى رقم فى تاريخها.. وتراكمت الثروات فى الدول المنتجة للنفط.. وتربعت على عرش الثراء.. وشدت إليها المستثمرين والأفاقين والمغامرين.. وبدأت حقبتها السياسية فى فرض إرادتها على الحقبة القومية التى سبقتها والتى ترنحت بعد هزيمة يونيو.. وظلت الحقبة النفطية سائدة حتى غزو العراق للكويت فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠.. ساعتها سقط النظام العربى القديم.. وبدأت مرحلة جديدة من الإنهيار العربى..

ولم تكن حرب أكتوبر هى الحادث السياسى الوحيد فى عام ١٩٧٣.. لقد تدفقت الأحداث السياسية وتفجرت بألوانها الحمراء والصفراء على خريطة الفقراء والأثرياء.. على خريطة الدول الديمقراطية والدول العسكرية.. الديكتاتورية..

لقد سقط ريتشارد نيكسون بفضيحة ووترجيت.. واتفق على تقديم استقالته.. بشرط ألا يقدم إلى المحاكمة.. فقد أخذ الجريمة من أقصر الطرق.. وترك البيت الأبيض إلى الخفاء والظلام وحيدا.. منكسرا.. لا تشفع له سياساته الجديدة التى مدت جسور الوفاق مع المعسكر الآخر.. فى موسكو وبكين والتى أدت فيما بعد إلى إنهاء الحرب الباردة وسقوط

الإمبراطورية السوفيتية العظمى.. لكن.. الشعوب الديمقراطية لا تغفر لحكامها تجاوز القانون مهما حققوا لها من مكاسب.. لقد خرج نيكسون من البيت الأبيض فى ١١ نوفمبر ١٩٧٤.. أما نص الاستقالة التاريخية فكان: «أقدم استقالتى من رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية.. التوقيع: ريتشارد نيكسون».

وفى ١١ سبتمبر من العام نفسه.. قام إنقلاب فى شيلى على الرئيس الشيوعى المنتخب سلفادور الليندى.. لقد جاء الليندى إلى السلطة عام ١٩٧٠ عبر صناديق الاقتراع الحرة.. لكن المصالح الأمريكية لم تتقبل النتيجة الديمقراطية.. فسعت عبر تحالف بين المخابرات المركزية والشركات الزراعية المحتكرة لإنتاج شيلى إلى قلب نظام الليندى والإطاحة به وبحكومته.. وإعادة السلطة للتيار اليمينى فى الجيش.. وهكذا جاء للسلطة الجنرال أوجستو بينوشيه.. وقد فرض بينوشيه الأحكام العرفية.. وقام بقتل معارضية.. وسحلهم.. وتعذيبهم.. وفيما بعد.. فى نهاية القرن أصبح بينوشيه قضية حائرة.. لقد اعتزل السلطة وتدهورت صحته وهرب إلى بريطانيا للعلاج.. ولكن أنصار حقوق الإنسان فى شيلى والعالم طالبوا بإعادته إلى شيلى لمحاكمته على الجرائم التى ارتكبها والتى لا تسقط بالتقادم ولا يشفع فيها مرض أو شيخوخة.. وكانت قضية بينوشيه من القضايا المؤجلة التى دخلنا بها القرن الجديد.. ومثلها قضايا كثيرة.. ففى السجل الأسود لحقوق الإنسان حسب تقرير منظمة العفو الدولية حوالى ٣٤ حاكما مطلوبين للمحاكمة بتهمة قتل وتعذيب وتدمير كرامة ١٣٤ ألف معارض لهم.

وفى ٢٥ نوفمبر من نفس العام وقع إنقلاب جديد فى اليونان.. وتولى السلطة هذه المرة جورج باباندريو الذى أنهى مسلسل الانقلابات العسكرية الذى بدأ فى عام ١٩٦٧ واستمر حوالى ٦ سنوات.. ومن ذلك الوقت واليونان قد تحولت إلى دولة شبه ديمقراطية.. يجرى فيها تداول السلطة عبر صناديق الاقتراع والانتخابات البرلمانية العامة.

ويبدو أن تعقد المشاكل السياسية فى عام ١٩٧٣ جعل الناس يميلون إلى الألعاب التى تحتاج إلى مجهود عقلى مكثف إن اللعبة التى كانت أكثر مبيعا فى ذلك العام هى لعبة «ماستر مايند» التى قدمتها فى عام ١٩٧١ الشركة البريطانية «ليستر».. وقد اخترعها موظف إسرائيلى فى هيئة البريد اسمه موردخاى ميروفيتش.. ويلعبها لاعبان.

ويبدو أيضا أن العنف الذى جاءت به الحروب والانقلابات فى عام ١٩٧٣ قد شجع صناع السينما على الدخول فى موجة أفلام الكاراتيه ولمع اسم بروس لى وأفلامه التى بدأت شركات السينما فى تصويرها بداية من عام ١٩٧١ بعناوين مثل «التنين».. و«عودة التنين».. وقد حققت هذه الأفلام أرقاما وأرباحا خرافية أنقذت شركات السينما الصغيرة من الكساد والإفلاس. كما أنها عرفت العالم بالحضارة الآسيوية.. وهى حضارة لم تكن السينما الأمريكية تقترب منها إلا بالشر.

لكن الفيلم الذى شد الانتباه إليه فى ذلك العام هو فيلم «ماش».. وهو فيلم أمريكى كوميدى يسخر فيه صناعه من الحرب من خلال ما يجرى فى المستشفيات الميدانية.. وقد انتجته شركة «فوكس» تحت

النوعية التى تعرف بالكوميديا السوداء.. الكوميديا التى ترفع شعار: «شر البليه ما يضحك».

على أن أهم خبر فنى فى عام ١٩٧٣ كان بيع لوحة «زوجة المهرج» لـ بيكاسو مقابل ٣٤٠ ألف جنيه استرلينى.. وهو أعلى رقم بيعت به لوحة فى القرن العشرين..

أما أهم خبر اجتماعى فكان زواج الأميرة آن شقيقة ملكة بريطانيا والكابتن مارك فيليب فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٣.. وعقد القران فى كنيسة ويستمنستر فى لندن.. وكان حرس الشرف ٤٠٠ ضابط من سلاح الفرسان.. وشاهده عبر شاشة التليفزيون ٥٥٠ مليون متفرج فى العالم كله.

وجاء عام ١٩٧٤ بخبر وفاة سيدة الغناء العربى أم كلثوم فى الثانى من فبراير بعد مشوار طويل من الغناء بدأته فى القاهرة فى عام ١٩٣٠ وتربعت فيه على عرش الطرب.. وقد سجلت كل موسوعات القرن العشرين ميلاد ورحيل أم كلثوم وهى تتوقف عند الشخصيات المهمة التى أثرت فى القرن وتركت بصماتها عليه قبل رحيلها.

وفى يوم رحيل أم كلثوم بدأ فى نيويورك الممثل الأمريكى تيلى سافوليس تمثيل دوره الشهير كوجاك.. أو مفتش البوليس فى الحلقات البوليسية التليفزيونية التى تحمل نفس الاسم.. وقد كان كوجاك أصلع الرأس.. مقلدا لـ يول براينر.. أول ممثل أمريكى يقبل التمثيل ورأسه خاليه تماما من الشعر. وقد كان دور «تراس بولبا» الذى يؤديه يول

برايتر يحتم عليه ذلك.. لكنه وجد أن عليه الاستمرار على هذا النحو.. وهو ما ضاعف من شهرته.

وبعد رحيل أم كلثوم بحوالى ١٠ أيام وقع حادث فريد من نوعه هز العالم هزة سياسية عنيفة رغم أن بطله هو روائى وأديب.. لقد نجح الأديب والروائى السوفيتى ألكسندر سولجنتسين فى الفرار من الاتحاد السوفيتى وتجاوز الأسوار الحديدية. . ووصل وسط تهليل الصحافة الغربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. وبهذه الرحلة الغامضة بدأ عصر المنشقين عن النظام السوفيتى فى جميع مجالات الحياة.. وكان انشقاقهم نوعا جديدا من أنواع الحرب الباردة.. وقد تفرغ سولجنتسين للهجوم على النظام الشيوعى فى رواياته التى كان أشهرها «عنبر السرطان».

وفى العام التالى لرحيل أم كلثوم.. وبالتحديد ٢٥ مارس ١٩٧٥ قتل الملك فيصل بن سعود فى قصر الحكم بالرياض.. والقاتل هو أمير من أقاربه اسمه فيصل أيضا.. قد تعلم القاتل فى الولايات المتحدة.. وقيل إنه كان مصابا باضطراب عقلى ونفسى.. ولكن قيل أيضا إن القتل جرى بمعرفة وتوجيه المخابرات الأمريكية نظرا لدور الملك فيصل فى أزمة الطاقة التى عانتها الدول الغربية فى أعقاب حرب أكتوبر.. ولأنه كان يصر على العداء لإسرائيل.. ويردد أن أغلى أمانيه هى أن يصلى فى القدس المحررة.

قبل اغتيال الملك فيصل بأيام فى ١١ فبراير.. وصلت إلى السلطة فى بريطانيا أول امرأة هى رئيسة الوزراء المنتخبة عن المحافظين -

رغم أصولها المتواضعة - مارجريت تاتشر.. وقد بالغت تاتشر - ابنة البقال والخياطة - فى الإصرار على ترك المشروعات العملاقة للقطاع الخاص.. بما فى ذلك الموانئ والمطارات والطرق السريعة.

وبينما تاتشر تقسم اليمين.. كانت هناك سيدة أخرى تحقق معجزة من نوع آخر.. السيدة هى جونكو تاباى وهى يابانية. كانت أول امرأة تصعد قمة جبل أفرست.. أعلى قمة جبل فى العالم.. وكادت تسقط فى الهاوية ١٥ مرة.. وفى الوقت نفسه وقعت معجزة.. لكن بطلتها لم تكن امرأة.. وإنما رجل.. زنجى أمريكى هو أرثر آشى.. كان أول أسود يفوز بكأس بطولة ويمبلدون للتنس.. وكانت هذه هى المعجزة فى رأى كل الصحافة العنصرية المتعصبة فى العالم.

وفى ١٧ إبريل من نفس العام انتهت الحرب فى كامبوديا بعد أن راح ضحيتها ٢٥٠ ألف شخص.. وبعد ١٣ يوما انتهت الحرب فى فيتنام أيضا.. ولكن لأن العالم لا يقدر على الحياة بدون حرب.. فتحت فى يوم ١٧ أيضا ولكن من شهر سبتمبر مسرحية الحرب الأهلية فى لبنان.. تلك الحرب التى لا يعرف أحد كيف بدأت.. ولا من كان يحارب من.. ولالماذا انتهت؟ إنها حرب بلا عداءات مستمرة.. وبلا تحالفات دائمة.. وكان المستفيد الوحيد منها هو العدو الإسرائيلى.. لقد بدأت الحرب بشعار «لبنان للبنانيين» وتحت هذا الشعار مات اللبنانيون.. وتحت هذا الشعار أيضا انتهت بعد سنوات طويلة وخسائر فادحة الحرب التى لا معنى لها..

لكن.. أنصار الحرب والدمار والموت الجماعى فى القتال البشرى وجدوا فى تلك الفترة حجة تريح ضمائرهم.. لقد قتل فى زلزال واحد

وقع فى مدينة تنجشان الصينية حوالى ٢٥٠ ألف شخص.. وهو أكبر رقم لضحايا زلزال فى القرن العشرين.. وهو رقم يساوى عدد الضحايا لسنوات طويلة فى الحرب الكمبودية.

وفى ظل بيانات الحروب ومعاهدات الصلح والسلام لم يتوقف العالم فى عام ١٩٧٣ عند الأحداث الإنسانية العابرة.. مثل بداية دخول الهندسة الوراثية فى إنتاج الطعام.. ومثل بداية تيار إنتاج الطعام الخالى من المواد الكيماوية. إن بطل هذه الثورة هو الدكتور دنيس بوركيت وقد دخل تاريخ الأبحاث فى بريطانيا من هذه البوابة.. ومثل لجوء ملوك الموضة فى باريس إلى تغطية الجسم ما عدا الكتفين.. إنها الموضة المقتبسة من ثياب المرأة الصومالية.. لكن.. مع ألوان جديدة فاقعة يسيطر عليها الأصفر والأحمر.

وفى عام ١٩٧٦ لمع نجم روبرت ردفورد فى فيلم «كل رجال الرئيس» الذى يكشف عن كيفية فضح قضية ووترجيت.. وشاركه فى البطولة داستين هوفمان.. وسادت بنجاح هذا الفيلم موجة السينما التى تحاكم الفساد السياسى والتهور العسكرى.

وفى العام نفسه توفى فى ٩ سبتمبر الزعيم الصينى ماوتس تونج عن ٨٢ سنة.. وقد تولى الغرب كشف حياته الخاصة بعد رحيله بنشر كتب وبرامج تليفزيونية عن مغامراته النسائية والعاطفية.. وكيف أنه استغل موقعه الحزبى والسياسى فى الحصول على المراهقات اللاتى لا تزيد أعمارهن على ١٦ سنة.. كما كان يشترط أن يكن عذارى.. لم يسبق لهن الزواج أو الدخول فى علاقات جنسية.. والغريب أن الصين

الشعبية فى عهده لم يكن مسموحا فيها بممارسة البغاء.. وكانت دولة لا تعترف بالعلاقات غير الشرعية.. وتوقع أشد العقوبات على من يرتكبها كما تطرده من جنة الحزب العقائدية.

وبينما قدمت اليابان أول كاميرا أتوماتيكية من طراز كونيكا كانت مفاجأة شركة فولكس فاجن الألمانية سيارة ليست من طراز البيتلز «أو الخنفساء» التى اشتهرت بها والتى بيع منها أكبر عدد من السيارات فى القرن العشرين.. لقد غيرت فولكس سياستها وقدمت سيارة من طراز معتاد سميت جولف.

وبينما كانت الدول المتقدمة تصر على مزيد من الحريات العامة والخاصة كانت دول العالم الثالث تدخل فى نفق الجنون الشخصى لبعض حكامها.. لقد أعلن جان بيدل بوكاسا نفسه إمبراطورا على بلاده.. دولة إفريقيا الوسطى التى حولها بقرار منه من جمهورية إلى ملكية.. ووضع التاج على رأسه.. وجلس على كرسى العرش المصنوع من الذهب والقطيفة.. وكان ذلك فى ٥ ديسمبر ١٩٧٧.. والغريب أن فرنسا.. الدولة التى كانت تحتل جمهورية إفريقيا الوسطى قد باركت خطوة بوكاسا واعترفت بإمبراطوريته.. وفيما بعد كشفت فضيحة تقديم قطع من الماس النادر إلى بعض المسئولين فى قصر الإليزيه.. قصر الحكم فى فرنسا.. لكن الفضيحة التى رجت العالم كانت أن بوكاسا لم يكن يتردد فى أن يأكل لحم الأطفال فى كل صباح.. وكانت هذه هى وجبة الإفطار الشهية والمفضلة له.

فى مصر لم يكن عام ١٩٧٧ طيبا على الإطلاق.. فى بدايته.. وبالتحديد فى ١٨ و١٩ يناير اشتعلت المظاهرات التى عرفت بمظاهرات

الطعام أو مظاهرات الجوع احتجاجا على رفع أسعار السلع الضرورية حسب نصيحة صندوق النقد الدولي.. ونزل الجيش في الشوارع لحماية النظام واضطرت الحكومة إلى التراجع عن قراراتها.. ووصف الرئيس أنور السادات هذه المظاهرات بانتفاضة الحرامية بينما وصفتها القوى السياسية المعارضة بأنها انتفاضة شعبية.. وفي هذه المظاهرات كانت الطبقة الوسطى في مصر تصرخ صرخاتها الأخيرة لعل أحدا ينقذها من التدهور الذي عانته كثيرا فيما بعد..

وفي مصر أيضا.. ولكن في يوليو ١٩٧٧ قتل وزير الأوقاف الأسبق الشيخ «الذهبي» على يد جماعة إرهابية دينية متطرفة عرفت بجماعة «التكفير والهجرة» وهو الاسم الذي أطلقته الصحافة على «جماعة المسلمين». التي كان يتزعمها شكري مصطفى الذي نجحت قوات الأمن في القبض عليه وتقديمه للمحاكمة. وكانت هذه القضية هي أشهر مواجهة دينية مسلحة بين الجماعات الإسلامية والنظام السياسي.. وهي المواجهة التي راحت تتصاعد حتى وصلت إلى حدها الأقصى بقتل الرئيس أنور السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١.

وفي مصر كذلك.. ولكن في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ قام الرئيس أنور السادات بأكبر مغامرة سياسية.. وهي الهبوط على كوكب العدو الإسرائيلي.. لقد أعلن فجأة أنه مستعد أن يذهب إلى آخر الدنيا لحل مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي.. لكن لا أحد تصور أن آخر الدنيا تعني إسرائيل.. على أن ذلك هو ما حدث.. فكانت رحلة القدس والصلاة في المسجد الأقصى وبداية مشوار المفاوضات والصلح.. ثم

كانت معاهدة «كامب ديفيد» وتبادل السفراء.. لكن المشكلة لم تحل.. لقد تغيرت طبيعتها فقط..

قبل أن يسافر السادات إلى إسرائيل.. وقبل أن يشد إليه إعلام الدنيا كلها.. كانت مناطق الأحداث الساخنة في جنوب إفريقيا هي التي تشد الانتباه.. خاصة بعد مقتل الزعيم الأسود المعارض للتفرقة العنصرية ستيف بيكو برصاص حكومة الأقلية البيضاء.. وتجمع حوالي ٥٠٠ ألف من أنصاره وأنصار نيلسون مانديلافي أضخم مظاهرة احتجاج شهدها العالم في الربع الأخير من القرن العشرين.. وكان ذلك بالتحديد في ٢٥ سبتمبر..

ولم تكن هناك علاقة بين هذه الأحداث والمسلسل التليفزيوني الأمريكي «الجذور» الذي يعد أهم مسلسل درامي في القرن العشرين يروي قصة الزنوج في الولايات المتحدة وكيف خطفهم تجار العبيد من بلادهم الأصلية في إفريقيا.. والمسلسل عرض في ٥ يونيو ١٩٧٧.. وفي اليوم نفسه عرض أول المسلسلات الأمريكية التي تدور في الفضاء وهو «حرب النجوم» وقد تكلف ٣٥٠ مليون دولار.

وقبل ذلك وفي ٥ يوليو وقع ما يسمى بانقلاب منتصف الليل في باكستان وقام الجيش بإقصاء الجنرال ضياء الحق.. وتولى السلطة ذو الفقار علي بوتو.. ومنذ ذلك الوقت لم تستقر باكستان.. ولفتت الانتباه إلى متاعبها الداخلية والإقليمية.

وبينما ملكة بريطانيا تحتفل في ٧ يونيو بالعيد الفضي لجلوسها على

العرش أعلنت منظمة الصحة العالمية أن ١٢٠ مليون شخص ماتوا بسبب الملاريا.. وفى اليوم نفسه تقرر إعدام أشهر قاتل أمريكى فى القرن العشرين وهو جارى جليمور.. لقد ارتكب ٦ حوادث قتل.. كان الضحايا فى كل حادث من ٥ إلى ٩ أشخاص.. كان يحصدهم بالرصاص..

وأغلب الظن أن الشئ الوحيد الذى أسعد الناس فى ذلك العام كان تألق نجم الموسيقى ألفيس بريسلى وحصوله على لقب الملك رسميا.. وهؤلاء هم الملوك الذين لا يموتون.

١٥

إطلاق الرصاص على الممثل والمطرب والرئيس .. والبابا

على جانبى طريق مطار القاهرة احتشدت عجائز طاعنات فى العمر يجلسن بملابسهن السوداء على مقاعد متحركة فى انتظار نظرة أو ابتسامة من بعيد، يمنحها لهن الضيف المميز بملابسه البيضاء وغطاء الرأس الذهبى، لعلها تكون سبباً فى الشفاء أو على الأقل قد تحمل لهن البركة عبر الهواء البارد الذى سيطر على طقس القاهرة فى ذلك اليوم.

كان الضيف المهم والمقدس فى عيون رعاياه هو كارول وجتيلا أو البابا بولس الثانى بابا روما والرئيس الروحى لدولة الفاتيكان.. وقد زار مصر لمدة ثلاثة أيام.. منها يوم فى دير سانت كاترين فى سيناء.. حيث تلقى موسى إشارة الوحى من السماء فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٨ تولى البابا بولس الثانى السلطة الروحية فى الكنيسة الغربية.. الكاثوليكية.. وهو أول بابا من أصل غير إيطالى يتولى منصب البابا منذ

٥٠٠ سنة، فهو بولندى كان عمره ٥٨ سنة يوم انتخابه لمنصبه، وكان يتميز بالحيوية والجاذبية والعصرية، وقد زار ٣٦ دولة خلال السنوات الست الأولى من تقلده منصبه، وأشهر هذه الزيارات زيارته إلى وطنه بولندا وتضامنه مع العمال المعارضين للنظام الشيوعى.. وهو ما جعل البعض - ومنهم كارل بيرنسين وماركو بوليتى مؤلفا كتاب «صاحب القداسة التاريخى الخفى لعصرنا» - يتهمه بأنه استغل الدين فى السياسة، بل إن التهمة وصلت إلى حد أنه كان ينفذ مخططات المخابرات الأمريكية فى الدول الشيوعية.

كان اختيار البابا بولس الثانى لموقعه هو أهم حدث شد انتباه العالم فى عام ١٩٧٨ ولم ينافسه فى الشعبية سوى إعلانات الخلاط البلاستيكى وباقى عائلة «الكتشن ماشين».. لقد أصيبت النساء فى أنحاء العالم الأربع بجنون هذه الأجهزة.. ولم تتردد المصانع التى تنتجها فى التنافس على طرحها بأسعار مغرية.. وفى أول عام طرحت فيه «الكتشن ماشين» فى الأسواق كانت هناك ٢٤٠ مليون سيدة فى انتظارها.. وفى العام الثانى تضاعف الرقم.. وفى العام العاشر اقترب الرقم من المليار.

ويبدو أن البابا بولس الثانى قد جاء فى موعده تماماً فقد كانت الخرافات الدينية تسيطر على عقول الأجيال الجديدة.. وتدفعهم إلى الانتحار الجماعى.. كما حدث فى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٧٨ عندما قرر ٦٠٠ رجل وامرأة وطفل أن يموتوا معاً وفى لحظة واحدة فى غابات

جيانا تنفيذا لتعاليم الأب الروحى لهم جيم جونز.. لقد تصوروا أنهم ينجون من شرور الدنيا.. فقرروا الذهاب جميعاً إلى الآخرة.

ويبدو أن البابا بولس قد جاء فى موعده أيضاً.. فقد ولدت فى ٢٦ يوليــو ١٩٧٨ لويزا.. أول طفلة أنابيب فى العــالم.. واخـتلف الناس حولها.. هل هى حرام أم حلال؟ ولدت لويزا فى مستشفى «أولدهام» وكانت تزن ٢٠٦ كيلو جرام.. وقد جاءت لأبوين فشلا فى الإنجاب بالطريق الطبيعى لمدة ١٢ سنة.. وخلال هذه المدة كانت التجارب على أطفال الأنابيب تجرى فى جامعة كاميريدج تحت رعاية الدكتور روبرت إدوارد.. وقد تكلفت التجارب على ليزلى والدة لويزا حوالى ٣٠٠ ألف جنيه استرلينى.. وهو الرقم القياسى حتى الآن فى تكلفة إنجاب طفل أنابيب.

أما الرقم القياسى الذى شهده ذلك العام فى السينما فكان حصول النجم الأمريكى مارلون براندو على مليونى دولار مقابل دقائق يظهر فيها فى فيلم «سوبرمان» وهو أول فيلم تنجح فيه الخدع السينمائية فى إظهار رجل يطير ولا يشك المتفرج فى ذلك.

فى العام التالى عام ١٩٧٩ أسس بيتر كيلى حزب «الخضر» فى ألمانيا الغربية.. وهو أول حزب سياسى من نوعه يخصص برنامجه لحماية البيئة من التلوث.. ولحماية البيئة أيضاً ولكن من الصخب أنتج اليابانيون «الووكمان» أنتجته شركة سونى وطرحته فى الأسواق صيف ذلك العام.. وبسببه أصبح من الممكن سماع الموسيقى والغناء فى أى مكان.. عاماً كان أم خاصاً دون أن ينزعج الآخرون.

لكن.. الووكمان لم يقض على باقى أنواع الانزعاج الذى كان العالم يعانيه.. لقد قتل اللورد مونباتن عم ملكة بريطانيا والأب الروحى للأمير تشارلز ولى العهد.. وكان عمره ٧٩ سنة ساعة أن اغتاله بعض أفراد الجيش الإيرلندى الأحمر فى مدينة سيلجو.

ولم يقض الووكمان على الانزعاج الذى سببه السوفيت بغزوهم لأفغانستان فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ لقد كانت أفغانستان مستنقع السوفيت بنفس الدرجة التى كانت فيتنام مستنقع الأمريكيين.. وقد تدخلت المخابرات الأمريكية لمواجهة السوفيت هناك مستغلة شعار الجهاد الإسلامى.. فكان أن دربت حوالى ٢٠ ألف شاب مسلم على أعمال القتال وحرب العصابات.. وبعد أن انتهت الحرب فى أفغانستان عاد هؤلاء إلى بلادهم العربية والإسلامية ليشنوا أعمالاً إرهابية سببت الكثير من القلاقل والاضطرابات بعدها دخل العالم القرن الجديد بها.. مثل دولة الجزائر.. وقد كانت مصر من الدول التى عانت كثيراً من هذه الظاهرة.. ولم تستقر أحوالها إلا والقرن العشرون على وشك الرحيل.

وفى العام الذى عرف العالم فيه الووكمان عرف أيضاً ولأول مرة موسيقى «الهفى ميتل» وهى نوع من الموسيقى العنيفة لا تنتشر إلا بين المراهقين فى تجمعاتهم الخاصة.. وربما السرية.. ولم ينافس الإقبال على هذه الموسيقى سوى الإقبال على لوحات بيكاسو فى متحف الفن الحديث فى نيويورك.. لقد شاهد هذه اللوحات مليون شخص فى عام ١٩٧٩ وهو أعلى رقم حظى به فنان تشكيلى فى القرن العشرين.

وفى العام نفسه عاد آية الله خمينى من منفاه فى باريس إلى مدينة قم الشيعية المقدسة ونجحت الثورة الإسلامية فى إيران وسقط عرش الطاووس الذى كان يتربع عليه الشاه محمد رضا بهلوى الذى خرج من إيران مصاباً بالسرطان.. ولم يجد فى النهاية دولة تقبله إلا مصر.. وقد مات ودفن فيها.

وما إن نجحت الثورة الإيرانية حتى أصيب الغرب بحمى الاهتمام بالإسلام.. فها هو الإسلام يغير السلطة السياسية.. وها هو ينجح فى مواجهة الأسلحة والمعدات الحديثة والمخابرات القاسية ويسقط العرش الإيرانى والهيمنة الأمريكية.. وضاعف من هذا الاهتمام أزمة الرهائن فى السفارة الأمريكية فى طهران.. حيث نجح الطلبة الثوريون فى احتلال السفارة الأمريكية وأخذوا من كانوا فيها رهائن لمدة ٤٤٤ يوماً. وفى خلال تلك الفترة كانت «الميديا» الغربية ومراكز الدراسات السياسية والاستراتيجية تفتش عما وصفته بالإسلام المقاتل.. أو الإسلام السياسى.. وظل هذا السؤال وحتى نهاية القرن أهم سؤال أمنى.. خاصة فى الشرق الأوسط.

وكانت كل الحوادث التى جرت فيما بعد فى الشرق الأوسط تؤكد الاهتمام بالإسلام المحارب أو الإسلام السياسى.. وكان أولها فى ١٤ سبتمبر ١٩٨٠ حين بدأت الحرب العراقية ـ الإيرانية فى الخليج. وقد بدأت بشعار غريب رفعه «صدام حسين» وهو: إن الطريق إلى القدس يبدأ بشط العرب.. وشط العرب هى المنطقة المتنازع عليها بين العراق وإيران وكانت تنظمها معاهدة موقعة منهما هى معاهدة الجزائر..

واستمرت الحرب حوالى ٩ سنوات.. كانت الخسائر المباشرة للطرفين فادحة.. وكانت الخسائر غير المباشرة لباقى دول الخليج أيضاً تمثل استنزافاً مالياً مؤلماً لثرواتها ومواردها.. وهو ما زاد من إنتاج البترول وخفض أسعاره وإنهيار المنظمة التى تحمى مصالحه.. منظمة الأوبك.

وبينما المسلمون يتقاتلون فى الشرق الأوسط ويستهلكون قواهم ويدمرون ممتلكاتهم.. كان الغرب سعيداً بانتخاب أول رئيس أمريكى متطرف يمينياً ودينياً فى ٤ نوفمبر ١٩٨٠ هو رونالد ريجان.. وفى الوقت نفسه كان الرحالة الإيطالى رينهولد ميسنر يصل بمفرده ودون مساعدة من أحد إلى قمة أفرست فى جبال الهملايا وهى أعلى قمة ونقطة فى العالم.. وفى الوقت نفسه عثر على الذهب لأول مرة فى نهر الأمازون واستخرجوا من تحت الطمى ٥٠ مليون أوقية فى أول دفعة وظهرت إحصائية تشير إلى أن نصف النساء المتزوجات فى بريطانيا يعملن خارج البيت أيضاً.

وفى ٩ ديسمبر من نفس العام قتل بالرصاص مغنى فرقة البيتلز الشهير جون لينون.. قتله شاب فى الخامسة والعشرين وخرج فى جنازته فى نيويورك حوالى ٥٠ ألف معجب بموسيقاه وبأفكاره.

لقد رحل العام بدموع الهيبز على مطربهم المفضل.. لكن.. دموع العام الجديد عام ١٩٨١ كانت أكثر إتساعاً.. لقد بدأ ذلك العام بعرض بلدية باريس لمقصلة الثورة الفرنسية.. وقد بدأت فى العصور الوسطى فى عام ١٧٨٩ .. وجربت لأول مرة فى جوزيف جيوليوتين.. وكان قد

حكم عليه بالزندقة من الكنيسة بسبب أفكاره العلمية ثم دب النشاط فى هذه المقصلة فور قيام الثورة.

ويبدو أن ظهور هذه المقصلة كان نذير شؤم على العالم كله، ففى اليوم التالى لعرضها مات الزعيم الجمايكى بوب مارلى بالسرطان، وبدأت محاكمة الشاب الذى حاول اغتيال الرئيس الأمريكى رونالد ريجان بإطلاق ٦ رصاصات عليه.. كانت محاولة الاغتيال فى ٣٠ مارس أمام فندق هيلتون واشنطن، وقد نجا من المحاولة الرئيس الأمريكى، وقيل: إن الشاب الذى أطلق الرصاص مريض نفسياً، ويحب الممثلة الشابة المثيرة جودى فوستر وأنه أراد أن يثبت لها على الطريقة الأمريكية أنه يستحقها وجدير بها.

وفى ١٣ مايو من نفس العام حاول شاب تركى عمره ٢٣ سنة هو على محمد على قتل البابا يوحنا بولس الثانى وسط ٢٠ ألف من المصلين فى ميدان القديس بيتر فى روما.. وقيل: إن الشاب قرر ارتكاب الجريمة للانتقام من كل الرموز الغربية التى تترك المسلمين يموتون فى أفغانستان.. وكان قد هبط إلى العاصمة الإيطالية قبل ٣ أيام من الحادث.

وفى ٦ أكتوبر من نفس العام قتل الرئيس أنور السادات وهو يستعرض القوات المسلحة فى مدينة نصر فى القاهرة.. كان وراء الحادث تنظيم الجهاد المتطرف دينياً، أما على رأس جماعة القتل فكان ضابط بالقوات المسلحة هو خالد الإسلامبولى، وقد فاضت روح السادات قبل أن تحمله الطائرة إلى مستشفى القوات المسلحة بضاحية

المعادى، وبعد ساعات كان الهدوء يسيطر على كل شيء فى مصر.. ونقلت السلطة بطريقة شرعية وسلمية إلى نائب الرئيس محمد حسنى مبارك.

وفى وسط كل هذه الدماء لم يفرح العالم فى ذلك العام إلا مرة واحدة، فى ٢٩ يوليو، عند زفاف الأميرة ديانا وولى عهد بريطانيا الأمير تشارلز.. وهو الزفاف الذى انقلب فيما بعد إلى مأساة وفضائح ودمار وموت فى حادث.

ولم يخل زفاف تشارلز وديانا أيضاً من العنف.. فقد راح الإيرلنديون يحرقون العلم البريطانى فى مظاهرات عارمة فى الشوارع والميادين العامة.. وسجلت صحيفة صنداى تايمز أنه بهذه المظاهرة الأيرلندية يكون العنف الموجه إلى بريطانيا قد استهلك ٩٠ ألف قتيل وجريح و٤٥٠٠ مظاهرة وتعطل الحياة لمدة ٣ سنوات متفرقة منذ إن ظهرت المشكلة الإيرلندية.

وفى فرنسا انتخب الرئيس فرانسوا ميتران فى ١٠ مايو ١٩٨١ وهو أول رئيس اشتراكى يسارى يصل إلى الحكم عبر صندوق الانتخابات.. وقد تكرر انتخابه فيما بعد أكثر من مرة.. ولكنه فيما بعد أيضاً مات بالسرطان وظهرت الكتب التى تتحدث عن فضائحه السرية ومغامراته الجنسية وكشف لأول مرة عن وجود ابنة غير شرعية له.

أما فى ألمانيا الغربية فكان حادث العام هو إنتاج أول سيارة تعمل بالكمبيوتر وهى إحدى طراز بى إم دبليو وفى الوقت نفسه ولكن فى

نيويورك ظهر لأول مرة الكمبيوتر المنزلى والشخصى بالصورة التى نعرفه عليها الآن.. أنتجته شركة آى بى إم وكان سعره ١٣٦٥ دولاراً.

ولو كان عام ١٩٨١ هو عام من أعوام الاغتيال السياسى فإن عام ١٩٨٢ هو عام من أعوام الغزو والحرب.. لقد بدأ عام ١٩٨٢ بحرب الفوكلاند بين بريطانيا والأرجنتين فى ١٢ يناير.. واستخدمت رئيسة الحكومة البريطانية مرجريت تاتشر حاملات الطائرات التى كان عليها ٢٠٠ طائرة فى الهجوم على الأرجنتينيين الفقراء الذين كانوا يرعون الأبقار والماعز فى الجزيرة النائية.. لكن المثير للدهشة أن هذه الحرب قد رفعت شعبية تاتشر.. فقد أعادت مشاعر الاستعمار القديمة للبريطانيين على ما يبدو.

وفى منتصف عام ١٩٨٢ وبالتحديد فى ١١ يونيو قامت إسرائيل باجتياح لبنان والوصول إلى العاصمة بيروت واحتلالها.. وكان الهدف هو طرد الفلسطينيين وأفراد وأسلحة منظمة التحرير التى تسيطر عليهم وقد نجح الغزو الإسرائيلى فى ذلك وخرج الفلسطينيون إلى قبرص وتونس بعد أن كانت خسائر جميع الأطراف فادحة.

ويبدو أن كل هذه الحروب شجعت الأمريكيين على تبنى قيام النصب التذكارى لقتلاهم فى فيتنام. لقد افتتح هذا النصب فى ١٣ ديسمبر من عام ١٩٨٢ فى واشنطن.. وهو أول نصب تذكارى من نوعه لا يقام للمنتصرين. وكانت فلسفة الذين دعوا إليه هى أن الجندى الذى يقتل فى الحرب يجب تكريمه سواء انتصر جيشه فى هذه الحرب

أم إنهزم.. فهو يقاتل فقط.. أما النصر أو الهزيمة فهي في يد قيادة الحرب وقيادة بلاده.

قبل ذلك.. في أول أكتوبر تولى المستشار هيلموت كول السلطة في ألمانيا الغربية.. ولم يكن أحد يتصور أو يتنبأ في ذلك اليوم بأن هذا العملاق الممتلئ هو الذي سيوحد شطري بلاده فيما بعد.. لا أحد كان يتنبأ بأن الاتحاد السوفيتي سيتخلى عن نفوذه في دول أوروبا الشرقية، رغم أن نقابة عمال التضامن في بولندا كانت قد حققت نجاحاً في مواجهة الحكومة الشيوعية في وارسو ورغم أن الرجل القوي في موسكو ليونيد بريجنيف قد مات ودفن في جنازة عسكرية مهيبة في ١٢ نوفمبر.

وبعيداً عن السياسة ومتاعبها.. قدمت شركة الكوكا كولا في عام ١٩٨٢ أول مشروب دايت للرجيم.. بعد ٣٠ سنة من طرح المشروبات الغازية الدايت في الأسواق.. ولمع نجم مايكل جاكسون الذي وصف بأنه الأكثر ثراء من الموسيقى في القرن العشرين، وعرف العالم لأول مرة موسيقى الراب، وأصبح متاحاً في البيوت القلب الصناعي.

وفي العام التالي عام ١٩٨٣ اكتشف الباحث الفرنسي الدكتور لوس مونتجنيتر بمعهد باستير فيروس مرض انهيار المناعة في الجسم المعروف بالإيدز.. وفيما بعد في ١٦ ديسمبر ١٩٨٥ توفي النجم الأمريكي روك هديسون بمرض الإيدز.. وهو ما حقق اهتماماً كبيراً بهذا المرض الذي خرج الناس من القرن العشرين دون أن يتوصلوا إلى علاج له.. أو حتى دون أن يأملوا في ذلك.

وفي ٥ مايو من عام ١٩٨٣ وقعت مجلة «شتيرن» وهي من كبريات المجلات الأسبوعية المصورة في ألمانيا الغربية في أكبر عملية نصب

وخداع تقع فيها صحيفة فى القرن العشرين.. لقد جاء إليها من أقنعها بأنه يملك دفتر مذكرات هتلر.. وعندما بدأ النشر، واكتشفت المجلة الخديعة لم تتردد فى الاعتذار لقرائها وللدنيا كلها.. لكن بقيت الفضيحة فى سجلات القرن العشرين كأسوأ فضيحة صحفية.

ولو كان عام ١٩٨٣ قد نجا من وصمة الاغتيال السياسى فإن العام التالى له لم يشأ أن يرحل دون اغتيال رئيسة وزراء الهند اللامعة أنديرا غاندى.. لقد قتلها فى ٣١ أكتوبر حارسها المنتمى لطائفة السيخ.. والمعروف أن العداء قديم ومزمن بين طائفة السيخ التى ينتمى إليها القاتل وطائفة الهندوس التى تنتمى إليها القتيلة.. وتولى السلطة إبنها راجيف غاندى بعدها.. وكانت رصاصات الانتقام فى انتظاره ومن نصيبه هو أيضاً.

ويبدو أن لعنة أنديرا غاندى قد أصابت الهند فور وفاتها.. ففى ٤ ديسمبر اختنق أكثر من ٢٠٠٠ هندى بالغاز فى أكبر حادث من نوعه فى القرن العشرين.

وهدأت الأنفاس قليلاً بعد حوالى الأسبوع عندما أعلن عن فوز قس جنوب إفريقيا الأسود ديزموند توتو بجائزة نوبل للسلام.

لكن .. قبل ذلك بشهور طويلة.. وفى بداية العام.. وبالتحديد فى ٢٣ يناير حدث إنقلاب فى عالم الكمبيوتر بدخول شركة أبل ماكنتوش عالم السوفت وير بالكمبيوتر ماك.. وفكر العلماء لأول مرة فى فكرة الإنترنيت.. وهى الكلمة الساحرة التى سيرددها العالم بحماسة متزايدة فى نهاية القرن وبداية القرن الجديد .

١٦

يوم سقط النظام السياسى العربى القديم

هى امرأة جمعت بين السحر والغموض والسلطة والشهرة والثروة والجرأة وأكبر مجموعة من الأحذية فى العالم.. هى إيميلدا ماركوس، فى السبعينيات كانت حكومة الصين الشعبية تساعد ثوار الفلبين وتهدد حكمها وحكم زوجها الرئيس الفلبينى فرديناندو ماركوس فطارت إلى بكين وعانقت ماوتسى تونج وطبعت على خده قبلة.. وعادت إلى بلادها وهى تحمل وعداً بألا تتدخل الصين فى شئون الفلبين الداخلية. ودعت البابا إلى زيارة بلادها وليحضر الاحتفال بالعيد الفضى لزواجها.. وعندما ذهبت إلى الفاتيكان قالت للبابا: «إن الرب هو المحبة وأنا أحب المحبة.. أنا فى حب دائم.. لذا سأذهب بعد وفاتى إلى الجنة.. أليس كذلك يا سيدى؟ وأغمض البابا عينيه وقال وكأنه يداعبها: ما أحلى كلامك أيتها الطفلة».

لكن.. هذه الطفلة كانت واحدة من أغنى ١٠ نساء فى العالم.. وكانت ثروتها تزيد على ١٥ مليار دولار.. وكانت تملك ٤٥ قصراً ومنزلاً فى الفلبين واستراليا وهونج كونج واليابان والولايات المتحدة.. وكانت تملك ٣ طائرات خاصة.. و٣ آلاف زوج من الأحذية.. وعندما احتفلت بعرس ابنتها «إيرين» فى عام ١٩٨٣ أحالت الزواج إلى عيد وطنى.. وجلست العروس فى مركبة من الفضة.. وتركت ١٠ خيول عربية خالصة تجرها.. وفى تلك السنة أشارت الإحصائيات إلى أن حوالى نصف الشعب الفلبينى يعيشون تحت خط الفقر وعشر النساء والفتيات على الأقل يحترفن الدعارة.. وأن هناك أكبر نسبة أطفال غير شرعيين فى العالم.

بعد حوالى ٣ سنوات وبالتحديد فى ٢٧ فبراير ١٩٨٦ سقط الديكتاتور ماركوس عن السلطة بعد أن سقط فى أول انتخابات حرة فى البلاد أجبره الأمريكيون على إجرائها قبل موعدها بعامين وبعد أن انتهت فترة صلاحيته بالنسبة لهم.. ورفض وليم كيسى مدير المخابرات المركزية فى ذلك الوقت أن تدخل إيميلدا الانتخابات أمام زوجها لتحل محله لو سقط.. فضربت بيدها على مكتبه قائلة: لا أحد يمنعنى من ذلك ولا الشيطان.. فمد كيسى يده فى هدوء إلى كيس من البلاستيك فى داخله شريط يجمع بين مشاهد من مغامراتها الجنسية قدمها لها قائلاً: شاهدى هذا الشريط قبل أن تتخذى قراراً.. ثم أضاف:

إنه سيسعدك فى الشيخوخة عندما لا تبقى للمرأة إلا ذكرياتها الحلوة وغادرت المرأة السلطة.. ثم غادر زوجها الحياة بعد أن تمكن منه السرطان.. وجاءت إلى السلطة غريمتها كورازون أكينو وهى زوجة زعيم المعارضة الذى اغتيل ولم تجد الشرطة قاتله.

فى اليوم التالى اغتيل رئيس وزراء السويد أولوف بالما فى مدينة استكهولم وهو يمشى على قدميه فى طريقه إلى بيته هو وزوجته بعد أن انتهيا من سهرة بلا حراس.. فكان أسهل وأبسط اغتيال فى القرن العشرين.

قبل ذلك بحوالى العام.. بالتحديد فى ١٨ يناير ١٩٨٥ جرت أطول مباراة شطرنج فى القرن العشرين، بل فى التاريخ كله بين البطلين الروسيين جارى كاسبروف وأنتونى كاربوف.. وقد فاز كاسبروف ليصبح أصغر بطل فى اللعبة وكان عمره وقتها لا يزيد على ٢٢ سنة.. وقد التقى البطلان الروسيان ٤٨ مرة فى موسكو فى آخر ٦ أشهر قبل هذه المباراة.

وفى اليوم نفسه عرف العالم لأول مرة الاستخدام التجارى للأسطوانة المدمجة (سى. دى. روم) ليسجل عليها صوراً ونصوصاً تزيد ١٠١ مرة على ما يمكن التسجيل عليه بالنسبة للفلوبى ديسك.

وبينما الناس فى الغرب سعداء بالأسطوانة المدمجة كان الفقراء فى القرن الإفريقى يموتون من الحرب بين أثيوبيا والصومال وكأنه لا يكفيهم الموت جوعاً. وظلت هذه الكارثة حديث العالم حتى وقعت كارثة أشد هى كارثة تشرنوبيل.. أو المفاعل النووى السوفيتى الذى

عانى تسرب الإشعاع النووى القاتل فى أوكرانيا فى ٢٨ أبريل ١٩٨٦.. ويقع تشرنوبيل على بعد ٩٦ كيلو متراً شمال كييف.. وقد مات رجلان على الفور من جملة العمال الذين يصل عددهم إلى ٦٠٠ عامل.. وتعرض ١٥ ألف شخص غيرهما لخطر الإشعاع كانوا يعيشون بالقرب منه.

وفى عام ١٩٨٦ أيضاً قامت الطائرات الحربية الأمريكية بشن غارات ثقيلة على ليبيا.. لقد ظلت واشنطن تشعر بالقلق من العقيد معمر القذافى.. وحاولت أكثر من مرة اغتياله.. كما أنها فكرت أكثر من مرة فى غزو ليبيا وإسقاطه.. ولكن الرئيس الأمريكى رونالد ريجان استقر فى النهاية على عملية ضرب ليبيا جواً بقاذفات القنابل «إف ١١١» وكانت النتيجة تدمير منشآت ومدارس وبيوت ومساجد.. ومقتل ١٣٠ شخصاً.

وفى لندن أعلنت الحكومة تأييدها للغارات الأمريكية على ليبيا.. وأعلنت شركة «سينجر» عن توقف إنتاجها من ماكينات الخياطة التى تعد الأكثر شهرة فى العالم على مدى يزيد على ١٣٥ سنة.

ولم يتردد ريجان فى أن يذهب إلى قمة السلام الثنائية بينه وبين نظيره السوفيتى جورباتشوف رغم يديه الملطختين بدماء ضحايا الغارات الليبية.. إن لقاء ريجان - جورباتشوف الذى جرى فى الثانى عشر من أكتوبر ١٩٨٦ فى «ريكييف» كان بداية لسلسلة من اللقاءات حول الحد من انتشار الأسلحة النووية.. واستمر هذا اللقاء الأول حوالى ٦ ساعات.. وكان ريجان قد بدأ قبل أشهر قليلة برنامجه المشهور

بحرب النجوم الذى نقل الصراع بين الشرق والغرب إلى آفاق الفضاء البعيدة.. لكن لم يكن الغرب فى حاجة إلى مزيد من الإنفاق على حرب النجوم بعد أن بدأ العد التنازلى لسقوط الإمبراطورية الشيوعية على يد جورباتشوف.. وهذه قصة أخرى.

كذلك فإن برنامج حرب النجوم تعطل فى الكونجرس الأمريكى بعد أن تفجرت فضيحة إيران - جيت فى واشنطن فى ١٩ نوفمبر ١٩٨٧.. لقد بدأت الفضيحة بخبر نشرته مجلة الشراع اللبنانية يشير إلى أن المخابرات المركزية باعت سلاحاً من إسرائيل إلى إيران لتواصل حربها مع العراق.. وتولى الصفقة رجل الأعمال السعودى عدنان خاشقجى.. أما أرباح الصفقة فذهب جزء كبير منها إلى تمويل الفرق الموالية لأمريكا فى نيكاراجوا.

وحاول ريجان التخفيف من رد فعل الفضيحة بالتوقيع على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية فى واشنطن فى ٨ ديسمبر من نفس العام.. ووقع المعاهدة عن الطرف السوفيتى ميخائيل جورباتشوف بالقطع.

قبل ذلك فى ١٧ أغسطس انتحر القائد النازى رودلف هيس فى ألمانيا.. وكان هيس هو السكرتير السياسى لهتلر منذ عام ١٩٢٠.. وقبل ذلك.. فى ٤ يوليو من نفس العام انتحر كذلك قائد نازى آخر هو كلاوس باربيا الذى كان يحمل لقب جزار النازية لتسببه فى قتل مئات من الأبرياء.

وفى ذلك اليوم أعلنت الأمم المتحدة عن أن عدد سكان العالم وصل إلى ٥ مليارات نسمة.. ضعف العدد الذى كان عليه العالم فى عام

١٩٥٠ .. وفى اليوم نفسه استخدم أول «كيبل» بحرى للاتصالات يمد تحت المحيط الأطلنطى.

وجاء عام ١٩٨٨ بأهم خبر طبى لمرضى الاكتئاب.. لقد توصلوا إلى أقراص تسبب السعادة ولو مؤقتاً وبدون أضرار جانبية.. هى أقراص بروزاك.. وقد أعلنت هيئة الرقابة على الأدوية فى الولايات المتحدة أن هذا الدواء استغرق حوالى ١٢ سنة حتى وصل إلى ما هو عليه وأجيز.. وقالت الهيئة: إن عدد المرضى بالاكتئاب وعدم التفاؤل فى العالم والذين ينتظرون البروزاك يصل إلى - صدق أو لا تصدق - ٤٥٠ مليون شخص.

ونقلت وكالات الأنباء خبر سقوط الجليد لأول مرة منذ ٥٠ سنة على العاصمة السورية.. دمشق.. واختيرت بنازير بوتو رئيسة لوزراء باكستان.. وأعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن استخدام طائرة الشبح وهى من إنتاج شركة لوكهيد ومن طراز (إف ١١٧ إيه) وهى طائرة تجسس عالية الخفة ويصعب على الرادار إلتقاطها وهى قادرة على تصوير دجاجة تبيض فى حظيرة حسب حملة الدعاية التى صاحبتها.. وقد جاءت الشبح إلى الشرق الأوسط لأول مرة فيما بعد.. فى أغسطس عام ١٩٩٠ بعد الغزو العراقى للكويت.

لكن .. الحادث الذى وقع فى عام ١٩٨٦ ولم تتوقف تداعياته لسنوات طويلة هو حادث لوكيربى.. فى ٢١ ديسمبر سقطت منفجرة طائرة الركاب الأمريكية القادمة من نيويورك الجامبو ٧٤٧ التابعة لشركة بان أمريكان.. سقطت على مدينة صغيرة فى اسكتلندا هى

مدينة لوكيربى.. كان عليها ٢٥٩ راكباً بخلاف طاقمها وقد ماتوا جميعا فى الحادث بالإضافة إلى ٢١ شخصاً غيرهم وقع فوقهم حطام الطائرةوهم على الأرض.. وقد اتهمت ليبيا بتدبير الحادث.. ولكن ذلك لم يتم إلا فيما بعد.. وترتب على ذلك أن نجحت الولايات المتحدة فى استصدار قرار من مجلس الأمن بفرض الحصار على ليبيا لعدم تسليمها المتهمين بتفجير الطائرة.. وظلت ليبيا تحت الحصار حتى كاد القرن العشرون أن ينتهى.. فوافقت على تسليم المتهمين ولكن بعد تعديل الكثير من الشروط المفروضة.

ولم يكن فى عام ١٩٨٦ أجمل من فيلم «الأرنب روجر» وهو أول فيلم فى تاريخ السينما يقوم بالتمثيل فيه أبطال من البشر وأبطال من الرسوم المتحركة.

لكن العالم لم يسعد بهذه المتعة السينمائية المتحركة بعد أن قامت الحكومة الصينية بمذبحة الحرية الديمقراطية فى الميدان السماوى فى بكين فى يونيو عام ١٩٨٩.. لقد قام حوالى ١٠ آلاف طالب بمظاهرات طالبوا فيها بالحرية والديمقراطية ولكن فرق الجيش ـ التى كان عددها حوالى ٢٦ ألف جندى تتردد فى فتح النيران عليهم وداست الدبابات بعضهم.. ومات ٢٦ طالباً.. فيما يعرف فى القرن العشرين بمذبحة الحرية على الطريقة الصينية.

وقد جرت المذبحة وسط ذهول العالم وتهديد واشنطن بمعاقبة الصين ومقاطعة بضائعها التى كانت تحقق فائضاً فى الميزان التجارى بين البلدين وكان ذلك العام حوالى ١٠ مليارات دولار وزاد فى القرن

إلى ٢٦ مليار دولار وجرت المذبحة وسط الدنيا كلها بفتح بوابات سور برلين بين الشرق والغرب.. ولم تستمر البوابات طويلاً بعد ذلك تحطم السور.. وبقى منه جزء لا يزيد على مجرد الذكرى.. وكان سقوط السور هو أهم حدث جاء فى القرن العشرين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية سقطت معه الامبراطورية الشيوعية.. وبدأت الدول الشرقية تعلن استقلالها دولة بعد دولة عن الإتحاد السوفيتى.. بل إن الاتحاد السوفيتى نفسه فرق عاد وخرجت منه بعض الدويلات.. واختفى اسمه وعاد الاسم القديم.. روسيا.. وسجل عام ١٩٨٩ قيام أول رئيس سوفيتى بزيارة للفاتيكان.. هو ميخائيل جورباتشوف.

وكان أبرز سقوط لدولة شيوعية هو ما جرى فى رومانيا.. حيث قام الناس بقتل الديكتاتور السابق نيكولاس شاوشيسكو.. وكانت نهايته هى أبشع نهاية لحاكم من طرازه.

وفى الوقت الذى راحت فيه أوروبا تتخلص من حكامها الديكتاتوريين كان العالم العربى يعانى بعضهم بما يتجاوز حدود بلاده. لقد قرر صدام حسين فى الساعة الثامنة من صباح الثانى من أغسطس ١٩٩٠ دخول الكويت واحتلال آبار البترول وأعلن أن الكويت أصبحت ولاية عراقية.. وسارعت القوات المصرية والأمريكية بالتدفق على المملكة العربية السعودية.. وهدد صدام حسين باستخدام الرهائن الأجانب فى أن يكونوا دروعاً بشرية فى الحرب القادمة التى هددت الولايات المتحدة بشنها عليه.

وبينما كانت قوات التحالف تساعد لشن هذه الحرب وقعت مجزرة في المسجد الأقصى راح ضحيتها ٢١ عربياً سقطوا برصاص جندى إسرائيلى متطرف ومتعصب.. وجرت المجزرة عند الحائط الغربى من المسجد الأقصى بالقرب مما يعرف بحائط المبكى.. وفى إسرائيل أيضاً خشى الناس على أنفسهم من تهديدات العراق بشن حرب كيماوية صاروخية عليهم.. مما أصابهم بهيستيرية التدريب على الأقنعة الواقية من الغازات.

فى ٢٠ فبراير ١٩٩١ شنت قوات التحالف الحرب ضد الجيش العراقى.. ووصفت هذه الحرب بحرب تدمير العراق لا حرب تحرير الكويت فقط.. واستخدمت فى هذه الحرب تكنولوجيا متطورة لم يتح للقوات الأمريكية تجربتها من قبل.. ولم يقدر صدام حسين إلا على إشعال النار فى آبار النفط الكويتية قبل أن يجبر على التسليم.. وبهذه الحرب التى قسمت العرب وتسببت فى خسائر مالية لهم تزيد على ١٥٠ مليار دولار سقط النظام السياسى العربى القديم.. وخرج السوفيت من معادلة الصراع فى الشرق الأوسط.. وانتهت الحقبة البترولية.. وبدأت الحقبة الإسرائيلية.. وبدا أن قطار السلام والتسوية بين العرب وإسرائيل مستعد لأن ينتظر الجميع حتى الذين لم يدخلوا طرفاً مباشراً فى الصراع.

ورحل ميخائيل جورباتشوف عن السلطة فى موسكو.. ورحل إلى الغرب بعد أن فجر الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية.. وجاء بوريس يلتسين فى ٢١ أغسطس ١٩٩١ ونجح فى أن يحافظ على وجوده فى

السلطة رغم أن البرلمان الروسى قد أسقطه بأغلبية واضحة.. وسقطت تماثيل لينين وستالين وماركس فى كل مكان.. وتحول بعضها إلى «مراجيح» للأطفال فى الحدائق العامة.. ووجد جورباتشوف من يتهمه بأنه كان عميلاً خفياً للمخابرات الأمريكية المركزية.. فما فعله كانت المخابرات الأمريكية مستعدة أن تدفع فيه ١٠٠ مليار دولار و١٠٠ سنة من الصراع الشرس والحرب الباردة.. والطريف أن يلتسين ظل فى السلطة رغم تدهور حالته الصحية ورغم المتاعب المالية والسياسية إلى ليلة ٣١ ديسمبر ١٩٩٩.. وأصر على أن يكون حديث العالم فى أول صباح لعام ٢٠٠٠ فقدم استقالته فى ذلك الصباح.

وبينما تفجرت الحروب العرقية فى الدول الشيوعية خاصة يوغسلافيا تفجرت فى بريطانيا نوعية أخرى من الحروب هى حروب فضائح الأسرة الملكية.. وكان أشهرها اعتراف الأميرة ديانا فى برنامج تليفزيونى علنى بأنها خانت زوجها.. وبعدها وقع الطلاق بينها وبين ولى العهد الأمير تشارلز.. ولم تكن هذه هى النهاية التى اختارها لها القدر.. كانت هناك نهاية مأساوية ستقع بعد سنوات.

لكن.. كانت هناك فى بداية التسعينيات أخبار تستحق الاحترام.. لقد أفرج عن الزعيم الإفريقى نيلسون مانديلا فى ١١ فبراير ١٩٩٠.. وتقرر إجراء انتخابات عامة فى جنوب إفريقيا ترتب عليها ما كان متوقعاً وهو أن مانديلا أصبح أول رئيس أسود للبلاد التى كانت أسوأ رمز للعنصرية.. واختير مانديلا ليكون واحداً من أهم مناضلى القرن

العشرين.. ولم يتردد فى أن يعيش حياته من جديد.. ويحب من جديد ويتزوج من جديد.

على أن كل أخبار إفريقيا لم تكن كلها طيبة فى نهايات القرن.. لقد بدأت فى الصومال فى صيف عام ١٩٩٢ الحروب الأهلية مما جعل القوات الأمريكية تتدخل عسكرياً فى العملية التى سميت بعودة الأمل.. لكن سرعان ما تعرض الضباط والطيارون الأمريكيون للقتل والسحل فكان أن قررت واشنطن الانسحاب فوراً حتى لا تتكرر عقدة فيتنام من جديد.

لقد بدا القرن العشرون وهو يصفى حساباته متعجلاً لأن يفرغ ما فى سحبه السوداء من أمطار وبرق ورعد حتى يسلم العهدة لقرن جديد لا مفر فيه من أن يأتى بشمس مختلفة.. مشرقة.. صحو بوجه عام.

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٣١٢٥/٢٠٠٠

I S.B.N 977 - 01 - 6885 - 8



هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة».. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيمانًا منا بأهمية الكتاب، وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها: فى إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة».. أن تعيد الروح إلى الكتاب مصدرًا هامًا وخالدًا للثقافة فى زمن الإبهارات التكنولوجية المعاصرة.. وها نحن نحتفل ببدء العام السابع من عمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠) عنوانًا فى أكثر من «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية فى عيونها وعقولها زادًا وتراثًا لايبلى من أجل حياة أفضل لهذه الأمة.. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

سوزان مبارك



١٥٠
قرش

مكتبة الأسرة 2000
مهرجان القراءة للجميع